

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج ١٣ ــ ١٤
شعبان ــ ذو الحجة ١٤٠١ هـ .

السنة الرابعة
تموز ــ كانون الاول ١٩٨١ م

المشتمل

١ ـ البحوث

٢ ـ تعليقات ومناقشات

٣ ـــ اخبـــار مجمعيـــة

الصفحة

الهجرة النبوية
واليهود في الجزيرة العربية

لسماحة الاستاذ الشيخ ابراهيم القطان
(عضو المجمع)

١ ـ جاء الاسلام فوجد امما قوية مختلفة قد ترابطت فيما بينها على الحياة والفتح ، وتسخير الناس بالظلم والطغيان والجبروت ، وكانت على عقائد خرافية تتفانى في الذّب عنها . فأتى بدين قويم ، فيه ارقى ما يمكن تصوره من روابط الاجتماع القائمة على احكم الاصول الادبية .

والعالم كله يعلم ان العرب كانوا على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبائل متفرقة ، واوزاعا متنافرة ، لا توحد بينهم دين ولا تضمهم جامعة . وكانت بينهم حروب متوارثة ، وإحن وثارات قائمة على اعتبارات جاهلية ، يعتبرون هذا كله من مفاخرهم ، لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكونوا قادرين على النظر او التفكير في تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أُرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الى العالم بالهدى ودين الحق ، انكروه غاية الانكار ، وثاروا عليه ثورة عارمة ؛ فرموا الرسول الكريم بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، ورموه بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى : « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ

الكافرون هـذا ساحرٌ كذّاب ، أجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً ، إنَّ هـذا لَشَيْءٌ عُجَاب . وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُم أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُم إنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُـرَادُ ، ما سَمِعْنَا بِهٰذَا في المِلَّـةِ الآخِرَةِ ، إنْ هٰذَا إلاّ اخْتِـلاقٌ » (١) .

وقال تعالى : « وَقَالَ الّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم إنْ هٰذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِين ، وما آتَيْنَاهُم مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ، ومـا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِـنْ نَذِير »(٢) .

ومكث الرسول الكريم في هذه البيئة المستعصية ، يحاول ان يهديهم بالقرآن الكريم ، تارة يرغبهم ، ويرهبهم تارة اخرى . ويعدهم ويوعدهم،ويضرب لهـم الامثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ، فلم يزدادوا إلاّ عتوّاً واستكباراً وعناداً ، ونفوراً مـن الحق وإنكاراً . وقد مكث فيهم ثلاث عشرة سنة لم يترك خلالها وسيلة الا اتّبعها ، وهم مصرّون علـى العناد ، يؤذونه شر ايذاء ويؤذون أصحابه ، ويعذّبون المستضعفين منهـم اشد العذاب ؛ فصبر على ذلك كله ، وهو يدعو لهم ويقول : « اللهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون » . ثم امر اصحابه بالهجرة ، فهاجر بعضهم الى الحبشـة .

ولما لم يجد من قومه استجابة ، عرض نفسه على قبائل العرب التي كانت تحج الى مكة ، فلم يستجيبوا له ، ولم يأبهوا لدعوته .

وفي موسم مـن مواسم الحج قابـل بعضا من رجال الأوس والخزرج من سكان يثرب ، فقبلوا دعوته ، ووعدوه بعرض أمره

---

(١) سورة (ص) ، الآيات ٤ ـ ٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٤٣ ، ٤٤ .

على قومهم ، وقد كان اليهود بيثرب يقولون لهم اذا اختلفوا معهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه . فلما كلم النبي ، عليه الصّلاة والسلام ، أولئك النفر ودعاهم الى الله ، نظر بعضهم الى بعض وقالوا : والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقُنَّكم اليه .

وعاد هؤلاء النفر الى المدينة ، ومن بينهم اثنان من بني النجار ، من اخوال عبد المطلب ، فذكروا لقومهم اسلامهم ، فألفَوا قلوبا منشرحة ، ونفوسا متلهفة لدين يجعلهم موحّدين كالذين يرونهم خيرا منهم ؛ فلم تبق دار من دور الاوس والخزرج جميعا الا فيها ذكر محمد ، عليه الصلاة والسلام .

فلما استدار العام ، وعادت الاشهر الحُرُم ، وعاد الحج لمكة ، اتى الموسم اثنا عشر رجلا من اهل يثرب ، فالتقوا بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالعقبة في منى ، فبايعوه بيعة العقبة الاولى .

وبعث النبي الكريم معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين، فازداد الاسلام انتشارا . وأقام مصعب بين المسلمين من الاوس والخزرج يعلّمهم دينهم . ولما كان الموسم للحج ، حج عدد كبير من اهل يثرب ، وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلما : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . والتقوا مع الرسول الكريم عند العقبة ، وكان معه عمه العباس بن عبد المطلب ، فبايعوا النبي على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم .

٢ — وبعد هذه البيعة أمر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، اصحابه ان يهاجروا الى المدينة . وبدأ المسلمون يهاجرون فرادى او نفرا

قليلا حتى لا يثيروا ثائرة قريش عليهم . وحاول رجال من قريش أن يردوا من استطاعوا رده من المهاجرين الى مكة ، ليفتنوه من دينه ، أو ليعذبوه وينكلوا به . وتتابعت مع كل هذا هجرة المسلمين الى يثرب ، والنبي ، عليه الصلاة والسلام ، مقيم ، ولا يعرف احد هل اعتزم الاقامة أم قرر الهجرة . وبعد ذلك هاجر الى المدينة هو وابو بكر ، ووصلا الى المدينة بعد رحلة مضنية ، حفّتها اخطار كثيرة ، وكان الاسلام قد انتشر في المدينة .

وصل النبي الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، الى المدينة يوم الجمعة ، فصلّاها بالمدينة . واقبل عليه المسلمون بيثرب ، وكل يحاول أن يراه وان يقترب منه ، وان يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به ولم يره من قبل ، والذي امتلأت مع ذلك نفسه بحبّه والايمان برسالته . وركب ناقته والقى لها خطامها ، فانطلقت في طرق يثرب ، والمسلمون من حولها في حفل حافل يُخلون لها طريقها ، وسائر اهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون الى هذه الحياة الجديدة التي دُبّت في مدينتهم ، والى هذا القادم العظيم الذي اجتمع عليه من الأوس والخزرج ، الذين كانوا من قبل اعداء متقاتلين ، ولا يجول بخاطر احدهم ما أعدَّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة يبقيان على الزمن .

واول شيء عمله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة هو بناء مسجده ومسكنه الى جوار المسجد ؛ وكان المسجد هو مكان العبادة ، وهو المدرسة ؛ يجتمع فيه المسلمون لتلقي تعاليم الاسلام ، والتفقه في الدين ، وهو النادي يجتمعون فيه ، ويتباحثون في ما يواجههم من حوادث وامور هامة .

٣ — وبدأ النبي بتأسيس الدولـــة الجديدة ، وكان اول عمل بدأ به هو المؤاخاة بين المهاجرين والانصار ؛ فكان بعض الانصار يقاسم اخاه من المهاجرين ماله ، وبعضهم يقدّم ما يستطيع من المعونة لاخيه المهاجري . وهكذا تكونت اخوّة بينهم لم يوجد لهـا مثيل في تاريخ البشريـــــة .

وكانت مهمة الرسول الكريم شاقة وصعبة ؛ فقد كان في المدينة ثلاث فئات من السكان هـم : المسلمون من المهاجرين ، والانصار من الاوس والخزرج ، واليهود ، وهم قبائل مختلفة ، ولهم قوة كبير ووزن في السياسة والاقتصاد والقتال ، فكان لا بد من تجنب شرهم ، وكسب صداقتهم لمواجهة ما يتوقعه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، من عدوان قريش ومن يحالفهم من العرب الذين لم يدخلوا الاسلام . والفئة الثالثة لم تحـــدد موقفها ، فهم في الظاهر مسلمون ، ولكنهم كاذبون منافقون ، يظهرون خلاف ما يُسِرّون . وقد بَيَّن القرآن الكريم هذه الفئات الثلاث في اول سورة البقرة ، بقوله تعالـــى : « الٓمٓ ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ . وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ؛ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُـــمُ المُفْلِحُونَ ». هذه الفئة الاولى وهم المسلمون .

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ». وهذه هي الفئة الثانية وهـم اليهود .

« وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ ، وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ؛ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا

يشعرون ، في قلوبهم مرض ، فزادهم اللـه مرضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ، وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض ، قالوا : إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، وإذا قيل لهم : آمنوا كما آمن الناس ، قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء ؟ ألا إنهم هـم السفهاء ولكن لا يعلمون ؛ وإذا لقوا الذين آمنـوا قالوا آمنا ؛ وإذا خلـوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكـم ، إنما نحن مستهزئون ؛ اللـه يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ؛ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ؛ مثلهم كمثـل الذي استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله ذهب اللـه بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ؛ صم بكم عمي فهم لا يرجعون ؛ أو كصيب من السماء فيـه ظلمات ورعد وبرق ؛ يجعلون أصابعهم في آذانهم مـن الصواعق حذر الموت ، واللـه محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيـه ، وإذا أظلم عليهـم قاموا ؛ ولو شاء الله لذهـب بسمعهم وأبصارهم ، إن اللـه على كل شيء قدير » . وهـذه هي الفئة الثالثة وهم المنافقون ، وشياطينهم اليهود .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في أربع آيات ، والكافرين من اليهود في آيتين ، ووصف المنافقين في ثلاث عشرة آية .

٤ — فكان على الرسول الكريم أن ينظم العلاقات بين المسلمين واليهود ، فعقد أول معاهدة دولية بين اليهود والمسلمين ؛ وهي من أنفس العقود الدولية وأمتعها وأحقها بالنظر والتقدير من الناس كافة ، وأولاها بأن تكون نبراسا للمسلمين في أصول العلاقات الدوليـة بينهم وبين مخالفيهم مـن أهل الأديان الأخرى . وكان في عقدها ابتداء الدولة

الاسلامية ، وابتداءُ الاعتراف بالمسلمين دولةً مستقلةً لها كيانها واصولهـــا .

وهذه الوثيقة هي عقد حُسْنِ جوار وتحالفٍ دفاعي ، وتعاونٍ ضد العدوان ؛ يتكافل الموقعون عليهـا على نصرة بعضهم بعضا ، وحماية عقائدهم ممن يريد أوطانهم أو جماعتهم بسوء ؛ وهم بذلك يكفلون حرية العقيدة،وحرية الدعوة لأعضاء الميثاق على تباين معتقداتهم . وهذا هـو الميثاق العظيم :

بســم اللــه الرحمــن الرحيــم

١ ــ هذا كتــاب من محمد النبي « رسول اللــه » بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، واهل يثرب ومـن تبعهم فلحق بهم وجاهـد معهـم .

٢ ــ انهم امــة واحدة من دون الناس .

٣ ــ المهاجرون من قريش على رَبْعَتهم « أمرهم الذي كانوا عليه » يتعاقلون بينهم ، وهم يفـدون عانيهم (اسيرهم) بالمعروف والقسط بيــن المؤمنين .

٤ ــ وبنو عوف على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ــ وبنو الحارث مـن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفـدي عانيها بالمعروف والقسط بيـن المؤمنيـــن .

٦ ــ وبنو ساعدة على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ — وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ — وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ — وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ — وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ — وبنو الأوس على ربعتهم الأولى يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ — وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا (وهو من اثقله الدين) ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ، وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ — وأن المؤمنين المتّقين ايديهم على كل من بغى منهم او ابتغى دَسِيعة ظلم (طلب دفعا على سبيل الظلم ، او ابتغى عطية على سبيل الظلم) أو اثماً او عدوانـاً او فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ولـو كان وَلَدَ احدِهم .

١٤ — ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ — وأن ذمة اللـه واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم اولياء بعض دون الناس .

١٦ — وأنه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصـر عليهم .

١٧ــ وأن سلم المؤمنين واحدة ؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .

١٨ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا . « يعني يكون الغزو بينهم مناوبة، يعقب بعضهم بعضا فيه » .

١٩ــ وأن المؤمنين يبيء بعضُهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . ــ باء فلان بفلان : قتل به ــ (يعني ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض فيما ينال دماءهم) .

٢٠ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ــ وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قَوَدٌ به ، إلاّ ان يرضى وليّ المقتول بالعقل ؛ وان المؤمنين عليه كافة ، لا يحل لهم الا قيام عليه .

(اعتبطه : قتله بلا جناية أو جريرة توجب قتله .
قَوَد به : فان القاتل يقتل به) .

٢٢ــ وأنه لا يحلّ لمؤمن أقَرَّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا أو يؤويه ؛ وأنه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

(المحدث هنا : الجاني ، المجرم . لا يقبل منه صرف ولا عدل : والصرف : التوبة . والعدل : الفدية) .

٢٣ـ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مَرَدَّه الى الله والى محمد .

٢٤ـ وأن اليهود يُنفِقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥ـ وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين ؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وانفسهم ، الا من ظلم أو اثم فانه لا يُوتِغُ الا نفسه واهل بيته .

(يُوتِغ : يهلك ويفسد) .

٢٦ـ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ـ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨ـ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩ـ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلاّ من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته .

٣٢ـ وأن جفنة بطن من ثعلبة كانفسهم .

٣٣ـ وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ وأنّ البرّ دون الاثم .

٣٤ـ وان موالي ثعلبة كانفسهم .

٣٥ـ وان بطانة يهود كانفسهم . (بطانة الرجل : اهله وخاصته) .

٣٦ـ وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ؛ وانه لا يُتَحجَّر على ثار جرح ؛ وانه من فتك فبنفسه وأهل بيته ، الا من ظلم ، وان لله على ابر هذا . (لا يتحجر : لا يلتئم جرح على ثار) .

٣٧ــ وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وان بينهم النصر على من حارب اهل هــذه الصحيفة ؛ وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ؛ وانه لا يأثم امرؤ بحليفــه ؛ وان النصــر للمظلــوم .

٣٨ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩ــ وأن يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة .

٤٠ــ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١ــ وأنه لا تجار حرمة الا باذن اهلها .

٤٢ــ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى اللــه والى محمد رسول الله ؛ وأن الله على أتقى ما في هــذه الصحيفة وابره .

٤٣ــ وأنه لا تجــار قريش ولا من نصرها .

٤٤ــ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥ــ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلــك فانه لهم علــى المؤمنيــن ، الا مــن حارب في الديــن ، على كــل اناس حصتهم مــن جانبهم الذي قبلهم .

٤٦ــ وأن يهود الأوس مواليهم وانفسهم علــى مثل ما لاهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة ؛ وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلاّ على نفسه ؛ وأن اللــه على اصدق ما في هذه الصحيفة وابره .

٤٧ــ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ؛ وأنه مــن خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلاّ من ظالــم وآثم ؛ وأن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله . » (« الرسالة الخالدة ، نقلا عن كتاب الوثائق السياسية في العهــد النبوي والخلافة الراشدة » الدكتور محمد حميد الله الحيدر ابادي ، استاذ الحقوق الدولية بجامعة حيدر اباد دكن) .

٥ ــ هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، منذ الف وأربعمائة سنة ، والتي تقرر حرية العقيدة ، وحرية الراي ، وحرمة المدينــة ، وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة . وهي فتح جديــد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ ؛ ذلك العالم الذي كانت تعبث به يد الاستبداد ، وتعيث فيه يــد الظالم فسادا . ولئن لم يشترك في توقيع هذه الوثيقة من اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، فانهم ما لبثــوا بعد قليل أن وقّعوا بينهم وبيــن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، صحفا مثلهــــا .

فقد قال ابن هشام في السيرة : ان يهود بني قينقاع كانـــوا أول من نقض العهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (جزء ٣ ص ٤٧) . وايد ذلك ابــن سعد في طبقاته (جزء ٣ ص ٦٨) والمقريزي في امتاع الأسماع ، والطبري في الجزء الثالث من تفسيره . وأصبحت المدينة ومـــا وراءها حرما آمنا لأهلها ، عليهم ان ينضحوا عنها ويدفعوا كــل عادية عليها ، وان يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية . « حياة محمــد لهيكــل » .

وفي هذا الميثاق وضع اساس الدولة الاسلامية ، واصبح المؤمنون رعايا هـذه الدولة علـى اختلاف اجناسهم وعصبياتهم ، اسيادا وموالي ، امة واحدة دون الناس .

هذه الأمة تتعاقد في هذه الصحيفة مع امم اخرى من ديانات اخرى ، فينشأ في اول تعاقد لها ميثاق « لجمعية امم » ، اساسه النصر للمظلوم ، والنصـح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وحرمة الاوطان المشتركة ، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره ؛ على ان تصان عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحريتهم في الدعوة لدينهم ، مهما تباينت هـذه الاديان . ولقد سبق الاسلام بهذا الميثاق عهد « هيئة الامم » الحديثة باربعة عشر قرنا .

« الرسالة الخالدة » :

فقد ضمنت هـذه المعاهدة لليهود فتح باب الاسلام لمن يرغب منهم فيه ؛ كذلك نصـت على كفالة الحرية الدينية لهم ، كما نصّت عدة بنود اخرى على ان القبائل اليهوديـة تُعَدّ هي وبطونها امة من المؤمنين . وكذلكّ نص البند الرابع والعشرون على وجوب اشتراك اليهود في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب ؛ وحَرَّم نص اخر على المتعاقدين من مسلمين ويهود مناصرة قريش ، وايواء احد منهم ، وقرر البند الثاني والاربعون رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود من اجل اشاعة الأمن والطمأنينة في المدينة ، والضرب على ايدي مدبري الفتن . وان اي خلاف ينشأ يُرَدّ الى الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، للبتّ فيه ؛ وقرر البند السابع والاربعون ، وهو الأخـير : ان من ارتكب اثما يوجـب العقوبة عوقب ، وان اشتراكه في هذه الصحيفة لا يعفيه من العقوبة.« اليهود في شبه الجزيـرة ، بتصـرف » .

وقد حققت هذه الوثيقة كثيرا مــن المكاسب لجميع المتعاقدين ؛ فقد وحّدت المدينة تحــت قيادة الرسول الكريم ، عليــه الصلاة والسلام ، وقوّت صفوف المسلمين أمام عدوهم قريش ، في الوقت الذي أمنوا فيــه جانب اليهود .

٦ ـــ بعد تلك المعاهدة سكن المسلمون الى دينهم ، وجعلوا يقيمون فرائض دينهم مجتمعين وفرادى ، لا يخافون اذى ولا يخشون فتنة ؛ وصار اهل يثرب جميعا يسمعون منذ الفجر من كل يوم دعوة الاسلام ، مرتلة ترتيلا حسنا بصوت بــلال الجميل ، وهكذا انقلبت مخاوف المسلمين امنا ، واصبحت يثرب مدينــة الرسول الكريم ؛ وَقَوِيَ الاسلام ، واصبح المسلمون يستمتعون من حرية العقيدة بما قرر الاسلام ، من ان ليس لانسان على انسان سيادة ، ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى ، وأن الدين للــه وحده ، والعبودية له وحده ؛ والناس امام اللــه سواسية ، لا يجزون الا بأعمالهم ، « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَــا سَعَى » (النجم ٣٩) .

وانفسح المجال امام النبي الكريم ليعلن دينه القويم ، وليكون بتصرفاته واخلاقه المثل الاعلــى ؛ وبذلك وضع حجــر الاساس للحضارة الاسلامية ؛ وحجر الاساس هذا هــو الاخاء الانساني ؛ إخاء يجعل المرء لا يكمــل ايمانه حتى يحــب لأُخيه ما يحب لنفســه ، وحتى يصل بــه هذا الاخاء الــى غاية البر والرحمــة من غير ضعــف ولا استكانــة .

وهكذا تركت تعاليم الاسلام وخلق النبي الكريم في النفوس اعمق الاثر ؛ وأُقبل الناس افواجا على الاسلام ، وازداد المسلمون في المدينة قوة ، وهنالك بــدا اليهود يفكرون مــن جديد في موقفهم

من هذا النبي واصحابه ، وبدات الحرب الباردة . ودعا الرسول الكريم اليهود فيمن دعا الى الاسلام ، وخصهم القرآن بقسط كبير من الآيات لانهم اهل كتاب ، وهم يعلمون من كتبهم صدق رسالته ، وكانوا يعتقدون بظهور نبي منتظر من بني اسرائيل ، وكانوا ينتظرون مجيئه ويسألون الله ان يفتح عليهم بهذا النبي الذي وُعدوا به على لسان الرسل ، حتى يتبعوه ويقاتلوا العرب الوثنيين معه ، ويستعيدوا ملك بني اسرائيل في الارض ؛ وكانوا يقولون للعرب بصراحة : ان الله سيبعث النبي المنتظر فيكونون اول من يتبعه . ثم يقاتلون العرب معه ، فيكون لهم بسببه النصر والغلب . ولما لم يأت هذا النبي من بني اسرائيل ، بل جاء من العرب أولاد اسماعيل ، عليه السلام ، حسدوهم ، فكفر به عامة اليهود ، وآمن منهم نفر قليل بهذا الدين الجديد ؛ وهذا ما وضحه القرآن الكريم بقوله تعالى : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » البقرة ٨٦ .

وقوله تعالى : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ؛ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » البقرة ١٤٦ .

لقد عقد اليهود مع النبي عهدا ، وكانوا يطمعون في ان يضموه الى صفوفهم ، وأن يزدادوا به منعة وقوة ؛ ودعاهم النبي الى الاسلام فاستكبروا ؛ وجاملهم ، وكان يزورهم في « مدارسهم » (١) ويجادلونه ، واعرضوا عن دعوته ، ونصبوا له العداء ، وانطلقوا بمكرهم يُكذّبونه ، ويؤلبون عليه العرب ، ولا يدعون سبيلا من

---

(١) مدارسهم : مكان دراستهم وتعليمهم التوراة .

سبل الكيد له ولرسالته الا سلكوه ؛ مع ان الرسول الكريم امّنهم في عهده على حريتهم الدينية ، وطقوسهم ومعابدهم ومدارسهم واموالهم وحقوقهم ، وابقاهم على محالفاتهم مع بطون الاوس والخزرج ، واوجب لهم النصرة والحماية ، مشترطا عليهم ان لا يغدروا ، ولا يتجسسوا ، ولا يعينوا عدوا ، ولا يمدوا يدا بأذى . لكنهم ما لبثوا ان تطيّروا بقدوم هذا النبي العربي ، وغلى الحسد والحقد في قلوبهم ، واخذوا ينظرون اليه بعيون متوجسة حانقة ، تخشى رسوخ قدمه ، وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموي الطويل الذي كان بينهم ؛ وكان اليهود يستغلونه ويفيدون منه ، ويحقّقون لانفسهم كثيرا من المصالح والمنافع والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها ، ويجنون ثمراتها ، وفي مقدمتها المصالح الاقتصادية ؛ فقد كان اليهود في الحجاز افضل مزارع النخيل التي كانت أهم الثروات المستقرة يومئذ في المنطقة ، وكانوا يعاملون الناس بالربا ، ويستعبدونهم ويمتصون دماءهم » ((مكايد يهودية عبر التاريخ)) .

تحدثنا صفية بنت حُيَيّ بن اخطب ، زوجة الرسول الكريم ، وكان ابوها من اكبر احبار يهود بني النضير ، تقول : كنت أَحَبَّ وَلَد ابي اليه والى عمي ابي ياسر ، لم ألْقَهما قَط مع ولد لهما الا اخذاني دونه . فلما قَدِم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، المدينة ، ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، ذهب اليه ابي وعمي في الصباح الباكر ، ولم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، فأتيا كالّين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى من التعب .

قالت وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن اخطب : اهو هـو ؟ قال : نعم والله ، قال : اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت . هذا الخبر رواه معظم كتب الحديث ؛ وفي سيرة ابن هشام قال ابن اسحاق : وكان حيي بن اخطب واخوه ابو ياسر بن اخطب من اشد يهـود العرب حسدا للرسول الكريم ، وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا . فأنزل اللـه تعالى فيهما قوله : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْـلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْـدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ، حَسَداً مِنْ عِنْـدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُمْ الحَـقّ ؛ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّـهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير » البقرة ١٠٩ .

وهذا عبد الله بن سلام ، كان حبرا عالمـا من كبار احبار اليهود وعلمائهم ، روى قصته البخاري ومسلم ، والامام احمد في مسنده ، وابن هشام في سيرته ، وكثير من المحدثين ، وخلاصتها : لما سمعت برسول الله ، عرفت صفته واسمه وزمانه الـذي كنا نترقبه ، فكنت مسِرًّا لذلك ، صامتـا عليه ، حتى قدم المدينـة ؛ فلما سمعت الخبر بقدوم رسول اللـه كبَّرت ، فقالت لـي عمتي حين سمعت تكبيري : خيَّبك اللـه ! والله لو كنت سمعت بموسى ابن عمران قادما ما زدت ؛ قـال : فقلت لهـا : اي عمـة ، هو والله اخو موسى بن عمران ، وعلـى دينه ، بعث بما بعث به . فقالت : أي ابن اخي ، اهو النبي الذي كنا نُخبَّر انه يُبْعث ؟ قال : نعم . قـال ، ثم ذهبت الـى رسول الله فأسلمت ، ثـم رجعت الى اهل بيتي فامرتهم فأسلموا ، وكتمت اسلامي ؛ ثم جئت رسول الله فقلت لـه : ان اليهـود قوم بُهْت ، يقولون علـى المرء ما

ليس فيه ، واني احب ان تدخلني في بعض بيوتك ، ثـم تسالهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامي . فادخله الرسول الكريم بعض بيوته ، ونـادى بعض رؤوس اليهود ، فدخلوا عليه وكلموه . ثـم قال لهم : اي رجل الحصين بن سلام فيكـم ؟ -وهذا اسمه قبـل ان يسلم - قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ؛ قـال : فلما فرغوا مـن قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله ، واقبلوا مـا جاءكم به محمد ؛ فوالله انكم لتعلمون انـه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا في التوراة باسمـه وصفته ؛ فاني اشهد انه رسول الله ، واومن به واصدقه واعرفه .

فقالـوا : كذبت ؛ ثم وقعوا بي فقالوا : شرُّنا وابـن شرِّنا ؛ فقلت لرسول الله : الم اخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهْت ، اهل غدر وكذب وفجور ؟ .

٧ — ولـما اخذت شوكة المسلمين تشتد ، اخذ اليهـود يدبرون المكائد الرسول الكريم واصحابه . وما اسرع مـا اجتمع اليهم من بقي على الشرك مـن الأوس والخزرج ، ومـن اسلم منهم نفاقا ، وعلـى راسهم عبد الله بن أبي ، راس المنافقين . وبدات حرب جـدل بين النبي الكريم واليهود اشد لددا وأكبر مكرا من حـرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة ؛ ففـي هذه الحرب البـاردة تعاونت الدسيسـة والنفاق والعلـم بأخبار السابقين ، اقامتها اليهـود جميعا ؛ يهاجمون بها محمدا ورسالته واصحابه مـن المهاجرين والانصار ، ونصبوا العـداء للمؤمنين جميعا بغيـاً وضغناً وحسداً من عنـد انفسهم ؛ وحمـل لـواء ذلك العداء احبارهم ! فأخذوا يدبرون مؤامرات عديدة لصد العـرب عن قبول دعوة الرسول ،

وفتنة المسلمين عن دينهم ، وإلجائهم الى الضيق السبل ، والتخذيل عنهم ، وتوهين قواهم .

ودسوا من احبارهم من اظهر اسلامه ، ومن استطاع ان يجلس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ؛ وصاروا بين الحين والحين يبدون الشكوك والريب ، ويلقي بعضهم على النبي من الاسئلة ما يحسبه يزعزع في انفس المسلمين عقيدتهم به ، وبرسالة الحق التي يدعو اليها . ولم تَخْفَ هذه الامور على المسلمين ، فقد فطنوا لهم وعرفوا غاية سعيهم . ورأوهم يوما في المسجد يتحدثون بينهم خافضين اصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فامر النبي باخراجهم من المسجد ، فأخرجوا بعنف . ولم يثنهم ذلك عن كيدهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين . « هيكل »

من هؤلاء الذين تظاهروا باسلامهم من احبار يهود بني قينقاع نفاقا وكيدا للمسلمين : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن اوفى ، ورافع بن حريملة ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وسلسلة ابن برهام ، وكنانة بن صورياء .

مَرَّ شاس بن قيس ، وهو من شياطين اليهود ، على نفر من الاوس والخزرج في مجلس مجتمعين مسرورين ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال في نفسه : اذا بقي هؤلاء على هذه المودة والتعاون فما لنا معهم من قرار . وامر فتى شابا من اليهود كان معهم ان ينتهز فرصة يُذَكّرهم فيها يوم بعاث ، يوم انتصر الاوس فيه على الخزرج . وتكلم الغلام ، فذكَّر القوم ذلك اليوم ، وانشد بعض ما قيل فيه من اشعار . فتنازع الاوس والخزرج ، وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض : ان شئتم عدنا الى مثلها . وبلغ النبي ذلك

الامر ، فخرج اليهم ومعه بعض اصحابه ، فذكرهم بما ألف الاسلام بين قلوبهم ، وجعلهم اخوانا متحابين ؛ وما زال بهم حتى بكى القوم ، وعانق بعضهم بعضا ، واستغفروا الله جميعا « ابن هشام » .

وقد بلغ الجدال بين اليهود والمسلمين حدًّا كان يصل احيانا الى الاعتداء بالايدي . والمعروف عن ابي بكر ، رضي الله عنه ، دماثة الخلق وطول الأناة ولين الطبع ، ومع هذا فقد استثاره بعض اليهود حتى ضربه بيده ؛ فقد اجتمع برجل منهم يقال له فنحاص ، من احبارهم ، وجعل يدعوه الى الاسلام ، فرد فنحاص بقوله : « والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه اغنياء ، وما هو بغني عنا . ولو كان غنيا ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم » . وفنحاص يشير هنا الى قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً » سورة البقرة ٢٤٥ . فلم يطق ابو بكر على هذا الجواب صبرا ، فغضب وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت راسك يا عدو الله . وشكا فنحاص امره الى النبي ، وانكر ما قاله لابي بكر ، فنزل قوله تعالى : « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ » آل عمران ١٨١ .

لم يكتف اليهود بالوقيعة بين المهاجرين والانصار ، وبين الأوس والخزرج ، ولم يكفهم فتنة المسلمين عن دينهم ، ومحاولة ردهم الى الشرك دون محاولة تهويدهم ؛ بل زادوا على ذلك ان حاولوا فتنة النبي محمد نفسه ، عليه السلام . ذلك ان عددا من احبارهم ،

وهم كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوري ، وشاس بن قيس ، اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : « اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر » . فذهبوا اليه وقالوا : « يا محمد ، انك عرفت امرنا ومنزلتنا ، وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، ونريد أن نتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ، فنؤمن بك ونتبعك » . فرفض النبي الكريم عرضهم ، وابى ان يحكم بينهم الا بالحق اذا تحاكموا اليه . وانزل الله فيهم قوله : « وَأَنِ ٱحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَٱحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِم ؛ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » المائدة ٤٦ ، ٥٠ .

ومن امثلة المكايد التي كانوا يدبرونها ما حدثنا به كتب السيرة ، ان طائفة من اليهود تذاكروا فيما بينهم تدبير مكيدة الدخول في الاسلام اول النهار ، والخروج منه آخره ، ليتأسى العرب المسلمون في ذلك . فقد اجتمع عبد الله بن ضيف ، وعدي بن زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف ، وهو من يهود بني قريظة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما انزل على محمد واصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم ؛ ففضح الله مكيدتهم هذه وأنزل فيهم قوله تعالى : « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لِمَ تُلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَٱكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلاَ تُؤْمِنُوا

إلاّ لِمَنْ تَبِـعَ دِينَكُمْ . قُـلْ : إِنَّ الهُدَى هُدَى اللّـهِ ، أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَـا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْـدَ رَبِّكُمْ ؟ قُـلْ : إِنَّ الفَضْـلَ بِيَدِ اللّهِ ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » آل عمران ٧١ — ٤٣ .

ولا يتسع المقام لسرد جميـع اخبارهم ومكائدهم في تاريخهم مع الرسول الكريم واصحابه ، فانهـا اخبار طويلة جـدا . ومن نظر في امر اليهـود اليوم ، ومـا يثيرونه في العالم مـن فتن ، وما يختلقونه مـن اكاذيب ودعاوى باطلـة ، ويبكون ويتباكون كذبا وزورا ، وينشرون الفساد في الارض في مختلـف انواع الطرق ، والحيل الشيطانية ، حتى لا يكـاد الباحثون يجدون مكرا في الارض الا وقد سبق اليهـود الى اكتشافه ، ووضعه ضمـن قائمة خطط مكرهـم ، « وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْـهُ الجِبَالُ » ابرهيم ٤٦ . ومن نظر في امرهم يجد انهم هم هم في كل مكان وكل زمان .

٨ — الحرب الفعلية بين النبي الكريم واليهود . شعر اليهود والمنافقون

بعد معركة بـدر بتزايد قوة المسلمين ، وقامت قيامتهم ، وبدأ بعضهم يرسل الاشعار في التحريض عليهم ، وسلطوا شاعرين من شعرائهم ، هما ابو عفك ، وكعب بن الاشرف .

اما ابو عفك فقد كان شيخا كبيرا يقول الشعر ، فاخـذ يسلط لسانه بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والتحريض على قتاله . وقد كان الشعر في العرب اهم وسيلة اعلامية تحرّض على الحرب . فثارت ثائرة احـد المؤمنين ، واسمه سالم بن عمير ، فنذر ان يقتله او يموت دونه ، فما زال يتربص به حتى قتله .

واما كعب بن الاشرف فقد كـان امره اخطر من ابي عفك ، لما له من جاه ومنزلة عند قومه وعند العرب . فانـه لما بلغـه خبر

انتصار المسلمين في بدر ، ومقتل صناديد قريش ، قال : « أحق هذا ؟ اترون محمدا قتل هؤلاء ؟ فهؤلاء اشراف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم لَبُطْنُ الارض خير من ظهرها » .

واخذ يسلط لسانه على الرسول والمؤمنين ، واعلن نقض العهد ، وذهب الى مكة ، وجعل يحرض على رسول الله ، وينشد الاشعار ويبكي فيها من قتل في بدر من المشركين ، ثم رجع الى المدينة مجاهرا بعداوته ، وجعل يقول الاشعار في نساء المسلمين ، ويشبب بهن حتى كان منه اذى بالغ . فأُحِلّ دمه بما فعل ؛ فانتدب لقتله نفر من الأوس على راسهم محمد بن مسلمة ، فذهبوا الى حصن كعب واستنزلوه منه وقتلوه . وبمقتل هذين الفاجرين اللذين تصديا للرسول وللتحريض عليه وهجوه ، واعلان عدائهما له ، قطعت ألسنة التحدي ، وانطفأت جذوة الشر . ولكن الرسول الكريم كان دائما متيقظا ، محترسا منهم ، وعلى علم بما يمكرون ويكيدون .

وكان لليهود في المدينة وحولها ثلاثة معاقل كبيرة ، هي بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وفي شمال المدينة : خيبر ، ووادي القرى ، وفدك ، وتيماء .

بنو قينقاع : بعد مقتل كعب بن الاشرف ازدادت عداوة اليهود ، واضمروا الشر للنبي وللمسلمين . وفي هذه الاثناء قدمت امراة من العرب الى سوق لليهود من بني قينقاع تريد ان تشتري حلية ، وجلست الى صائغ منهم ، وكانت محتجبة ، فجعل نفر من يهود بني قينقاع يستهزئون بها ، ويطلبون منها ان تكشف وجهها ، والمراة تأبى ذلك ؛ فعمد الصائغ اليهودي الى طرف من ثوبها من خلف

وعقده الى ظهرها وهي جالسة ، دون ان تشعر المراة بما فعل . فلما قامت انكشفت عورتها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وقام جماعة من اليهود وقتلوا المسلم ، فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فجاء الرسول الكريم الى سوقهم ، وجمع اليهود ، وطلب اليهم أن يكفوا عن اذى المسلمين ، وأن يحفظوا عهد الموادعة أو ينزل بهم ما انزل بقريش . فاستخفوا بوعيده وقالوا : « يا محمد ، لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ؛ انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

فانزل الله تعالى فيهم قوله : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا : فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ، وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ » آل عمران ١٢ — ١٣ (ابن هشام) .

وكان عملهم هذا بمثابة الانذار العلني ، المتضمن استعدادهم لمحاربة الرسول . وعندما سمع الرسول بحادث المراة نبذ عهدهم ، ودعا المسلمين الى قتالهم ، فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة . والقى الله في قلوبهم الرعب ، ولم يستطيعوا ان يظهروا لقتال المسلمين . ولما طال عليهم الحصار ، نزلوا على حكم الرسول الكريم والتسليم بقضائه . فتقدم عبد الله بن ابي بن سلول ، رأس المنافقين ، وحليف بني قينقاع ، فقال : يا محمد، احسن في موالي . وما زال يلح الى الرسول حتى اذن بأن يجلوا عن المدينة ،

وأن ياخذوا اموالهم واثقالهم وخفيف السلاح . فخرجوا الى الشام ، ونزلوا باذرعات ، واستراح المسلمون منهم .

بنو النضير : هدات احوال اليهود من بني النضير وبني قريظة ظاهرا بعد اجلاء بني قينقاع ، الا ان بواطنهم ما زالت تجيش بالحقد والعداوة . وحدث ان رجلا من المسلمين اسمه عمرو بن امية الضمري، قتل رجلين مشركين من بني عامر ، وهو لا يعلم أن معهما عهدا من الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فقام الرسول بجمع ديتهما ، وذهب الى بني النضير مع عدد من اصحابه . وجلس معهم يكلمهم في ذلك ، فأظهروا الغبطة وحسن الاستعداد لاجابته . ولكنهم أبطأوا ، واحس ان هناك مؤامرة تدبر . وفعلا كان هناك مؤامرة لقتل الرسول الكريم ؛ فقد دخل احد رجالهم ، واسمه عمر بن جحاش بن كعب ، البيت الذي كان محمد مستندا الى جداره ، ليلقي عليه صخرة يقتله بها ، وفي تلك اللحظة انسحب النبي عليه الصلاة والسلام من مكانه ، تاركا أصحابه وراءه وهم يظنون أنه قام لبعض حاجته ، ومضى الى المدينة . فلما طال انتظار أصحابه ، قاموا في طلبه ، واخبرهم احد المسلمين انه رآه يدخل المدينة ، فلحقوا به ، فأخبرهم أن اليهود كانوا يدبرون مكيدة لقتله . ودعا محمد بن سلمة ، من اصحابه ، وقال له : « اذهب الى يهود بني النضير فقل لهم : ان رسول الله ارسلني اليكم أن اخرجوا من بلاده ، فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم من الغدر به ، وقد أجلتكم عشرة ايام ، فمن رؤي بعد ذلك ضربت عنقه » « امتاع الاسماع وابن هشام » . وفي ذلك نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » المائدة ١١ .

ومكث اليهود اياما يتجهزون ، فارسل اليهم عبد الله بن ابي ، راس المنافقين ، بأن لا يخرجوا من ديارهم ، وانه سيمنعهم ويحارب معهم ؛ فدخلوا حصونهم وامتنعوا . وانقضت الايام العشرة ولم يخرجوا .

خرج اليهم رسول الله ومعه اصحابه ، وحاصرهم عشرين ليلة ، وهم يرمون المسلمين بالنبل من فوق الجدران . ولم يأت عبد الله بن أبي ؛ فلما يئسوا سألوا النبي عليه الصلاة والسلام ان يؤمّنهم على أموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة ؛ فأمنهم على ان لهم ما حملت الابل من المال والطعام ، وعلى ان يتركوا الاسلحة . فخرجوا بنسائهم وذراريهم على الابل ، واجتازوا سوق المدينة والنساء وسط الهوادج يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير ، وعلى راسهم حيي بن اخطب ، وسلام بن ابي الحقيق ، في نحو ستمائة بعير . وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن ، وذهبوا الى خيبر وبعضهم الى الشام .

وفي بني النضير نزلت سورة الحشر : « هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ؛ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ » .

ثم تمضي السورة تتحدث عن المنافقين وكذبهم ، فيقول تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ . وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ؛ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا

يَخْرُجُونَ مَعَهُــمْ ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ » الحشر ١١ ــ ١٢ . وتركوا وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من غلال وسلاح وارض واسمنة . وكان نصر الله عظيما .

وفي ذلك يقول تعالـى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ » الحشر ٧ .

وفي اجلاء بني النضير ذهب شر كبير . يقول محمد حسين هيكل : « ليس من العسير ان يقدر الانسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بني النضير عن المدينة ، لما كان يخلفه بقاؤهم من تشجيع عوامل الفتنة ، ومن دعوة المنافقين الى ان يرفعوا رؤوسهم كلما اصابت المسلمين شر ، ومن التهديد بالحرب الاهلية اذا غزا المسلمين غاز من الاعداء » .

بنو قريظة : كانت مؤامرة بني قريظة ونقضهم العهد من اخطر المؤامرات ، لانها جاءت في وقت من أحرج الاوقات على المسلمين . فقد خرج نفر من بني النضير ، على راسهم حيي بن اخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن ابي الحقيق ، ومعهم من بني وائل هوذة بن قيس ، وابو عمار ، وغيرهم ، وذهبوا الى مكة ، فألبوا قريشا ، وحرّضوهم على قتال محمد واصحابه ، وقالوا لهم انهم مستعدون أن يأتوا من خيبر ليقاتلوا معهم ، وان بني قريظة انذروا بالمدينة مكرا بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم . وتشاوروا معهم طويلا ، وسألهم كبار قريش فقالوا لهم : يا معشر يهود ، انكم اهل الكتاب الاول ، واهل العلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير ام دينه ؟ فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه ،

وانتم اولى بالحق منــه . والى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالــى : « أَلَمْ تَرَ إِلَــى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبــاً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَئِكَ الَّذِيــنَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَــنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً » سورة النساء ٥١ ــ ٥٢ .

وفي موقف اليهود هذا من قريش ، وتفضيلهم وثنيتهم علــى توحيد محمد ، يقــول الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابــه « تاريخ اليهود في بــلاد العرب » : « كان من واجــب هؤلاء أن لا يتورطوا في مثل هــذا الخطأ الفاحش ، وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيــد الاسلامي ، ولو ادى بهــم الامر الى عدم اجابة مطالبهم . . . الى ان يقول : كان من واجبهم ان يضحــوا بحياتهم ، وكــل عزيز لديهم في سبيــل ان يخذلــوا المشركين ، هــذا فضلا عن أنهم بالتجائهم الى عبدة الاصنام انمــا كانوا يحاربون انفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من اصحاب الاصنــام ، وبالوقوف منهم موقف الخصومة » .

ولم يكتف حيي بن أخطب واليهود الذين معــه بهذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتهم علــى توحيد محمد ، صلى اللــه عليه وسلم ، بــل خرجوا يحرضون قبائل العرب ، حتى التفوا حول أبي سفيان ، وخرج بنحــو عشرة آلاف مقاتــل قاصدا المدينة فــي غــزوة الخنــدق .

وذهب حيي بن اخطب الى بني قريظة ، يريد رئيسها وقائدها كعب ابن اسد . الــذي امتنع عن مقابلته في اول الامر ؛ ولكن حيي بن اخطب الح عليــه ، وما زال بــه حتى فتح له باب الحصــن ،

ثم قال لـــه : « ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه » .

وتردد كعب ، وذكـــر وفاء محمد وصدقه لعهده ، وخشي مغبة مـــا يدعوه حيي اليـــه ؛ ولكن حُيَيًّا ما زال بـــه ، يذكر لـــه ما اصاب اليهود من محمد ، ومـــا يوشك ان يصيبهم منه اذا لم تنجح الاحزاب في القضاء عليه ، ويصف له قوة الاحزاب وعدتها وعددها ، وعلـــى رأسها ابـــو سفيان . وما زال بـــه حتى لان كعب ووافقه ، ونقض عهده مع الرسول الكريـــم والمسلمين ، وخرج من حياده . واجتمعت جيوش الأحزاب حـــول الخندق محاصرين المدينة ، واشتد الامـــر على المسلمين،وضاقت عليهم الدنيا بمـــا رحبت ؛ ودام الحصار نحو عشرين ليلة ، وتخلّفت اليهود من بني قريظة ولم تحارب . واشتد الامر على المحاصرين ، وهبت عواصف ، فقلبت القدور وقوّضت الخيام ، وهطل المطر غزيرا ، ودخل الرعب قلوب المشركين ؛ فقام طليحة بن خويلد الاسدي فنادى : ان محمدا قد بداكم بشر ، فالنجـــاة النجاة ! وقال ابو سفيان : يـــا معشر قريش ، انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ؛ لقد هلك الكراع والخف ، واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منها ما نكره،ولقينا من شـــدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل. واصبح الصبح ولم يجد النبي منهم احدا ؛ « وَكَفَى اللَّـــهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ » الاحزاب ٢٥ . وفي هذا الموقف يقول اللـــه تعالى في سورة الاحزاب : « يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُـــودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّـــهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ القُلُوبُ

الحَنَاجِرَ . وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ؛ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

وعاد رسول الله والمؤمنون الى المدينة ، ومنها امر الرسول الكريم المؤمنين ان يذهبوا الى بني قريظة . وحاصروا بني قريظة مدة خمسة وعشرين يوما ، لم تقع خلالها حرب الا بعض تراشق بالنبل والحجارة . ولما طال عليهم الحصار بعثوا يطلبون من النبي ، عليه الصلاة والسلام ، ان يتركهم يخرجون الى اذرعات ، على ان لا يأخذوا معهم شيئا ؛ فأبى ذلك الا ان ينزلوا على الحكم ، فقبلوا حكم سعد بن معاذ ، رئيس الأوس وحليفهم ؛ فحكم سعد فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى الذرية والنساء ، وتقسم اموالهم . ونفذ فيهم الحكم . (سيرة ابن هشام) .

وبذهاب الاحزاب ، والقضاء على بني قريظة ، صفا جو المدينة من اليهود ، وخفت صوت المنافقين ، وذهبت العرب كلها تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم .

خيبر : كانت غزوة خيبر اخر صدام بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واليهود . وتقع خيبر في شمال الحجاز ، وهي على طريق الشام . واليهود لا يؤمن جانبهم ولا ينفع معهم عهد ولا صلح ؛ وقد خشي الرسول الكريم ان يجمع اليهود بعضهم بعضا ، ويصلهم مدد من هرقل ، ويقوموا بهجوم مباغت على المدينة . فعزم على غزوهم والخلاص منهم .

امر رسول الله الناس بالتجهّز لغزو خيبر ، ومضى ومعه الف وستمائة مقاتل ، منهم مائة فارس ؛ وقطعوا مراحل الطريق

ما بين خيبر والمدينة في ثلاثة ايام ، وبلغوا امام حصونها . واصبح الصباح ، وغدا عمال خيبر خارجين الى مزارعهم ، ومعهم مساحيهم وآلات الزراعة . فلما راوا جيش المسلمين ، ولّوا الأدبار يصيحون قائلين : هذا محمد والجيش معه . وقال الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، لما سمع قولهم : « خربت خيبر . انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وكان في خيبر احد عشر حصناً ، وكان اليهود فيها مسلّحين ، وهم اشداء يقاتلون اقتياءً ، والسلاح عندهم كثير . ودارت الحرب بين المسلمين واليهود ، وتقاتلوا قتالا شديدا (١) ، وبدأت حصونهم تنهار امام هجمات المسلمين الواحد تلو الآخر ، حتى فتحوها كلها ؛ واستسلم اليهود ، وصالحهم الرسول على ان يبقوا في ارضهم يستغلونها ويكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم ، والنصف الثاني للرسول يضعه حيث يشاء .

وكان من احسان النبي الكريم معاملة اليهود في خيبر انه كان من بين ما غنم المسلمون ، حين غزوها ، بعض نسخ من التوراة ؛ فطلب اليهود ردّها ؛ فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بردّها اليهم . « محمد حسين هيكل » .

لقد عامل النبي يهود خيبر معاملة حسنة ، مع انهم حاربوه حربا شديدة لأمرين : الاول ان خيبر ارضها واسعة ، وهي غنية بالحدائق والمزارع والنخيل ؛ وهذا كله يحتاج الى الايدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام على زراعته .

والثاني : بسقوط خيبر انتهى بأس اليهود ، ولم يعد ثمة اي خطر على المدينة ، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ابدا .

---

(١) دامت الحرب بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام ستة أسابيع .

وبعد ذلك اذعن اهــل فدك من اليهود ، فصالحوا الرسول على نصف اموالهم من غــير قتال ، وكذلك يهــود وادي القرى . واما يهود تيماء ، فقبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال . وبذلك دانت اليهود كلهــا لسلطان النبي ، صلى الله عليــه وسلم ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان في شبه الجزيرة العربية ؛ واصبح النبي واصحابه في مأمن من الشمال ، من ناحية الشام ، كمــا صار من قبل في صلح الحديبية بمأمن من ناحيــة الجنوب .

وهكذا امن رسول اللــه واصحابه شر قريش واليهود ، وتفرغ لنشر رسالته الخالدة العالم اجمــع ، وارسل رسله الى الملوك : هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، والحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، والى النجاشي بالحبشة يدعوهم الى الاسلام . وما مضى ثلاثون عاما على ارسال تلك الرسائل حتى اصبحت تلك البلاد في قبضة الاسلام ، ودان اكثرها بالاسلام ؛ ذلك الدين القيم ، الذي يجمع بين الروح والمــادة ، دين الكمال ، دين الله جــل شأنه ، الذي يحرر العقول لترى ، والقلوب لتبصر ، والذي يضع للانسان في حياة العقيدة ، كما يضع له في نظام الجماعة ، قواعد عامــة توازي بين سلطان الروح وقوة المادة ، لتبلغ بالانسان الى غاية الكمــال ، ولتبلغ بالجماعة الانسانية ، بفضــل ذلك النظام ، الى خير مكان أعد لها بين كائنات الوجود .

لقد كان الاسلام دائما اغنى ما يكون في الجوهــر ، وابعد ما يكون عن فخامة المظهر ؛ وقد جاء الــى هذا العالم فأحدث اكبر انقلاب خلقي ، واعظم ثورة على الوثنية والظلــم والفســاد ، واضخم حضارة مثالية انتشرت في مشارق الارض ومغاربها في اقــل من مائة عام ، فغيّرت التاريخ في زمن يكاد يكون مجرد لحظــة من صفحات التاريخ الطويل ، اذهل المؤرخين ، وحير المفكرين .

المراجــــع

١ ــ القرآن الكريم وعــدد من التفاسير .

٢ ــ التاج الجامع للأصول « الكتب الستة » ، الشيخ منصور علــي ناصــف .

٣ ــ سيرة ابن هشام .

٤ ــ شرح سيرة ابــن هشام للسهيلي .

٥ ــ امتاع الاســمــاع للمقريزي .

٦ ــ تاريــخ الطبــري .

٧ ــ تاريخ ابــن كثير .

٨ ــ حياة محمد ، محمد حسين هيكل .

٩ ــ الرسالة الخالدة ، عبد الرحمن عزام .

١٠ــ العرب واليهود ، الدكتور أحمد سوسة .

١١ــ التاريخ اليهودي العام ، صابر طعيمة .

١٢ــ اليهود بين الدين والتاريخ ، صابر طعيمة .

١٣ــ اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، زكي شنوده .

١٤ــ تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ، محمد عزة دروزه .

١٥ــ سيرة الرسول ، صورة مقتبسة من القرآن ، محمد عــزة دروزه .

١٦ـ عصـر النبـي ، محمد عزة دروزه .

١٧ـ خاتم النبيين ، الشيخ محمد ابو زهرة .

١٨ـ اليهود في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة .

١٩ـ اليهود في شبه الجزيرة العربية ، الدكتور محمد رشيد العقيلـي .

٢٠ـ مكايد يهوديـة عبر التاريخ ، عبـد الرحمن حسن حبنّكة الميداني .

٢١ـ المفسدون في الأرض ، ناجـي .

٢٢ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب ، اسرائيل ولفنستون .

أضواء على مؤلف كتاب

نقائض جرير والاخطل

للمهندس الاستاذ [illegible]

مقدمة :

منذ اعوام عدة ، وكان الصديق الدكتور عبد المجيد المحتسب قد نشر كتابه عن نقائض جرير والأخطل (١) ، تطرق بنا الحديث الى موضوع كتاب نقائض جرير والاخطل المنسوب الى أبي تمام ، والذي حقّقه وطبعه الأب صالحاني اليسوعي سنة ١٩٢٢ . وعلمت منه حينذاك أن الرغبة تراوده على اعادة تحقيقه ونشره ، اذ ان نسخه كانت نفدت من الأسواق ، كما ان ظهور كثير من الكتب المطبوعة حديثا ، (مثل ديوان جرير (٢) الذي حققه الدكتور نعمان محمد امين طه ، وديوان الأخطل (٣) الذي حققه الدكتور فخر الدين قباوة ونشره عن نسخة طهران الخطية) ، اضاف شيئا من وضوح الى بعض ما اشكل امره من النصوص والشروح ، مما يساعد في التحقيق . ثم اطلعني على انه قد حصل على صورة للنسخة الخطية المحفوظة في الكتبخانة العمومية ببايزيد في استنبول ، والتي اعتمدتها طبعة اليسوعيين ؛ وانه على الرغم من تكبده المشاق في البحث عن طبعة اليسوعيين هذه في المكاتب العامة والخاصة ، فانه لم يستطع التوصل الى نسخة منها هنا في الاردن . عند ذاك اخبرته بوجودها في مكتبتي ، ثم اعرته اياها ، لكنه أعادها بعد فترة مبينا لي أنه قد غض النظر عن

---

(١) من منشورات مكتبة المحتسب ودار الفكر سنة ١٩٧٢ .

(٢) نشرته دار المعارف بمصر في مجلدين سنة ١٩٦٦ و ١٦٧١ ضمن سلسلة ذخائر العرب

(٣) صدر عن دار الاصمعي بحلب في جزأين سنة ١٩٧١ .

اعادة تحقيق الكتاب . ولعل مـــا حداه على ذلك ظهور طبعة حديثة مصورة عن الطبعة القديمة الكتاب (٤) . ولست ادري انفض الدكتور المحتسب يده من الكتاب وتحقيقه ام لا ، وارجو الا يكون فعـــل ؛ ولكن ما دعاني الى ذكر هـــذه المقدمة هو حديث كنـــا طرقناه عن توثيق نسبة الكتاب الى ابي تمام ، وما ذكره الدكتور المحتسب في كتابه (٥) عن شكّه في هذه النسبة . وآنذاك كان في نفسي ايضا ما فيها من هـــذا الأمر ، فرجوته لو قام في مقدمته لتحقيقه الجديـــد الكتاب ، بدراسة يتحرى فيهـــا المؤلف الحقيقي او على الأقل من يرجح نسبة الكتاب اليـــه . ولكن صرفه النظر عن اعادة تحقيق الكتاب حملني على ان اقوم بهذا البحث ، اكمالا لموضوع ترك ناقصا ، واثير حوله الكثير من التساؤل والتشكيك ، علني اقف على جليـــة وضع اللبس ، وايسر اشكال .

العوامل الداعية الى الارتياب في مؤلف الكتاب :

لعل اول من رفض نسبة النقائض الى ابي تمام كان العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ؛ فقد قال في مقدمته لكتاب الوحشيات (٦) ان الكتاب « ليس له البتة . واظن بعد الوقوف على ما في فهرست النديم انه للاصمعي ، كما وردت فيه كنيته ابو سعيد غير ما مرة ، وذلك برواية السكـــري لهاـــه » (٧) .

كما ابدى الاستاذ المحتسب شكه ايضا في نسبة هـــذا الكتاب الى ابي تمام . وكان دافعه الى ذلك امور منهـــا :

---

(٤) اعادت طبعها بالأفست دار الشرق ببيروت دون ذكر سنة الطباعة .

(٥) ص (١٧) .

(٦) شارك في تحقيقه الاستاذ محمود محمد شاكر ونشرته دار المعارف بمصر ضمن سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٦٣ .

(٧) ص (٥) .

« اولا : ان هذه النقائض غير مسندة الى ابي تمام عن احد من الرواة العلماء ؛ فلم يُروِها احد من الرواة عن ابي تمام ، كما نرى في مصنفات القرنين الثاني والثالث الهجريين ، او كما نرى ذلك عند زميلتها نقائض جرير والفرزدق . وهذا واضح من عنوان الكتاب وبدايته ؟ فعنوان الكتاب : نقائض جرير والاخطل ، تأليف الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام . وبدايته هي : نقائض جرير والأخطل ، تأليف الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام رحمه الله آمين . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كما هو اهله وصلى الله على محمد وآله . كان من حديث حرب قيس وتغلب ان معاوية بن ابي سفيان هلك واستعمل ابنه يزيد بن معاوية فبايعه الناس ما خلا هذا الحي من قيس السخ . . .

« ثانيا : لا نرى ذكرا كثيرا في هذه النقائض لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، وهو الذي اعتمد عليه ابو عبيدة وغيره من العلماء في نقل كثير من اخبار جدّه جرير واشعاره ؛ مع العلم بأن ابا تمام وعمارة كانا متعاصرين .

« ثالثا : لم نسمع عن ابي تمام بانه لُقِّب « الامام الشاعر الاديب الماهر » في غير هذا الكتاب ؛ والدارج اسمه حبيب بن أوس الطائي ، وكنيته ابو تمام . ونرى ذلك واضحا في اشهر اختياراته : الحماسة ، والوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى ؛ ومختار اشعار القبائل » (٩) .

---

(٨) هذا ما جاء في طبعة اليسوعيين . أما النسخة الخطية فجاء اسم الكتاب والمؤلف في صفحة الغلاف فقط ، وابتدات الصفحة التالية بالبسملة .

(٩) نقائض جرير والاخطل ـــ تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب ، ص (١٧ ــ ١٨) .

لا ريب في ان هذه الاعتراضات كلهـــا لها وجه وقيمة ، بالاضافة الى ما ذكره العلامة الميمني (١٠) من ان اسم المؤلـــف كان اضيف الى صفحة الغلاف بخط حديث مخالف لخط النسخة الأصل . وهذا كاف لان يدعو الى الشك والتساؤل ، فكيـــف وقد اضيف اليه امور تؤكد هذا الشك وتزيد من هذا التساؤل ؟ لذلك وجدت نفسي ضمن المرتابين في صاحب الكتاب ؛ غير انني كنت اميل الـــى الاعتقاد بأن مؤلفه هو ابن حبيب،لا الأصمعي كما خمن الاستاذ الميمني ، وذلك لاسباب سأذكر بعضها تاليا . ثم اني رجعت عن هذا الراي بعد ان وقفت على نصوص تخالـــف ما كنت عليـــه ، مما سأبينه فيما يلـــي من فقرات .

نصوص مؤيدة لنسبة الكتاب الى ابي تمام :

قبل نحو سنتين وقعت علـــى ثلاثة نصوص في كتاب « شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل » (١١) ينقل فيها الشهاب الخفاجي عن أبي تمام فقرات يستشهد بها . فهو يقول في كتابه (ص ٤٧) : « ابن المراغة : قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقولون انها رذيلة ولدته في مراغة الدواب او كانت كالمراغة لمن ارادها . . . »

ويقول (ص ٩٧) مشيرا الى البيت :

ملاعـــبه جنّان كـــأن ترابها   اذا اطَّرَدَت فيـــه الرياح مغربلُ

« ذكره ابو تمام في شرح المناقضات »

---

(١٠) الوحشيات ـــ المقدمة ـــ ص (ه) والذي رايته في النسخة المصورة للمخطوطة والمحفوظة في مكتبة الجامعة الاردنية يظهران صفحة الغلاف بكاملها كتبت بخط مغاير لخط النسخـــة الاصل .

(١١) للشهاب الخفاجي ـــ تحقيق عبد المنعم خفاجي ـــ المطبعة المنيرية بالازهر سنة ١٩٥٢

ويقول (ص ٢٠١) : « قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقال منح السيف اذا انتضاه . وانشد يزيد بن مفرّغ :

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد　　　اضعتَ وكلُّ امرك للضياع . . »

وبعد الرجوع الى كتاب النقائض وجدت النصوص الثلاثة هذه فيه . ففي ص ١٣٩ : « وقوله يا ابن المراغة : يقال انها ولدته في مراغة دواب ويقال بل كانت كالمراغة لمن ارادها . . » . ونجد في ص ٥٥ من النقائض ابا تمام يروي البيت الذي ذكره الشهاب للأخطل كما رواه في « شفاء الغليل » . اما في الصفحة الثامنة من النقائض فنجد النص كما يلي : « . . . فقال اتينا والله ، افتحوا سيوفكم ، يريد انتضوها . فبلغ ذلك يزيد بن مفرغ فقال :

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد　　　اضعتَ وكلُّ امرك للضياع . . »

هذه النصوص تدلنا على أن الشهاب الخفاجي نقل من كتاب نقائض جرير والأخطل ونسبه الى أبي تمام . فهل في هذا ما يزيد الارتياب في النسبة ، أم ان النسخة الأصل التي نشر الكتاب عنها قد تكون وقعت في يد الشهاب ونقل عنها ، فموّه عليه ما اضيف الى العنوان وانتهى به الى الخطأ ؟ . .

نكاد نجزم بأن نسخة الشهاب هي غير نسختنا الام ؛ فهو يسميها في المواضع الثلاثة « شرح المناقضات » . وربما اختصر هذا العنوان عن « شرح مناقضات جرير والأخطل » او « شرح المناقضات بين جرير والأخطل » مثلا ؛ فهو استعمل كلمة « شرح » وهي غير واردة في عنوان نسختنا ولا في نهايتها ؛ كما استعمل « المناقضات » بدل « النقائض » التي جاءت في أول نسختنا وآخرها . ونرجح أن الشهاب لو نقل عن نسختنا لكان اختصر الاسم الى « النقائض » او قال : « ذكره ابو تمام في نقائضه » مثلا . .

هذا التوافق قمين بأن يجعلنا نتيقن من أن الشهاب الخفاجي اطّلع على نسخة ثانية من نقائض جرير والأخطل معزوّة لأبي تمام ، مما يعزز هــذه النسبـــة .

ورغم أن هذا دليل قوي علـــى ان الكتاب لأبي تمام ، واخلق به ان يكون حاسما ، الا انه لا يكفي في حالة وجود ادلة تتعارض وهذا الافتراض . لذلك اخذت على نفسي أن أُنقّر عن صحة مـــا توسمه الشاكّون في هذا الامر ، عسى أن يكون الصواب حليفهـــم . وكان عليّ قبل ان اصـــل الى الراي الاخير الا الو جهـــدا في وزن الحجج ، ورفض ما حقّه الرفض ، وترجيح مـــا نصيبه الرجحان .

دراسة احتمالات اخرى لهوية المؤلف :

ذكر في الفهرست (١٢) ان نقائض جرير والأخطل صنعها ابو عمرو (الشيباني ؟) والأصمعي ، واثبت ذلـــك بطريقة قد توحي بأن ابا سعيد السكري صنعها ايضا . فهل كانت النسخـــة التي وصلت الينا من عمل الأصمعي وبرواية السكري كمـــا رجح العلامة الميمني ؟ .

لمعرفة ذلك قمت بحصر الرواة والشُرّاح من العلماء المعروفين الذين مرّ ذكرهم في الكتاب ، لعـــلّ ذلك يقودُنا الى نتائج تلقـــي ضوءا قد ينير الغموض الذي يحيط بمؤلف الكتاب . وهذه قائمة بهؤلاء الرواة والعلماء :

١ ـــ ابو سعيد ، وسننظر في هويته فيما بعد ٩ مرات

٢ ـــ ابو عمرو الشيباني اسحٰق بن مرار . كوفي نزل بغداد .
توفي سنة ٢٠٦ او ٢١٣ او ٢١٦ هـ . ٥ مرات

(١٢) النديم ـــ تحقيق رضا تجدد ـــ طهران ١٩٧١ ص (١٨٠) .

٣ — **الاصمعي عبد الملك بن قريب . بصري . كانت وفاته سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ** ٤ مرات

٤ — ابو عبيدة معمر بن المثنّى . بصري . كانت وفاته سنة ٢٠٨ أو ٢٠٦ هـ ٤ مرات

٥ — هشام بن الكلبي ابو المنذر . كوفي نزل بغداد وتوفي في الكوفة سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ . كان الاصمعي يتهمه (١٢) . ٣ مرات

٦ — ابن عياش عبد الله المنتوف ابو الجراح الهمذاني الكوفي توفي سنة ١٥٨ هـ مرتان

٧ — الفراء يحيى بن زياد ابو زكريا . كوفي توفي سنة ٢٠٧ هـ مرتان

٨ — ابن الاعرابي ابو عبد الله محمد بن زياد . كوفي توفي سنة ٢٣١ هـ مرتان

٩ — الكسائي علي بن حمزة . كوفي نزل بغداد وتوفي سنة ١٨٠ أو ١٨٣ او ١٨٩ هـ مرة واحدة

١٠— الهيثم بن عدي . كوفي بغدادي توفي سنة ٢٠٦ او ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ مرة واحدة

١١— الأثرم علي بن المغيرة أبو الحسن . بصري نزل بغداد . توفي سنة ٢٣٢ هـ مرة واحدة

١٢— الجهضمي نصر بن علي . بصري نزل بغداد وتوفي سنة ٢٥٠ هـ (او ابوه علي بن نصر المتوفى سنة ١٨٧ هـ) مرة واحدة

---

(١٣) انظر لسان الميزان لابن حجر — نسخة بالاوفست عن طبعة حيدر اباد الدكن سنة ٢٩ — ١٣٣١ هـ ج ٦ ص ١٦٦ .

١٢ــ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . من اليمامة سكن بادية البصرة وزار بغداد . توفي سنة ٢٣٩ هـ مرة واحدة

مما تقدم نستبعد ان يكون الكتاب للاصمعي ، فقد ورد لقبه غير مكنى اربع مرات ، كما ان مجموع مـــا روي عن ابي عبيدة وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي يكاد يتساوى مع مـــا روي عنه باللقب والكنية . ومن الغريب أن يذكر كاتب الأصمعي بالكنية مجردة ، مما يوحي بأنه اتصل به وقرأ عليـــه ونقل عنه ، ثم يروي عن ابن الأعرابي والأثرم . كما اننا نستبعد أن يروي الأصمعي عن هشام بن الكلبي ، وكـــان يتهمه ، وهو بصري وهشام كوفي .

وقد نقلت كتب اللغة روايات وشروحا عن الاصمعي تخالف ما جاء في النقائض عن (أبي سعيد) ، مما يرجح أن أبا سعيد هذا ليس بالأصمعي . فمن ذلك ما جاء في نقائض جرير والأخطل (ص ١٨) : « ناقع : ثابت ، قال ابو سعيد : سم ناقـــع أي قاتل » . في حين روى الأزهري في تهذيـــب اللغة (١٤) ـــ مادة نقع ـــ : « قال الأصمعي : . . . وسم ناقع ثابت . وقال ابن الأعرابي : النقيع السم الثابت . يقال سم منقوع ونقيع وناقع . . . قلت (الأزهري) : يقال سم ناقع أي قاتل ، وقد نقعه اذا قتله . . . وهذا سماعي عـــن العرب » .

كما جاء في النقائض (ص ١٥٢) : « قال ابو سعيد : يقال اشـاطوا اذا رغموا عليه ما يعتل (يقتل ؟) به . . » وروى التهذيب ـــ شاط ـــ (١٥) عن الأصمعي : « أشاط دم جزور أي سفكه ، . . واشاط فلان فلانا اذا أهلكه » .

---

(١٤) نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧ بتحقيق جماعة من الاساتذة . انظر ج ١ ص ٢٦٢ من الكتاب .

(١٥) المرجع السابق ج ١١ ص ٣٩٠ .

كذلك جاء في النقائض (ص ٣) :

« وان عصفت عليكم فاعصبوسا عصابا تستدر به شديدا

وان صعبت أجود ، قال ابو سعيد : وان عصفت اي كما تعصف الريح ، اي لم تطمئن بكم . . » وفي التهذيب ــ عصب ــ(١٦) : « روى ابو عبيد عن الأصمعي البيت : فان صعبت . . » .

كل هذا يدعونا الى التردد في قبول نسبة الكتاب الى الأصمعي ، ونرى ان واضع الكتاب ممن الذين رووا او اطلعوا على رواية كل من البصريين والكوفيين ، وهذا ينطبق على أبي سعيد السكري . فهل أصاب العلامة الميمني في تقديره مرة اخرى ؟ .

نشك ان يكون السكري هو ابو سعيد واضع الكتاب ، وذلك لما يلي من الاسباب :

ا ــ لم يذكر الوساطة في نقله عن الأصمعي وابي عبيدة ، وكان السكري في اكثر روايته عنهما يعتمد ابن حبيب ، ولكن هذا لم يرد له ذكر في الكتاب .

ب ــ عمل السكري شعر الأخطل فجوده (١٧) ولكننا نجد ان نسخ ديوان الأخطل الذي صنعه السكري قد اغفلت بالمتوشة :

(حي الظعائن اذ رحلن بكورا)

ولا يعقل ان يكون عرفها ولم يثبتها في الديوان .

---

(١٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨ .

(١٧) الفهرست ص (١٧٩) .

كما نلاحظ اختلاف النصوص الشعرية والشروح في النقائض عنها في نسخ ديوان الأخطل ، سواء من حيث عدد الابيات او ترتيبها او الرواية فيها . نذكر من ذلك ان قصيدة الأخطل (الا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر) زادت في النقائض احد عشر بيتا عما جاءت في اكمل نسخ ديوان الأخطل . وتزيد قصيـــدة الأخطل :

(كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا)

ببتين عما في نسخ الديوان ، كما زادت النقائض عن نسخ الديوان بيتا في قصيدة الأخطل : (خف القطين فراحوا منك او بكروا) ، وكلها من اشهر قصائد الأخطل ؛ ومـــا كان السكري ليغفل منها ابياتا لو كان يعرفها .

اما اختلاف الرواية فكثير ، نذكر منه ما جاء في القصيدة الأولى من الديوان كمثال ، على الرغم من ان التفاوت فيها قليل مقارنة بغيرها من القصائد . وقد اعتمدنا لديوان الأخطل طبعة الدكتور فخر الدين قباوة عن نسخة طهران ، وطبعة الأب انطون صالحاني عن نسخة بطرسبرغ (١٨) :

رقم البيت	طبعة قباوة	طبعة صالحاني	النقائض
٢٧	وجوز فلاة ما يغمض	ما يغمض	ما يعرّس (مــع شرح للتعريس)
٢٨	لا يهتدى له ـــ وما	لا يهتدي له ـــ ومـــا	لا يهتدي به ـــ ولا
٢٤	جنينهـــا	جنينهـــا	جبينـــه

---

(١٨) ديوان الأخطل ـــ نشر الاب انطون صالحاني اليسوعي ـــ الطبعة الثانية ـــ دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٦٩ .

٢٧ـ بقايا قلات	بقايا قلات	بقايا رخام (وفي الشرح قلامت)
٥٠ـ (الشرح : هشام : هاشم بن عبد مناف ، ونوفل بن عبد مناف)		(الشرح : هشام بن المغيرة المخزومي ، ونوفل بن عبد مناف . وعن ابني المنذر : هشام ـ الموءودة ونوفل ـ المطلقة)
٥٢ـ بما أحتفلت (ويروى بما أحتبلت)	بما احتبلت	لما احتوات
٤ ـ وشّرق للدهنا	(غير موجود)	(غير موجود)
٦٠ـ مطافل	مطافيل	مطافيل
٦١ـ الى الله منها	الى الله منها	الى اللـه فيها
٦٤ـ اتاك به الجحاف ـ وسط البيوت	اتـــاك بـــه الجحاف ـ عند البيوت	آمرك الجحاف ـ وسط البيوت (مـع شرح لآمرك بما يؤكد الروايـة)
٦٥ـ لقد كان للجيران	لقـد كـــان للجيران	لقد كان في الفرقان ـ (الشرح بذكر الجيران)
٦٦ـ ونحيـا	ونحيـا	فنحيـا
٦٨ـ وان تحملوا ـ وان ثقلـت	وان تحملوا ـ وان ثقلت	فـان تحملوا ـ وان عظمت .

اما اختلاف ترتيب الابيات فكثير جدا ، ولا داعي لاعطاء امثلة عليه .

جـ ـ تمر جمل تؤكد ان الراوي هو غير (ابي سعيد) ، كما جاء في الصفحة الأولى : « قال : واخبرني ابو سعيد عن ابن الكلبي ايضا » ، مما يفيد ان جامع الكتاب ليس ابا سعيد ، لان ابا سعيد السكري لم يَرْوِ مباشرة عن ابي سعيد آخر ، ولا يعقل ان يروي عن الأصمعي مباشـــرة (١٩) .

لكل ما تقدم نتيقن انه من المستبعد ان يكون صاحب الكتاب هو الأصمعي أو السكري ؛ فالأدلة التي تتنافى وهذه النسبة كثـيرة ، فعلينا الآن أن نبحث في اتجاه آخر لعلنا نصل الى خيط يقودنا نحو الحقيقة .

احتمال آخر :

خالجتني فكرة علقت بوهمي في ان يكون صاحب الكتاب هو ابن حبيب ، وان النسبة لأبي تمام كانت خطأ في القراءة ، حيث ان حبيبا هـــو اسم أبي تمام ، فلعل كلمة (ابن) كانت سقطت مـــن نسخةٍ أُمٍّ فجاء ناسخ وفسر حبيبا بأبي تمام . وابن حبيب قام بعمـــل نقائض جرير والفرزدق وديوان جرير . ولكنني بعدما تحريت جلية الأمر تيقنت ان ابن حبيب ما جاز أن يكون مؤلف الكتاب ، واليك ما حملني على هـــذا التحقق :

ا ـ لم يمر ذكر لابن حبيب في الكتاب لا باللقب ولا بالكنية ، على كثرة ما ذكر من الرواة ، ونحن نعرف ان هذه الكتب كانت تدرس على الأئمة وتروى عنهم ، فكان لا بد ان يظهر الاسم في ثنايـــا الكتاب كما هي الحال في نقائض جرير والفرزدق وديـــوان جرير . وللدكتور المحتسب تحفّظ على نسبة الكتاب لابـــي تمام مبني على المسألة نفسها (٢٠) . ولكننا سنعالج ذلك تاليا .

---

(١٩) ولد أبو سعيد السكري سنة ٢١٢ هـ ، وتوفي الاصمعي سنة ٢١٦ او ٢١٧ هـ .

(٢٠) نقائض جرير والاخطل تأليف الدكتور المحتسب ص (١٧) .

ب ــ عندما روى ابن حبيب نقائض جرير والفرزدق من أبي عبيدة ، واضاف اليها مما نقل شيئا وحذف شيئا ، لم يرو الجزء الأكبر (٢١) من نقائض جرير لشعر الفرزدق في عمله لديوان جرير ، مكتفيا بما جاء في النقائض ؛ وكذلك عمل في ديوان الفرزدق (٢٢) . لكنه لم يفعل ما يشاكل هذا في نقائض جرير للاخطل . بيد اننا لا نرى في ذلك دليلا قاطعا على ان ابن حبيب لم يقم بعمل هذه النقائض التي بين ايدينا ؛ اذ ربما كان قسام بوضعها بعد روايته لشعر جرير . وقد ذكر ابن النديم ان ابن حبيب عمل نقائض جرير وعمر بن لجأ ؛ وربما كان صاحب (منتهى الطلب) نقل اشعار ابن لجأ عنها (٢١) . وعلى الرغم من ان هذه لم تصل الينا ، الا اننا نرى كثيرا من اشعار هجاء جرير لعمر بن لجأ في ديوانه . لذلك لا يمكننا اعتبار هذا الامر قولا فصلا ، بل عاملا مرجحا يضاف الى غيره من الأدلة . وسنذكر في الفقرة التاليـة ما يجعلنا نميل الى الاعتقـاد بان ديوان جرير كان يجب ان يسبق النقائض ، لو صح ان هـذه الأخيرة من صنع ابـن حبيـب .

جـ ــ تختلف رواية شعر جرير في النقائض عما هي عليه في الديوان . ولنمثل ذلك بالقصيدة الأولى في ديوان جرير (طبعة دار المعارف) :

في الديوان تتكون هذه القصيدة من ٥٢ بيتا ، في حين انها في النقائض تضم ٥٨ بيتا ؛ فهـي تنقص ستة ابيات من رواية

---

(٢١) نعتقد أن ابن حبيب لم يرو جميع ما جاء في كتاب نقائض جرير والفرزدق الذي نشره هو (راجع الفهرست ص ١١١٩) وان هذه النقائض تخالف نقائض ابي عبيدة (المطبوعة) في انها لا تشمل سوى نقائض جرير والفرزدق ، وأهملت نقائض جرير والبعيث وغسان السليطي . . الخ . . ولنا بحث في هذا الامر نرجو ان ينشر قريبا .

(٢٢) راجع ديوان الفرزدق تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ــ الطبعة الاولى ــ مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦ .

(٢٣) راجع (شعر عمر بن لجأ التيمي) جمع الدكتور يحيى الجبوري ــ دار الحرية للطباعة سنة ١٩٧٦ ــ ص (١٨) . وجميع ما جاء في منتهى الطلب نص كامل في هجـاء جرير .

النقائض ، وفيهما بيت غير موجود في النقائض . هذا الى تفاوت في تتالي الأبيات . اما تباين الرواية فيهما فكما يلـــي :

رقم البيت	الديوان	النقائض
٢ —	لم ار	لم تلق
٤ —	وكنت مربة (مع شرح المربة)	وكنت محلة (مع شرح المحلة)
٦ —	بعد الوجيف (مع شرح الوجيف)	بعد الذميل (مع شرح الذميل)
٩ —	يجمان مدفع عاقلين ايامنًا	فجمان برقة عاقلين ايامنا (مع شرح مدفع)
١٠—	اذا افتخرن	اذا اعتزين (مع شرح الاعتزاء)
١٣—	او ان — انزلا	ولو آن — انزل
١٤—	حييت لست (مـــع ذكر رواية : كري فلست) اذ يخدن (مـــع شرح الوخـــد)	فيئي فلست (مع شرح فيئي) آذ يسقن (مع شرح الوخد !!)
١٧—	بكل ابيض	بكل اشـعث
٢٦—	تكـــــر	تشـد
٢٧—	اباركـــم	ابادكـــم
٢٨—	راياتهـــم	راياتنـــا
٢٩—	تجمـــع (وكررها فـــي الشرح)	تجـــزر

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣٢ــ	لقيــت	رايــت
٣٣ــ	فاعترف	فاستجـر
٣٤ــ	لو أن	ولو آن
٣٦ــ	معشر (مــع ذكر رواية تدرا)	تــدرا
٣٧ــ	راحت خزيمة	وردا بلادك
٣٩ــ	ما كنت تلقى ــ اذا ركبوا	ما كان يوجد ــ اذا غزموا
٤٠ــ	صَبّحــــن	فَسَبَّحْــن
٤٢ــ	لتحرمــنّ	لقد حرمت
٤٦ــ	تحوي النهاب	تسبي النساء
٤٨ــ	احسابهــا	اخلاقهــا
٥١ــ	ورميت ــ فقد لقيت	ارميت ــ لقد لقيت

ولم يرد في النقائض البيت رقم ٥٢ في الديوان

اما الأبيات التي لم ترد في الديوان ووردت في النقائض فهي الابيات من ٤٦ ــ ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ حسبما جاءت في النقائض .

وربما امكننا تفسير زيادة ابيات هذه القصيدة في النقائض عما هي عليه في الديوان ، بكون النقائض قد وضعت بعد صنع الديــوان ، وهذا يناقض ما حاولنا اثباته في الفقرة السابقة . الا ان ذلك لا يساعدنا في تبيان سبب نقصان بعض قصائد جرير في النقائض عنها في الديوان . فقصيدة (وَدِّع امامة حان منك رحيل) ، مثلا ، تنقص ١٤ بيتا . ثم كيف يمكننا

تفسير الاختلاف في الشرح ، كما جاء في شرح الهديل (البيت السابع من هذه القصيدة) والوريمة (البيت العاشر منها) .

وقد تكرر الاختلاف في الشرح بين الديوان والنقائض ، نذكر من ذلك شرح (روبل) و (ذات الفلس) و (الاشكل) — الديوان ص ١٤١ و ١٤٣ ، والنقائض ص ٦٦ و ٦٨ و (أوزار الحرب) و (يوم حزه) و (الحومة) — الديوان ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ، والنقائض ص ٤٦ .

كل هذا — مجتمعا — يحدونا على اسقاط احتمال أن يكون الكتاب من صنع ابن حبيب . ولا مناص بعد ذلك — وقد اسقطنا من قبل احتمالات اخرى — ولا غضاضة في أن نرجع الـى نسبة الكتاب الى ابي تمام ، فنتوسم مدى صحتها ونسبر غور دلائلها الموافقة والمخالفة .

دراسة ما ورد في كل من النقائض وكتب ابي تمام الأخرى :

في هذه المقارنة السريعة بين النصوص المشتركة الواردة في كتاب المناقض والكتب الأخرى التي الفها ابو تمام ووصلت الينـا ، نحاول ان نتلمس طريقا قد يوصلنا الى المؤلف الحق للكتاب . والنصوص المشتركة قليلة ، نظرا الى اننا لم نقع على جميع ما الف ابو تمام من الكتب . ولو بدأنا بأكثر هذه الكتب أهمية ، وهو كتاب الحماسة (٢٤) ، لا ريب ، نجد أن النصوص المشتركة لا تزيد على اربعة ، هـي :

١ — قصيدة عمرو بـن مخلاة الحمار الكلبي — النقائض ص ١٨ — ومطلعهـا :

---

(٢٤) اعتمدنا في دراستنا لنصوص الحماسة : شرح الحماسة للمرزوقي ، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد أمين — الطبعة الثانية — مطبعة لجنـة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧ — ١٩٦٧ .

ويوم ترى الرايات فيه كأنها عوائق طير مستدير ولائح

وردت في النقائض في ١٢ بيتا ، اختار منها أبو تمام في الحماسة — ص ٦٤٧ — ستة أبيات هي ذوات الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٦ ، ٩ . وفي روايتها بعض الاختلاف ، نوجزه بما يلـي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	عوائف	حوائم
٣ —	أجابت (وهو تحريف ناسخ)	أصابت
٧ —	صبـور	طوال

ونلاحظ اجمالا أن الاختلاف بين ، يضاف الى ذلك ان اسم الشاعر جاء في كلا الكتابين « عمرو بن مخلاة الكلبي » .

ب — قصيدة جواس بن القعطل الكلبي — النقائض ص ١٩ — ومطلعها :

وكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء الموت عنه فأبصرا

وابياتهـا في النقائض ١٢ ، اختار منهـا أبو تمام في الحماسة — ص ١٤٩٢ — سبعة ابيات ، ترتيبها : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ . والاختلاف في الرواية كما يلـي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	كم ، غطاء الموت	فكم ، غطاء الغم
٢ —	ومستلحم نفست — مقاتله	ومستسلم نفست ، نواجذه
٦ —	اذا فاخـر	اذا افتخر
٧ —	وما كان في قيس بن غيلان سيـد	فما كان في قيس بن ابن حنيظلة

وجميع الاختلافات (ما عدا ما جاء في البيت السادس) ذكرها المرزوقي كرواية اخرى للابيات ، مما يؤكد لنا انها الرواية ، وغيّرها ابو تمام لتلائم ذوقه ، جريا على عادته في تغيير النصوص (٢٥) .

وقد ورد اسم الشاعر في الكتابين : « جواس الكلبيّ من بني عدي بن جناب » .

جـ ـــ بيتان الحصين بن الحمام في النقائض ـــ ص ١٢ ـــ اولهما :

فلست بمبتاع الحياة بسبّة ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلَّما

جاء هذا البيت آخر ١١ بيتا رواها ابو تمام في الحماسة ـــ ص ٢٩٢ ـــ وجاء فيها (بذلّة) بدل (بسبّة) . وذكر المرزوقي رواية النقائض ضمن الشرح .

د ـــ بيت واحد مرّ في الشرح ـــ النقائض ص ٢٨ ـــ وهو :

اذا كنتَ في قومٍ عدىً لست منهمُ فَكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيث وطيّبِ

جاء آخر ثلاثة ابيات في الحماسة ـــ ص ٣٥٩ ـــ برواية : (ولم تك منهم) . واشار المرزوقي في شرحه الى رواية النقائض .

هذا كل ما جاء في الحماسة مشتركا مع النقائض . اما ما جاء في الوحشيات والنقائض فهو قليل كذلك ، نجمله فيما يلي :

ا ـــ ابيات غلفاء بن الحارث الخمسة الواردة في النقائض ـــ ص ٧٤ ـــ واولها :

---

(٢٥) كان أبو تمام يصلح من النصوص التي يرويها أن وجد فيها ما يجافي ذوقه الفني . راجع شرح الحماسة المرزوقي جـ ١ ص ١٤ .

ان جنبي عن الفراش لنابي   كتجافي الأسرّ فوق الظراب

جاء منهـا اربعة أبيات في القصيـدة ٢١٢ من الوحشيـات ــ ص ١٣٣ ــ وعدد ابياتها هناك ١١ ، اما البيـت الذي لـم يرد في الوحشيات فهـو الخامس في النقائض ، والرواية واحدة ولا اختلاف الا في البيـت الثاني حيث جاء في النقائض : (ومـا اسيغ) وفي الوحشيات : (ولا يسوغ) .

ب ــ قصيدة زفر بن الحارث ــ النقائض ص ٢٤ ــ وعدد أبياتها ١١ ، واولهـا :

اريني سلاحي لا أبالك انني   ارى الحرب لا تزداد الا تماديا

اختار منها أبو تمام ٨ أبيات في الوحشيات ــ ص ٥٠ ــ وجاء ترتيبهـا ٨ ، ٧ ، ١١ ، ١٠ ، ٤ ، ٥ ، ١ ، ثم بيتا غـير موجود في النقائض . أما الاختلاف في الرواية فما يلـي :

رقم البيت	النقائض	الوحشيات
١ ــ	اريـنـي	ابينـي
٤ ــ	ولا تفرحـوا	ولا تحسبوا
٥ ــ	فقـد ينبـت	وقد ينبت
١٠ــ	ولـم	فلـم
١١ــ	بالصعيد ولا ــ من القوم	في القرين فلا ــ من الناس

ج ــ أبيات النجاشي الثلاثة ــ النقائض ص ١٢٦ ــ واولهـا :

اذا الله عادى اهل لؤم ودقة   فعادى بني العجلان رهطاً ابن مقبل

جاءت في الوحشيات ــ ص ٢١٥ ــ بترتيب ١ ، ٢ ، ٦ نفس

ستة أبيات . وفي رواية البيت الأخير بعض الاختلاف اذ جاء في النقائض : (خــذ الصحن فاحلــب) وفي الوحشيات (خــذ القعب واحلــب) .

د ــ بيت عميرة بن طارق الذي جاء في الشرح ــ النقائض ص ٩٠ ــ وهــو :

فلو انها عصفورة لحسبتها مسوَّمة تدعو عبيداً وأزنما

وقع ضمن ثلاثة أبيــات في الوحشيات ــ ص ٢٣٠ ــ ونسبها للعوام أحد بني شيبان بن ثعلبة (وهــو الصواب) . ولعميرة بن طارق قصيــدة على نفس الــوزن والروي (٢٦) لعلهــا السبب في اختــلاف النسبة .

المقارنة بين هذه النصوص ، والاختلاف في الرواية فيها عما هي عليه في كتب أبي تمام الاخرى ، قد تقودنا الى الظــن بأن النقائض ليست له لولا مــا نعرفه عن أبي تمام من تغيــير وتعديل في النصوص الشعرية التي نقلها في الحماسة والوحشيات ، بقصد تحسين النص ، وذلــك ان الشعراء كانوا يلقون الكلام على عواهنه ولا يهتمــون كثيرا بالصنعة ، فتصدر عنهــم فلتات كان أبو تمام بطبعــه السليم يصلحها ، بحيث تسلم نصوصــه المختارة من الشوائب . بــل اننا نراه يغــير في روايته للنصوص المشتركة بين الحماسة والوحشيات ، فقد جاء في الحماسة ــ ص ١١١٢ (عن التبريزي) ــ بيتان رواهما أبو تمام في الوحشيات ــ ص ١٧٥ ــ باختلاف نبينــه فيما يلــي :

---

(٢٦) راجع نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة تحقيق بيفان ــ مطبعة بريل ــ ليدن سنة ١٩٠٥ ــ ١٩١٢ ص (٥١) .

رقم البيت	الحماسة	الوحشيات
١ ـــ	واب بر ـــ تَفَرَّقَ	واب وابن ـــ يُقَسَّمُ
٢ ـــ	عن كل من ـــ عن كل من	عن كل ما ـــ عن كل ما

اما الحماسية رقم (٦٦٦) ـــ ص ١٥٣٦ ـــ ، وهي ثلاثة ابيات ، تشترك ببيت واحد مع المقطوعة رقم (٣٦٩) في الوحشيات ـــ ص ٢٢٤ ـــ والمكونة من ستة ابيات ، مما يترك في المقطوعتين سبعة ابيات غير مشتركة . والحماسية رقم (٧١٦) ـــ ص ١٦٢٥ ـــ ذات الابيات الثلاثة تختلف بعض الاختلاف عنها في مختار أشعار القبائل ، الذي روى المرزباني منها عنه اربعة ابيات في كتابه « اشعار النساء » (٢٧) ـــ ص ١٦٢ ـــ والاختلاف هو التالـــي :

رقم البيت	الحماسة	مختار اشعار القبائل
٢ ـــ	الراقصات الـــى منى	الراقصات عشية
٣ ـــ	وانشـــــــد	فانشـــــد

وهذا داب ابي تمام في تغيير النصوص . فلا يمكننا اذن ان نعتبر اختلاف الرواية اساسا لرفض نسبـــة النقائض الى ابي تمام ، بل انا نجد في تشابـــه بعض النصوص دافعـــا لنا الـــى القول باطمئنان الى نسبة الكتـــاب اليـــه .

---

(٢٧) اشعار النساء للمرزباني تحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي ـــ دار الرسالة للطباعة ـــ بغداد سنة ١٩٧٦ .

مناقشة الأدلة الداعية الى رفض النسبة .

بعد ان رجح عندنا احتمال نسبة الكتاب الى ابي تمام ، علينا ان نبحث في نقاط اعتبرت دليلا على فساد هذه النسبة ، فنمحصها لنتوصل الى مدى جديتها وصلاحيتها لترجيح رفض النسبة .

ذكر الميمني في مقدمتـــه لكتاب الوحشيات (٢٨) ــ في معرض وصفه لأصل الكتاب ــ ان « بعض المتأخرين لما رأى عنوانه غفلا عن ذكر المؤلف ، زاد بخطه الفارسي : تأليف الامام الشاعر الأديب الماهر ابي تمام . وهو اختلاق منـــه قبيح . . . الخ . . » .

ولا ريب في ان اضافة كاتب متأخر شيئا الـــى نسخة قديمة امر يدعو الى الشك في صحة هـــذه الاضافة ، ولكنه ليس بالضرورة اثباتا لبطلانها ، فربما كـــان الكاتب نقلها عن ورقة مهترئة او سطر مطموس ذهب مـــع الزمن ، أو كان اطلع على نسخة أخرى مـــن الكتاب . وكثير من هـــذه الاضافات على الأصول القديمة ثبتت صحته . ولنعط مثلا على ذلك النسخة الأصلية لكتاب « طبقات فحـــول الشـعراء » التي نشر عنها الاستاذ محمود محمد شاكر طبعته لهـــذا الكتاب (٢٩) ــ وقد اخترت هذا المثل لان محقق الكتاب شارك العلامة الميمني في تحقيـــق كتاب الوحشيات الذي ذكرت ما جاء في مقدمته آنفا ــ فقد كتب علـــى غلافها بخط فارسي اسم الكتاب « طبقات الشعراء احمد بن سلام » تفسيرا للعنوان المطموس . فهـــل يجوز لنا أن نرفض نسبة الكتاب الـــى ابن سلام ، لا لشيء الا لأن احدهم أضاف اسم الكتاب ومؤلفه الـــى الغلاف ؟

---

(٢٨) الوحشيات ــ المقدمة ــ ص ٥ ، كما مر سابقا .

(٢٩) طبقات فحـــول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني سنة ١٩٧٤ .

اما تلقيب ابي تمام بـ « الامام الشاعر الاديب الماهر » فلا دليل فيه على عدم صحة نسبة الكتاب ، اذ ان النساخ المتأخرين اعتادوا اضافة مثل هذه الصفات الى اسماء المؤلفين ، كالعالم العلامة والحبر الفهامة الـخ . . . ، والنسبة جاءت متأخرة ولا شك ، يدلنا على ذلك الخط الذي كتبت به ، وهـو خط متأخر .

اما عدم ذكر رواية عمارة بن عقيل في النقائض كثيرا (٣٠) فليس دليلا على عدم صحة النسبة ، اذ لم يصل الينا ما يشير الى ان ابا تمام كان لقي عمارة واخذ عنـه ، على الرغم من كونهما متعاصرين . بل ان ما وصل الينا في « أخبار ابي تمام » (٣١) للصولي يعطينا انطباعا بأن عمارة لم يلق ابا تمام ، بل كان اعجب بشعره عندما سمعه ، واثنى عليه حين سئل عنـه .

بقيت مسألة ذات اهمية ذكرها الدكتور المحتسب ، هي ان هذه النقائض جاءتنا غير مسندة الى أبي تمام عن احد الرواة العلماء ، سنذكر تفسيرنا لهـا في فقرة تالية .

المصادر التي اخذ عنها ابو تمام مادة كتاب النقائض :

لكي نزيل آخر ما علق بأنفسنا من شك فيما كان من عزو الكتاب الى ابي تمام ، علينا ان نتوصـل الى معرفة الطريق التي نقل عنها كتابه ، فهو يروي فيـه عن اشخاص لم يقرأ عليهم او يلتقهم : فلقد روى عن الكسائي والفراء وابي عبيدة والاصمعي وابي عمرو الشيباني ، وبعضهم

(٣٠) ذكر مرة واحدة ص (٦٧) .

(٣١) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده ونظير الاسلام الهندي ، الطبعة المصورة بالاوفست طبع المكتب التجاري بيروت ــ وراجع فيه ص (٥٦ ــ ٦٢) .

توفي قبل ولادته ، وبعضهم قبــل مجيئه الى بغداد ؛ فلا بد أن تكون هناك وساطة أو تفسير آخر لهــذه المسألة .

ولو رجعنا الى ما كان قصه التبريزي في مقدمة شرحـــه لديوان الحماسة من احتباس ابي تمام عند أبي الوفاء بن سلمة بسبب هطول ثلج عظيم ، فشغل وقته هناك بالمطالعة في خزانة كتبه ، والتأليف ، فصنف خمسة كتب،منها كتاب الحماسة ، والوحشيات ، لوصلنا الى حقيقتين : الأولى أنه صنف كتبه معتمدا على خزانة كتب ابي الوفاء ، بالاضافة الى ما كان يحفظه ؛ وهــذا قد يفسر نقله عن الكسائي والفراء وغيرهما ممن تقدم زمنه . والثانية انــه صنّف خمسة كتب هـــي : الحماسة ـــ التي سماها أبو تمام « الاختيارات من شعر الشعراء » ـــ والوحشيات، ومختار أشعار القبائل ، وفحول الشعراء . واذا سلمنا بأن الحماسة هو كتاب الاختيارات (كما ذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي) (٣٢) ، يبقى لدينا كتاب خامس من تآليف أبي تمام لاندري ماهو ، ولعله نقائض جرير والأخطل .

بقي علينا أن نتحدث عن أبي سعيد، الذي يذكـــره أبو تمام بالكنية مجردة (٣٣) ؛ فهو اما أن يكون عالما مشهورا بكنيته دون اسمه أو لقبه ، ونقل ابو تمام عنه مـــن الكتب . (ولكن هذا الافتراض يتداعى اذا لاحظنا أن أبا تمام يقول في كتابه « وأخبرني أبو سعيد » (٣٤) ؛ ونستبعد أن يكون قالها تساهلا كما كان يفعل بعض العلماء عند رواية بعض الكتب اجازة) ، واما أن يكون شخصا لقيه أبو تمام وأخذ عنه ؛ وهـــذا هو الافتراض الاكثر احتمالا . فمن يكون أبو سعيد في هـــذه الحالة ؟

---

(٣٢) ديوان الحماسة ـــ مختصر شرح التبريزي ـــ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ـــ مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٥ ـــ ص (٣) .

(٣٣) مر ذكر أبي سعيد تسع مرات وذلك في الصفحات ١ ، ٢ ، ٧ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٦٣ ، ١٥٣ ، ١٦٥ .

(٣٤) ص (١) من الكتاب .

نعرف ان ابا تمام عندما قصد عبيد الله بن طاهر مادحا ، وجد عنده ابا العميثل وأبا سعيد الضرير (٢٥) ، وبعد جفوة اللقاء الأول توطدت عرى الصداقة بينه وبينهما . وابو سعيد هذا كان من علماء العربية ، وثقه الأزهري (٢٦) وروى عنه . وقد روى عن الأصمعي ، ولقي أبا عمرو الشيباني وابن الاعرابي ، كما أخذ عنه ابن قتيبة . اما اسمه فهو احمد بن خالد المباركي ، لكنه اشتهر بالكنية واللقب . ولأبي سعيد هذا اهتمام خاص بالنقائض . جاء في انباه الرواة (٢٧) خلال ترجمة أبي بكر القارئ الرازي : « رأيت نسخة من النقائض ، رواية ابي بكر القارئ عن أبي سعيد احمد بن خالد في مجلدين » . ثم انه كان أخذ عن ابي عمرو الشيباني — الذي عمل نقائض جرير والأخطل (٢٨) — وابن الأعرابي — الذي روى شعر جرير وشعر الأخطل — فلا يبعد أن يكون أبو تمام نقل عنه بعض مادة النقائض هذه مباشرة . ونرى نحن أن مادة النقائض جمعها أبو تمام مما رواه عن أبي سعيد الضرير — ولم يذكر لقبه في كتابه ، لقرب عهده به ، وعدم احتمال الالتباس فيه — بالاضافة الى ما رواه عن غيره وما جمعه من كتب ابن سلمة . ونكاد نرى تأثير أبي سعيد هذا في قراءة كثير من النصوص الشعرية التي تعتمد رواية ابن الأعرابي في الغالب (ويعرف عن أبي سعيد رواية الشعر عليه) اذ لا تتخللها سوى روايات معدودة لبعض شعر جرير عن عمارة المعاصر لأبي تمام . والذي ربما كان لقيه وأخذ عنه ، على الرغم من شكنا في ذلك .

---

(٣٥) أخبار أبي تمام ص (٧٢) .

(٣٦) تهذيب اللغة ج (١) ص (٢٤) .

(٣٧) انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي — تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم — دار الكتب ١٩٥٠ — ١٩٧٣ ج (٤) ص (٦٤) .

(٣٨) الفهرست (١٨٠) وفي نكت الهميان للسيوطي ص (٩٦) انه لقي أبا عمرو الشيباني وابن الاعرابي.وينقل الموشح للمرزباني بتحقيق البجاوي ص (٤٧) عن أبي سعيد الضرير قوله : سمعت الاصمعي يقول . . . . .

اما عدم انتشار الكتاب واشتهاره فنعزوه لسببين : الأول ان الكتاب لم يؤخذ عن ابي تمام ، شأنه في ذلك شأن بقية كتبه التي ضن بها آل سلمة ، ولم يظهروها الى ان اضطرهم ضيق الحال الى بيع نفائس خزانة كتبهم ، وكان ذلك بعد وفاة ابي تمام . وهذا السبب ساعد على عدم اشتهار هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن وحده ليمنع من انتشاره ، كما لم يمنع من انتشار بقية كتب ابي تمام (كالحماسة،ومختار اشعار القبائل) او لم يضف اليه سبب آخر تضافر معه على الحد من شهرة هذا الكتاب ، بحيث لم يذكره صاحب الفهرست أو غيره ممن ترجم لابي تمام . هذا السبب هو — في اعتقادي — ان الكتاب كان على شكل مسودة لم يكمله ابو تمام ولم يبيّضه . يدلنا على ذلك التقصير الواضح في استيفاء كامل نقائض جرير والأخطل . فمثلا لم يذكر قصيدة جرير (الديوان ص ٨٣٤) :

أَتَغْدُو رواح القوم ام لا تروّحُ : نعم ، كل من يعنى بِجُمل مُتَرِّحُ

ونقيضها الأخطل (الديوان ص ٧٤٩)

الا حبّل الله الأخلاّء كلهم : فداء لغوث حيث امسوا واصبحوا

كما جاء في ديوان جرير — غير القصيدة السابقة — ما ينوف على ٣٥٠ بيتا قصائد تضمنت هجاء الأخطل ، وجاء في ديوان الاخطل من القصائد المتضمنة هجاء جرير ما يقارب ٢٠٠ بيت ، كلها اخلّ بها كتاب نقائض جرير والأخطل ، في حين حوى الكتاب نقائض لغيرهما،كزفر بن الحارث ، وعمرو بن مخلاة الحمار ، وجواس بن القعطل السخ ... مما يوحي بأن أبا تمام كان ينوي التوسع في الكتاب ، ولكنه لم يتمّه كما اراد له ان يتم . ويعزز ما ارتأيناه سوء في التبويب ، واغفال لذكر كثير من الايام والحوادث ، مع التوسع في ذكر غيرها من الوقائع ، ثم انهاء الكتاب

بذكر سبب البدء في التهاجي بين الشاعرين . مع ان المفروض عقلا ان يذكر ذلك في اول الكتاب .

كل هــذا ، مضافا الى ان ابا عمرو الشيباني والأصمعي قاما بعمل هذه النقائض (٤٠) ، وربما بشكل أجود وأكمل ، قد يفسر السبب في قلة الاهتمام بكتاب ابي تمام ، فلم يرزق الكتاب غير المنقح هــذا الشهرة التي رُزِقَها غيره مــن كتبه .

خاتمــــة :

المطالع لكتــب الأدب يلاحــظ كثرة الاحالات على نقائض جريــر والفرزدق ، مع نــدرة ذكر نقائض جرير وغيره من الشعراء ، كالاخطل ، وعمر بن لجأ ، وكُلًّا عَمِلَه ائمّةٌ مشهورون ، كالاصمعي ، وابن حبيب ، وابي عمرو الشيباني . ولكن نقائض جرير والفرزدق بقيت تستبق زميلاتها في اهتمام العلماء بها . ولعل ذلك كــان بسبب غزارة مادتها ، وامتداد فترة الملاحاة بين الشاعرين ، وكون النقائض الاخرى جاءت عرضا بسبب تمييز شاعر مــا لأحدهما . فالأخطل حكــم للفرزدق على جرير عند بشر بن مروان (٤١) ، وعمر بن لجأ كان محطبا للفرزدق ، مما دعــا جريرا لتلقط عورات شعره ، ودعــا عمر الى تشويه شعر جريــر (٤٢) فاندلعت نار المهاجــاة بينهمــا .

لكننا نر ى ميزة خاصــــة للمهاجاة بين جرير والأخطل لا نراهــا في مهاجاته لغيره من الشعراء ، وهي الصفة السياسية لهــذه المهاجاة .

---

(٤٠) الفهرست ص (١٨٠) كما مر سابقا .

(٤١) نقائض جرير والاخطل ـــ تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب ـــ ص (٦١) وما بعدها .

(٤٢) راجع سبب المهاجاة بين جرير وعمرو بن لجأ ديوان الاخير ص (٦) وما بعدها ؛ نقلا عــن طبقات الشعراء والموشح والاغاني والخزانة . .

ففيها حمل جرير لواء القيسية ، مشيدا بأيام قيس ، مفتخرا بهم في خضم هجومه علـــى تغلب ، التي كان بينها وبين القيسيين وقائع وحروب في ذلك العهد . هذا الدفاع الذي كان في ظاهره تعييرا للأخطل بأيام قيس علـــى تغلب ، وكان في حقيقته انحيازا ، واتخاذ موقف سياسي معاضد للقيسيين ضد منافسيهم ، ومحاماة عنهم في وجه تحريض الأخطل لرجال الدولة عليهم. وقد كان لجرير في أيـــام يربوع وتغلب مندوحة عن ذكر ايام قيس ، كما كان في غنى عن نقض قصيدة الأخطل : (عفا واسط مـــن آل رضوى فنبتل) التي لم يتعرض الأخطل بها لذكر جرير وقومه ، لولا انه وجد في هذه المهاجاة فرصة للدفاع عن قيس دون التعرض لغضب اليمانية ، الذين كان كثير منهم ذوي مراكز مرموقة في الدولـــة . ونرى انه اغتنم فرصة وجدها سانحة في الرفع من شأن قيس والحط من تغلب ، وهي قبيلة لم يكن لها شأن في الدولة بسبب دينها ، فاتخذ مـــن هجائها وسيلة لنشر مآثر قيس ومفاخرها دون ان يثير كبير سخط عليه في أوساط الفئـــة الحاكمة ، التـــي كان يطمع فـــي نائلها .

وقد كان متوقعا ان تساعد هذه الصبغة السياسية على سعة انتشار قصائد جرير في هجـــاء الأخطل ونقائضها من قصائد الأخطـــل ، وكانت بالفعل مدعاة لاشتهارها ، بحيث اختار ابو زيد القرشي ملحمة جرير من ضمن نقائضه الأخطل (٤٣) ، كما ارتأى ابن حبيـــب والسكري ان يبدءا ديوانيهما بقصيدتين من نقائضهما (٤٤) ، وعلى الرغم من كل هذا لم يكتب لهذه النقائض مـــن الشيوع بين الدارسين والمتأدبين مـــا كتب لنقائض جرير

---

(٤٣) راجع : جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي ــ الطبعـــة الاولى ــ دار نهضـــة مصر ــ ص : ٨٨٦ .

(٤٤) القصيدة الاولى في ديوان جرير ــ صنعة محمد بـــن حبيب ــ هي (حي الغداة برامـــة الاطلالا) والاولى في ديوان الأخطـــل ــ صنعة السكـــري ــ هي (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) .

والفرزدق . ولعل ذلك راجع لضخامة الثروة اللغوية التي احتوتها الاشعار . ومهما كان السبب فان ما وصل الينا عن نقائض جرير والاخطل لم يحفظ بعض اسماء من قاموا بعملها ، ثم هذا الكتاب الناقص غير المقنع ، والذي يشك في مؤلفه ؛ وهو مصير كم عرفناه لكثير من تراثنا القديم ؛ فكم اخمد شاعر ذكر شعراء مجيدين عاصروه ، وكم عفى كتاب على آثار كتب تناولت موضوعه لاستغناء الدارسين به عنها . . .

وسواء أكان الكتاب هذا لأبي تمام ام لغيره ، وسواء أكان مسودة ام كتابا كاملا عبثت به يد الزمن ، فاسقطت من أوراقه وشوهت من ترتيبه ، فانه يبقى ذا قيمة كبيرة ؛ فقد حفظ لنا نصوصا شعرية لم ترد في غيره ، ونقولا لغوية ذات فائدة عن علماء كانوا ائمة عصرهم ، واخبارا تلقي الضوء على الصراع السياسي الذي شهدته تلك الفترة من الزمن ، وتأثير الحوادث في الحركة الشعرية التي رافقتها آنذاك .

وعساني أكون ارتكبت شططا في تقديراتي ، وعساني أكون اصبت ، ولعل غيري من المتفرغين يطلع على نصوص لم تحضرني ، توصله الى ما استنتجتُ أو الى خلافه . ولكن بحثي هذا يبقى محاولة للوصول الى حقيقة يصعب اثباتها بما توفر لدينا من معلومات ، مما دفعني الى كثير من التقدير والحدس ، أرجو أن يقيض لي الاطلاع على ما يؤكده في المستقبل . والله أسأل أن يوفقني الى الصواب ، انه نعم الهادي ونعم المعين .

المهندس غانم تميم

المنشآت الصحية بالمغرب عبر التاريخ

بمناسبة السنة الدولية للمعاقين

د. عبد الهادي التازي

كلنا يعرف عن التنافس القوي الذي امتد بين الخلافة العباسية في بغداد والخلافة المُوحِّدية في المغرب ، في اعقاب سحب الموحدين اعترافهم بسيادة العباسيين، والغاء ذكرهم مــن اعلى منابر المغرب ومن العملـــة المغربيـــــة .

ولقد تجلت مظاهر ذلك التنافس في شتى الميادين ، واتخذت لها مواقف صراع تختفي اثاره لتظهر مرة اخرى . وقد نقل التاريخ عددا من الاخبار تدلّ جميعها علـــى ان الموحدين في المغرب كانوا يُعدّون العدّة لِتَزَعُّـــم دولة اسلامية واحدة ، وان العباسيين في المشرق كانـــوا يرون في الموحدين خطرا علـــى كيانهم . وقد كان مــن المعقول جدا،بالنسبة للمغاربــــة،ان يراقبوا مسيرة بغداد ، اذ كانوا يطمحون الى مستويات افضل وامثل .

ومن هنا وجدنا انه ، الى جانب اهتمام المغرب بما يظهر من مذاهب هنالك وبما ينسخ من مخطوطات ، كان يُعْنَى جيدا بكل مظاهر الحضارة التي تصل اصداؤها ، ويبذل غاية جهده ، ليس فقط لتزويد المملكة الخلافية بمثالها ، ولكن ليكون التفوق المجلّي فيها .

وبهذا كــــان المغرب بين الاستفادة من الغرب عن طريـــق الاندلس ومن الشرق عــن طريق بغداد .

وبهذا نفسر ظهور المدارس المغربية مباشرة بعد المدرسة النظامية ، ونفسر ظهور الكراسي العلميـــة على اثر ما بلغ عن كراســـي المعاهد

البغدادية ، ومن اجـــل ذلك ايضـا سمعنا عن نصــــب الساعة المائية في مراكش وفاس بعد ظهور الساعـــة المائية بمدرسة المستنصرية . وفي اطار ذلك التنافس أيضا شاهدنا انشاء سلسلة البيمارستانات في عـــدد من قواعد المغرب ، وعلى رأسها مدينة مراكش .

(**البيماريستان**) كلمة فارسية مركبة من كلمتيـــن : بيمار : بمعنى المريض ،واستان التي تعني مكان ، دار . بالك استان : دار الملوك ، أفغان استان دار الافغان . ترك استان أرض الترك الخ . . . فمعنى بيمارستان : دار المريض .

واذا كنا لا نتوفر على وصف مدقق لكل تلـــك المستشفيات،فان من حسن حظنا ان نجد عبد الواحد المراكشي يقدّم مستشفى مراكش بهذه العبـــــارات :

« وبنى يعقوب المنصور في مدينة مراكش بيمارستانا ما أظن أن في الدنيا مثله ؛ وذلك انـــه تخير له ساحة فسيحــــة بأعدل موضع في البلد ، وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه ؛ فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمـــة ما زاد على الاقتراح ؛ وأمـــر ان يغرس فيه مع ذلك جميع الاشجار ، والمشمومات والمأكولات ؛ واجرى فيـــه مياها كثيرة تدور على جميع البيوتات ، زيادة على اربع برك ، في وسطه احداها رخام أبيض ؛ ثم أمر له مـــن الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد علـــى الوصف ويأتي فـــوق النعت ؛ واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام ، وما ينفـــق عليـــه خاصة ، خارجا عما جلب اليه مـــن الادوية ؛ وأقام فيه مـــن الصيادلة لعمـــل الاشربة والادهان والاكحال ؛ واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهـــاز الصيف والشتاء . فاذا برىء المريض ، فان كان فقيرا امر لـــه عند خروجه

بمال يعيش به ريثما يستقل ، وان كان غنيا دفع اليه ماله وتركته وسببه ؛ ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء ، بل كل مريض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج ، الى ان يستريح او يموت . وكان المنصور في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخل (البيمارستان) يعود المرضى،ويسأل عن اهل بيته يقول : كيف حالكم ؟ كيف القومة عليكم ؟ الى غير ذلك مـن السؤال، ثم يخرج . ولم يزل مستمرا على هـذا الى ان مات،رحمه الله » .

قصدت بايراد هـذا النص كاملا لانه يُعتبَر وثيقة من اجمل الوثائق المغربية المعبرة عن قمة ما وصلت اليه العناية بالمصاب .

ثلاثون دينارا يوميا برسم الطعام ـ قسم للصيدلية لتحضير الاشربة والادهان والاكحال ـ ثياب ليل على حدة ونهار على حدة . . . في الشتاء والصيف . . . يستوي الغني والفقير في المعالجة ، الخليفة يتفقد المرضى بنفسـه . . .

هل يمكن أن نقارن بين هـذا المستشفى ومستشفـى بغداد الذي تحدث عنـه ابن جبير عندمـا زار العاصمة العباسية عام ٥٨٠ = ١١٨٤، أي في نفس السنة التي نصب فيها المنصور الموحدي ؟

لقد تحدث ابن جبير عن بيمارستان بغداد على انه قصر كبير يزود بماء دجلة ، وانه يحتوي على كل المرافق التي توجد في القصور الملكية .

اني على مثل اليقين ان هذا مظهر بارز من مظاهر التنافس الجـاد والحاد بين بلاط بغداد وبلاط مراكش . . . ان المراكشي كان يزن كلامه وزنا عندمـا قال « انه لا يظن ان في الدنيا مثل مستشفى مراكش" ، مع العلم أن المراكشي يعرف المشرق والشرقيين ، وزار مصر واستقر بالعراق حيث ألـف كتابه المعجب هناك .

فماذا كان عن الاحتياطات والاسعافات التي تقدم المريض ؟ اتصور المريض الذي يرتدي لباسا له في الليل غير اللباس الذي يكون له في النهار ، اتصور بجانبه (بيانات) تكشف عن تطور علاجه وماذا يتناوله اليوم وغدا . . .

ان الذين يحتاطون للمريض العادي مثل هذا الاحتياط ينبغي ان نتصور عنايتهم بالآخرين الذين قدر لهم ان يصنفوا ضمن مرضى آخرين من نوع ثان .

« لنتصور أن أبا يعقوب يوسف ، والد المنصور السالف الذكر ، عندما داهم الوباء عاصمة الموحدين عام ٥٧١ = ١١٧٦ ، فرض نظاما رائعا ، ما كنا نتصوره لولا أن التاريخ اهتم به . . . « كان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه ومكانه على ورقة يجعلها في جيبه ، فان مات حمل الى اهلـه » .

اذا كان الاهتمام يصل بالنسبة للقادرين الى هذا الحد ، فكيف نتصور الاهتمام بالنسبة للذين لا يقدرون على التعبير ؟ للذين لا يستطيعون الاعتماد على انفسهم ؟ للذين يتهددهم الضعف والعوز والخصاص ؟

لقد ورد في ترجمة الوليد بن عبد الملك ، الذي كان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وردت هذه الاشادة التي تلخص كل ما يمكن أن يقال عن العناية المثالية السامية بالمعاقين :

« جعل الوليد لكل اعمى قائدا يتقاضى نفقاته من بيت المال ، واقام لكل مقعد خادما » .

وهكذا شاهدنا أن الدولـــة بمجرد ما تشعر بوجود معاق في البلاد يكون عليهـــا أن تقوم بمبادرتين علـــى الاقل : الاولى تكايـــف مساعد يكون الى جانب ذلـــك المعاق ، والثانية : تخصيص مبلغ من المال لذلك المكلف حتى لا يشعر بأنه يتطوع فحسب ، ولكنـــه موظف يتقاضى اجرة على ما يقوم به . . هذا طبعا الى العمل الثالث الـــذي يتجلى في ضمان العيش ايضا لذلك المعاق متى كان في حاجة الى أن يعيش كسائر الناس !

هناك حديث شريف يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »، ونحن لا نقـــف لا قليلا ولا طويلا أمام « البنيان » ، أي بنيان كان ، لنعرف تركيبه ومادته . . هل هو كله من آجُرٍّ من قياس واحد ، من طينة واحدة ، من طابخ واحد . . ؟ أبدا ، ان فيه الحجرة الكبـــيرة والصغيرة ، والصحيحة والمكسورة ، ومن ذلك كله يقوم البنيان .

وهذا البنيان مثل حي من امثلة المجتمع الذي يهتـــم فيه القادرون بالقاصريـــــن .

هذا تفسير صائب سمعته ذات مساء من درس القاه جلالة الملك بنفسه في قناة الدروس الحسنية أواسط رمضان ١٣٨٧ ، اواسط دجنبر ١٩٦٧ .

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . . . ولا نزيد المرصوص لانه ليس بمنصوص .

وهكذا كنا نتصور ان مستشفيات المغرب وبيمارستانات المغـــرب كانت مزودة ، ليس فقط بما يُحتاج اليه من علاج ودواء ، ولكن كذلك بما هو ضروري لسيرها من مرضين ومساعدين وموظفين من شتى الأُطُر ، كان على راسهم أمثال ابن طفيل ، وابن رشد ، وابن زهر الحفيد . هكذا كان بيمارستان مراكش . . . وهكذا كان كذلك اشباهه في المدن الاخرى .

وقد سلك بنو مرين في هذا الموضوع طريق اسلافهم الموحدين ، فاهتموا كذلك بالذين أعاقهم الزمان . . . ومن ثمت شاهدناهم يخصصون الاوقاف الضخمة ، سواء على صعيد الدولة او صعيد الشعب ، ليوفروا للكل الحياة الكريمة الآمنة في كل الميادين المغربية .

سوف لا اطيل هنا بذكر الامثلة الرقيقة الشفافة التي التمست بنو مرين اليها . ولكني لا أغفل اهتمامهم بانشاء دور للمكفوفين من شأنها ان تحميهم وترعاهم ولا تضطرهم الى الوقوف على باب واحد .

ان الدولة التي كانت تهتم بعلاج المصابين من الطيور في عنان السماء، لا يمكن ان تترك وسيلة لعلاج الانسان المنكوب الذي يمشي على الارض !!

لقد عرفت المؤسسات الصحية في عهد بني مرين ترفعا وازدهارا تحدثت عنهما المدونات والسجلات، بالرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها الدولة في أواخر ايامها . . . هنا دور لرعاية المعلمين والمعلمات والمُتَلّين والمُقِلاّت . وقد اقتفى السعديون نهج بني مرين ، شاهدنا بيمارستان عبد الله الغالب بالله في مراكش ، على نحو ما شاهدنا العلويين يقومون به من اعادة الحياة الى بعض المنشآت المهددة ، وحرصهم على ان ينشئوا من جانبهم اماكن للعلاج . . وصلت احيانا الى نواحي المغرب ، وعلى نحو ما رأينا في زاوية سيدي علي بو غالب بفاس ، وسيدي بنعاشر بِسَلا . .

لقد كانت الدولة تجعل هذا الموضوع في صدر اهتماماتها ، وكانت تكل الاشراف عليه الى (المحتسب) الذي يتحرك ويتجول ويراقب ويتابع . . . ولأمر ما وجدنا أن محكمته كانت بجانب مستشفى سيدي فرج بفاس .

هناك ظاهرة ممتعة تدخل في اطار حياتنا اليومية . . كانت مما اهتم به التشريع وبخاصة في بلاد الغرب الاسلامي :

فحتى تعطي الدولة دليلا للقاصرين على انهم يتمتعون بكل ما يتمتع به القادرون ، أجازوا لهم أن يباشروا كـل انواع النشاط الاجتماعي . . مكتفين بلغة الاشارة التي نرى الامم الراقية تتبجح بأنها المبتكرة لها كوسيلة للترفيه عـن المصابين .

ان لغة الاشارة في المغرب كانت معتمدة في كتب الفقـه الاسلامي كقاعدة تبنى عليها الاحكام .

لقد عقد ابن عاصم ، وهو من رجال الفقه الاندلسيين ، فصلا خاصا بالتعامل مع الذين يفقدون سمعهم لسبب من الاسباب ، أو مع الذين لا ينطقون . . . ومع الذين لا ينظرون . . . وحتى مع من اضحى يفقد الثلاثة ، على نحو ما قرأناه في بداية هذا القرن عـن السيدة الاميركية الشهيرة هيلين كيلير ، التي كانت لا تسمع ولا تنطق ولا ترى ، ومع ذلك استطاعت — بفضل العزيمة والعناية — أن تنال ألقاباً اكاديمية عليا . . . وأن تؤلـف وتكتب .

ذلك الفصل الخاص بالتعامل مع المعاقين يحتاج وحده الى كتاب ، وهو ، أي ابن عاصم — كما يفهم منه — يدعو دعوة صارخة لفكرة تعلم الاشارات ، وعليها يعلّـق الاحكام .

فهو يقول : ان العقود بكل انواعها يمكن ان يباشرها اولئك حسب دلالات الاشارة ، وان بامكان الشهود أن يتلقوا الشهادة من اولئك على نحو مـا يتلقونها من السالمين . . . وان الامر بالتالي يعتمـد على أن يفهم المعاق وأن يُفهـم غيره . . .

يقول في تلك الابيات الخفيفـــة :

ومن اصمّ ابكـــم ، العقود ٭ جائزة ، ويشهـــد الشهود
بمقتضى اشارة قد أفهمتْ ٭ مقصوده ، وبرضاه التزمتْ
وان يكن مع ذاك اعمى امتنعا ٭ لفقده الافهام والفهـــم معا
وذو العمى يجوز الابتياع لـه ٭ وبيعـــه وكل عقد اعملـــه

نرى كيف ان الفقه الاسلامي يحتضن هؤلاء المعاقين ويجد صيغـــة للتعامل معهم علـــى قدم المساواة .

وتعالوا بنا نستمع الى نوع آخر من العناية بالمصابين ـــ والمؤمن مصاب ـــ كمـــا يقولون :

ان الطفل الخائف قد يتسبب له خوفه في ازمة تلازمه حياته كلها .. فحتى يجنبه المجتمـــع ذلك الخوف وجدنا اوقافا واحباسا تؤدي بمقتضاها تعويضات للاطفال الذين كسروا أواني لأوليائهم ، واصبحوا يخافون من مواجهة العقاب والعتاب . . . فحتى يتمتع الطفل براحته ضمنت له الاوقاف هـــذه الفرحة .

ان (الحب كريم) كما يقولون ، لا يوجد له تعبير خاص ولا يحتاج الى تفسير خاص ، ولكنه الحب الذي يجب أن يهيمن على تصرفاتنا وسلوكنا ومبادرتنا مهما كـــان الامر .

اريد من كل هـــذا الكلام أن أخلص الى القـــول : انه اذا كانت الامم اليوم تقوم بمثل هذه المبادرات الجميلة ، فتخصص عاما من حياتها للاهتمام بهـــذا النوع من الناس ، فان المغاربة بالامس جعلوا من حياتهم كلهـــا فرصة للتعبـــير عن العناية والاهتمـــام . . ولا شـــك أن أبناء المغرب اليوم سيكونون في مستوى اريحية آبائهم بالامس . . !

د. عبد الهادي التازي

بين الكوفيين والبصريين
مسألة جواز تأكيد النكرة معنوياً

الدكتور حسني محمود حسين
(جامعة اليرموك)

١ ـــ اختلاف المنهج لدى مدرستي الكوفة والبصرة

استحكم الخلاف بين اكبر مدرستين نحويتين ـــ هما مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ـــ في كثير من المسائل النحوية . وكانت كل مدرسة منهما تتميز بطابع عقلي معين ، فرض على اصحابها منهجا في التفكير اللغوي والنحوي ، تواصل اتباع كل مدرسة ورجالاتها بالسير عليه ، وحفلوا بتنميته وتعميقه في علم القواعد العربية : فالبصريون تحددت عقولهم بالسماع وبما ورد عن العرب ، وتقيدت مدرستهم بهذا المأثور العام الذي حققوا منه القاعدة الشاملة بالاستقراء ، وقاسوا عليها ما عداها ، واعتبروا كل ما خالفها شذوذا لا يؤخذ به ولا يلتفت اليه . وهم في ذلك انما اقتصروا على قبائل معدودة حصروا الأخذ عنها ، وحجروا اللغة بما التزموه من قواعد حكموها بالمنطق .

اما الكوفيون ، فكانوا ارحب تفكيرا ، اذ هم اهل قراءات واسعة ، فلم ينتهجوا المنهج المنطقي الصرف ، واستعملوا التوسع في البحث ، فكل ما ثبت وروده عن العرب صحيح لديهم لا يُرَدّ ولا يُهدَر (٥) : قامت قواعد النحو عندهم على ما تشابه من الشواهد والأمثلة ، فلا شذوذ ولا خروج على اللغة ، اخذا بلغات القبائل كلها . لذا كان عقلهم خصبا في تفتيح ما كان يعرض من مسائل . ولكن يؤخذ عليهم استشهادهم بنمط من الشعر لا يستحق أن يستشهد به ، وهو الشعر المروي عن بعض الأعراب

المهاجرين الى بعض جهات العراق ، ممن اشتغلوا في مدن بسيطة ، وقالوا الشعر بما لديهم من ميراث طبعي في الفصاحة . فيما كان ينبغي اتخاذ اشعارهم مادة للنحو ، مما اوهنوا به مذهبهم .

وفي المسألة التي سأعرضها في هذا البحث سنرى طابع تفكير اصحاب كل من المدرستين ، ومدى تحكمه في تفكيرهم ، واتسام هذا التفكير بسمات معينة تتجلى دائما في تعرضهم للقضايا النحوية . ولسوف أعرض اولا لراي مدرسة الكوفة في مسألة جواز توكيد النكرة او عدمه ، وسنثبت ادلتهم وحججهم ، ثم نتبع ذلك براي البصريين وحججهم وردودهم على خصومهم . . . وفي النهاية اسجل النتيجة التي سأخرج بها من هذه الدراسة القصيرة .



أ — رأي الكوفيين :

ذهب الكوفيون (ووافقهم الاخفش عن البصريين) الى جواز تأكيد النكرة بالتأكيد المعنوي اذا كانت نكرة محدودة ، اي معلومة المقدار (١) نحو : يوم ، وليلة ، وشهر ، وحول ، وفرسخ ، لحصول الفائدة بذلك (٢) . ولم يجيزوا توكيد النكرة غير المحدودة ، كحين ، ووقت ، وزمان ، مما يصلح للقليل والكثير ، لأنه لا فائدة في توكيدها (٣) .

وقد احتجوا بالنقل والقياس (٤) :

---

(١) شرح المفصل ج ٣/ ٤٤ .
(٢) فتح الجليل للسجاعي / ٢٥٤ .
(٣) شرح الالفية لابن الناظم .
(٤) الانصاف في مسائل الخلاف / ١٨٦ .

امـــا النقـــل ، فقد جاء ذلك عن العرب ، قـــال الشـاعر :

لكنه شاقه ان قيل ذا رجب   يا ليت عدّةَ حولٍ كلِّه رجبُ

فأكد ـــ حول ـــ ، وهو نكرة بقوله ـــ كله ـــ ، فدل على جوازه .

وقال آخر :

اذا القعود كـــرَّ فيها حَفَدا   يوما جديدا كلّـــه مطردا

فأكد ـــ يوما ـــ وهو نكرة بقوله ـــ كله ـــ وأكد آخر كلمة ـــ ليلة ـــ بقوله ـــ كلها ـــ ، اذ قـــال :

زحرت بـــه ليلةً كلّهـــا   فجئتَ بـــه مؤيدا خنفقيقا

اما القياس ، فلأن اليوم مؤقت ، يجوز ان يقعد في بعضه ، والليلة مؤقتة يجوز أن يقوم في بعضها . فاذا قلت قعدت يوما كله ، وقمت ليلة كلها ، صح معنى التوكيد .

وبذلك نلاحظ انه لا يشترط عند الكوفيين والاخفش تطابُق التوكيد والمؤكد تعريفا وتنكيرا ، في مثل هـــذه الحالات التي يكون فيها المنكور محدودا ، والتوكيد من الفاظ الاحاطة والشمول (٥) ، ككل واجمع . وليس مـــا ذهبوا اليه ببعيد ، لاحتمال تعلق الفعل ببعض ذلـــك المؤقت (٦) .

واذا لم يفد توكيد النكرة لم يجز ، لان الغرض من التوكيد ازالة اللبس . وفي شرح التسهيـــل لابن مالك ان بعض الكوفيين اجاز توكيد النكـــرة مطلقا (٧) .

---

(٥) حاشية الصبان ج ٢/٢٨٩ .

(٦) شرح التصريح ـــ حاشية / ١٢٥ .

(٧) شرح التصريح ج ٢/١٢٤ .

ب ـ **رأي البصريين :**

مذهب البصريين انه لا يجوز توكيد النكرة ، سواء اكانت محدودة ، كيوم وليلة وشهر وحول ، ام غير محدودة ، كوقت وزمن وحين (٨) . وهذا معنى قوله (وعن نحاة البصرة المنع شمل) ، اي عمّ لما يفيد توكيده من النكرات ولما لا يفيد (٩) ، فلا يجوز : (صمت زمنا كلّه) ولا شهرا نفسه (باجماع الفريقين) لان النكرة في الاول غير محدودة ، والتوكيد في الثاني ليس من الفاظ الاحاطة (١٠) .

وقد ذهب البصريون الى تأكيدها بلفظها نحو : جاءني رجل رجل . ويورد ابن الانباري في كتابه « الانصاف » حجج البصريين ، ودليلهم على عدم جواز تأكيد النكرة في وجهين اما اول الاثنين فما فيما يلي :

اولا : ان شيوع النكرة وعدم ثبوت عين لها يجعلها غير مفتقرة الى تأكيد ، اذ لا فائدة من تأكيد ما لا يعرف ، وهم يحملون (رأيت درهما كل درهم) وما اشبهه على الوصف لا على التاكيد .

ثانيا : لما كان كل من النكرة والتوكيد ضد صاحبه ، اذ تدل النكرة على الشياع والعموم ، ويدل التوكيد على التخصص والتعيين . ومعنى توكيد الشائع جعله مخصصا ، وهو ضد ما وضع له . ويستدل ...

---

(٨) فتح الجليل للسجاعي / ٢٥٤ .

(٩) شرح الالفية لابن الناظم / ١٦٨ .

(١٠) الصبان على الاشموني ج ٢/٢٨٩ .

الشيء الواحد شائعا مخصوصا في حال واحدة ، فانه لا يصلح ان يكون مؤكدا له . ويشبهه في ذلك عدم جواز وصف النكرة بالمعرفة ، او المعرفة بالنكرة ، لأن كلا منهما ضد صاحبه .

ومن هنا رأى ابن يعيش في « شرح المفصل » انه لا يجوز توكيد النكرة توكيدا معنويا ، لان الالفاظ التي يؤكد بها في المعنى معارف (١١) ، فلا تتبع النكرات توكيدا لها ، لان التوكيد كالصفة (١٢) . ويرى صاحب « المفصل » ان « كل ، واجمعون » لا تقعان تأكيدين للنكرات ، فلا نقول (رأيت قوما كلهم) ولا اجمعين ، بينما يرى الشارح أن « كل » تكون تأكيدا وغير تأكيد ، و « اجمع » لا تكون الا تأكيدا . تقول (ان القوم كلهم في الدار) ، فيجوز رفع كل ونصبها ، فالنصب على التوكيد ، واما الرفع فعلى الابتداء ، ومثاله (قل ان الامر كلّه لله) .

ويستثني ابن هشام (اجمع ، وما تصرف منه) من وجوب اضافتهن الى الضمير ، تقول : اشتريت العبد كله اجمع ، وخدمة كلها جمعاء ، والعبيد كلهم اجمعين ، والاماء كلهن جمع (١٣) .

---

(١١) يذكر في شرح المفصل ج ٣/٤٤ ان هذه الالفاظ معارف من عدة وجوه :

أ ـ ذهب قوم الى انها من معنى المضاف الى المضمر .

ب ـ ذهب بعض المحققين (ابو عثمان المازني) الى ان تعريف هذه الاسماء بالوضع ، وهو من قبيل تعريف الاعلام ، ويدل على صحة ذلك أن اجمع وجمع لا ينصرفان .

ج ـ وذهب آخرون الى انه معدول عن جماعى لان فعلاء انما تجمع على فعل اذا كانت صفة ، واما اذا كانت اسما فبابها أن تجمع على فعالى ، واجمع وجمع اسمان غير صفتين .

د ـ يذهب صاحب الكتاب الى ان اجمع واجمعين معارف لانهما معدولة عن الالف واللام ، والمراد الاجمع والاجمعون ، كما أن امس معدول عن الامس .

(١٢) شرح المفصل ج ٣/٤٤ .

(١٣) شرح شذور الذهب / ٤٣١ .

ولم يكتف البصريون بمحاولة اثبات مذهبهم فقط ، وانما حاولوا الرد على الكوفيين لدحض حججهم ، واثبات بطلانها ، واتبعوا في ذلك سبيل المغالطة المنطقية ، تمشيا مع تفكيرهم المنطقي ، ومنهجهم العام في التقعيد ووضع النظرية ، فنراهم يتعرضون لشواهد الكوفيين من عدة نواح : فمن تخطئة الروايات ، الى فرض الاحتمالات والاتهام بمخالفة الاصول والقياس ، واخيرا الى المغالطة :

١ ــ فهم يرون في « يا ليت عدّة حول كلّه رجب » ، ان الرواية غير صحيحة . والصحيح فيهما لديهم « يا ليت عدة حولي كله رجب » ، باضافة حول الى ياء المتكلم ليصبح معرفة ، فلا نكرة عندئذ ، ولا حجة في الشاهد .

واما في « قد صرت البكرة يوما اجمعا » ، فيبطلون الاحتجاج به ، اذ يرونه مجهولا لا يعرف قائله . ولكن ابن جني يرى انه شاذ ، وان لم يكن مصنوعا ؛ فوجهه عنده « ان اجمع » هذه ليست التي تستعمل للتأكيد ، اعني ان مؤنثها جمعاء ، ولكن التي في قولك ــ اخذت المال باجمعه ــ ، اي بكليته ، فدخول العامل عليها ومباشرته اياها يدل على انها ليست التابعة للتوكيد . فكذلك قوله « يوما اجمعا » ، اي يوما باجمعه ، حذف حرف الجر ثم ابدل الهاء الفا فصار اجمعا (١٤) .

أما العيني فهو يرى ان « يوما » من غير تنوين ، واصله يومي ، فالالف منقلبة عن ياء المتكلم ، فاجمع توكيد للمعرفة (١٥) .

(١٤) شرح المفصل ج ٣ ــ حاشية / ٤٤ .

(١٥) المصدر نفسه .

٢ — واما في قولهم « يوما جديدا كله مطردا » ، فيرون فيه احتمال أن يكون توكيدا للمضمر من جديد ، والمضمرات لا تكــون الا معارف ، وهذا أولى بــه لانه اقرب اليه من يوم ، فعلى هذا يكون الانشاء بالرفــــع .

ثم هم يعودون بعد هـــذا التشكيك في قيمــة الشواهد ، والطعن في صحتها ، فيلجأون الى الجــدل المنطقي في أصل من اصول المنهج المختلف عليه لــدى كل من المدرستين ، في اعتبار الشذوذ والقياس . يقولــون « ثم لو قدرنا أن هذه الابيات كلها صحيحة عــن العرب ، فان الرواية ما ادعوه لما كان فيها حجة ، وذلك لشذوذها وقلتها في بابهـــا ؛ اذ لو طردنا القياس في كل ما جاء شاذا مخالفا للاصول والقياس ، وجعلناه اصلا ، لكان ذلك يؤدي الى أن تختلط الاصول بغيرها ، وان يجعل مـــا ليس بأصل اصلا ؛ وذلك يفسد الصناعة بأسرها ، وهذا لا يجوز (١٦) ، وهم يرون أن هذه المواضع كلها محمولة على البدل لا على التأكيد .

٣ — وبالنسبة لتفريق الكوفيين بين ما هو نكرة مؤقت ، وما هو نكرة غير مؤقت ، ليجوزوا قعــــود بعض اليوم ، وقيام بعض الليلة فيصح التوكيد ، فان البصريين يرون أن ذلك لا يستقيم ، لان اليــــوم وان كان مؤقتا الا انه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ، وتأكيد الشائع المنكور بالمعرفة لا يجــوز كالصفة ، ولان تأكيد ما لا يعــرف لا فائــدة فيــه .

وواضح ان هذه المخالفة للحس اللغوي ، والذوق العقلي ما هي الا حفاظ على وحــدة النظرية ، ومحاولة لنفي التفريع عن القاعدة ؛ وهم عند ابن يعيش يغلون في التمحل غلوا يخرج بهم عن حدود الانصاف ؛ وما جهلهم لنسبة ما يذكرون من أبيات الى اصحابها الا بسبب هذا الغلو (١٧) .

---

(١٦) الانصاف في مسائل الخلاف / ١٨٧ .

(١٧) شرح المفصل [illegible] / ٤٤ .

٢ ـ تعقيـــب :

ونرى بعد هذا العرض الطابع العقلي الذي حكم منهـج كل مدرسة من المدرستين الكبيرتين في كل ما ثار بينهما من خلاف . وبالنسبة للخلاف حول هـذه المسألة فان ابن هشام يلخصه في شرح شذور الذهب (١٨) في قوله : هل يشترط اتحاد التوكيد والمؤكد في التعريف ؟

اننا نعرف ان الكوفيين قد اشترطوا ، لجواز توكيد النكرة المحدودة ، ان يكون التوكيد من الفاظ الاحاطـة والشمول . واذا حاولنا ان نتعمق في البحث ابتداء من هـذه النقطة ، واستقرانا اراء بعض النحويين فيها ، رأينا ابن عقيل (١٩) يقول : « يؤكد بكل وجميع ما كان ذا اجزاء يصح وقوع بعضها موقعه ، نحو « جاء الركب كله أو جميعه ، والقبيلة كلها او جميعها ، والرجال كلهم او جميعهم » . ويشبهه في هذا ابن الحاجب (٢٠) اذ يقول « ولا يؤكد بكل واجمع الا ذو اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما ، نحو (اكرمت القوم كلهم) ، بخـلاف (جاءني زيد كله) ؛ فاذا كان المؤكد ذا اجزاء لا يصح افتراقها حسا او حكما ، لم يستفد منهمـا ذلك المعنى ، كقولك : جاء زيد أو سافر ، ونحو ذلك ، لانك لو قلت (اجمع) لم تفد شيئا لم يستفد من قولك جاء زيد ، فاما اذا قلـت : اكرمت القوم كلهم ونحوه ، أظهرت فائدتها باعتبار افادتها الشمول ، اذ لو اقتصرت دونها لجاز ان يكون الاكرام لبعض القوم ، فتبينت الفائدة بوجودها بخلاف جاء زيـد كلـه » .

---

(١٨) ص : ٤٣٠ .

(١٩) شرح ابن عقيل ج ٢/١٦٥ .

(٢٠) شرح الكافية / ٦١ .

اما ابن هشام فاننا نرى موقفه متناقضا : فبينما هو في شرح الشذور صفحة (٤٢٩) يوجب كون المؤكد معرفة ، فيرى شذوذ قول عائشة ، رضي الله عنها ، « ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كله الا رمضان » وكذلك قول الشاعر « يا ليت عدة شهر كله رجب » ، نرى مسجلا عليه في هامش الصفحة نفسها ان هذا هو رايه في شرح الشذور وفي القطر ، ولكنه في اوضحه — تبعا لابن مالك في التسهيل والكافية والخلاصة — قد اختار صحة توكيد النكرة ان افاد توكيدها ، فقال : « ان الفائدة تحصل بأن تكون النكرة محدودة ، والتوكيد من الفاظ الاحاطة » .

ورأي أكثر العلماء يجاري قول جمهور الكوفيين في اشتراط التحديد في النكرة ، وافادة الاحاطة والشمول في لفظ التوكيد ليجوز توكيد النكرة . وعلى هذا هم يرون فيما استدل عليه الكوفيون من شواهد الكفاية على اثبات دعواهم . وابن ناظم الألفية يرى في شرحها أن قول الكوفيين أولى بالصواب ، لصحة السماع بذلك لما فيه من فائدة كالتي في توكيد المعرفة ، اذ يرتفع بتوكيد هذه النكرة احتمال ارادة البعض ، فيصير الكلام نصا على المقصود . وهو في هذا موافق لابن الحاجب الذي يرى ما ذهب اليه الكوفيون ليس ببعيد ، لاحتمال تعلق الفعل ببعض ذلك الوقت (٢١) . وابن الناظم يرى رأيا جريئا حقا اذ يقول : « فلو لم يسمع من العرب لكان جديرا بأن يجوز قياسا ، فكيف به واستعماله ثابت (٢٢) ؟

ويخضع علماء النحو واللغة المحدثون لحرية العقل والتفكير التي وجهت منهج علماء الكوفة ، فيرى الاستاذ عباس حسن (٢٣) انه برغم تعارض النكرة وتوكيدها توكيدا معنويا تنكيرا وتعريفا — اذ يرى أن الفاظ

---

(٢١) شرح الكافية لرضي الدين — ج ٣٦٨/١ .

(٢٢) شرح الالفية لابن الناظم / ١٩٨ .

(٢٣) النحو الوافي ج ٤٢١/٣ .

التوكيد المعنوي معارف بذاتها او باضافتها الى الضمير المطابق للمؤكد ، والنكرة تدل على الابهام والشيوع — يجوز — في الرأي الصحيح — توكيدها اذا افادها التوكيد شيئا من التحديد والتخصيص ، اذ يقربها من التعريف نوعا ، والا لا يجوز لانه لا فائدة منه . وكذلك الاستاذ محمد محيي الدين (٢٤) ، فانه يرجح رأي جمهور الكوفيين والاخفش ، لانه موافق للمنقول عن العرب . وايضا فان الاستاذ مصطفى السقا يرضى اتجاه التحرر العقلي والفكري لدى علماء الكوفة ، وكان يؤكده في محاضراته بصدد هذه المسألة .

★ ★ ★

٣ — خلاصة

وبعد هذا العرض يمكن للعقل المتبصر ان يلاحظ بوضوح الفرق بين النكرة الموغلة في الشيوع والابهام ، والنكرة المحدودة الموقتة التي تتألف من أجزاء يصح افتراقها حسا او حكما . ولقد كان الكوفيون موفقين حقا في هذا التمييز بينهما ؛ فأنت ترى الفرق بين ان تقول مثلا « صمت يوما » و « صمت زمنا » ، فان « يوما » هذا يشبه ان يكون معرفة بما هو معروف فيه من تحديد وتوقيت ، بداية من طلوع نهار ونهاية الى مثله ، مكون من اربع وعشرين ساعة موزعة على نهار وليلة ، وفي هذا المجموع تتساوى كل الأيام وتتشابه . وكم كان العقل الكوفي حيا عندما اشترطوا لجواز تأكيد هذه النكرة أن يكون التوكيد من الفاظ الاحاطة والشمول ، لان سقوط بعض هذه الاجزاء او افترقها ، ان حسا وان حكما ، اذ يستوي ان يكون الصيام لبعض هذا اليوم دون بعضه الاخر ، وينتفي ذلك حتما اذا قلنا « صمت يوما كله » ، فيتأكد خضوع جميع اجزاء اليوم الصوم .

---

(٢٤) شرح شذور الذهب ، هامش / ٤٣٠ .

فيعطي ذلك التوكيد فائدة ، كان يحول دونهـا جـواز الافتراق .. وتتضح تلك الفائدة في هذا المثال ومـا يشبهه اذا قارناه بقولنـا « صمت زمنا كُلَّه » ، حيث لا فائـدة هنا علـى الاطلاق ، اذ بقيت كلمة ــ زمـن ــ على اغراقها في الشيوع ، وابهام مداها ، فهي تصـحّ القليل والكثير ، فلا يجـوز توكيدها .

وهذا الفرق الدقيق الواضح بين نوعي النكرة المحدودة وغير المحدودة استوقف العقل الكوفي ليشعب في القاعدة اثباتا للحقيقة التي لم يستطع بين العقل البصري أن ينكرها ، اذ انـه يحسها دامغة ، فراح يتلمس التخريجات المتعسفة التي وصلت بـه الى حد انكار روايـة الشواهد من نحو ، وخوف الخروج على الاصول واختلاطها بغيرها من نحو آخر ؛ لان مجرد دفعهم الشاهد بمحاولة انكار صحـة روايته ، فيـه الدليل على شعورهم بجـواز توكيده ، ولكنهم يتعسفون مغالطـة ومكابرة على اقتناع لايراد التصريح بـه والاعتراف بحقيقته ، خضوعا للضابـط العام الذي يحكم منهجهم في توحيد النظريـة وعدم تفريعها ، وانزلاقا مع الخصومة العلمية التي لا يجـوز أن تبلغ هذا المبلـغ من نفوس العلماء الذيـن يريدون الوصـول الى الحـق .

ترى لو تساءلنا ما المقصود من قولنا « صُمْتُ يوما » ، أهو قصد اثبات الصيام ليوم واحد منعـا لاحتمال التعدد ، أم قصد اثباته ليوم وافٍ غير منقوص ؟ وجواب هـذا السؤال يوضحه ، فيما اعتقـد ، الفرق بين قولنا « صُمْتُ يوما يوما » و « صمت يوما كلَّه » ؛ اذ ان التوكيد اللفظي في المثال الاول يراد بـه ــ مع عدم كونه للترتيب كأن تقول « صُمتُ ــ الشهر ــ يوما فيوما » ، منع احتمال تعـدد ايام الصيام . اما المثال الثاني المؤكد توكيدا معنويا ، فلا شك ان المراد بـه تأكيد اثبات الصيام لليوم بطُولِه ، لا لبعضه دون البعض الآخر . وفائدة هـذا وذاك لا يوجد في حصولها

اي لبس او انبهام ، واللغة يجب ان تسير مع العقل السليم وبه ، وتُخضِع الحس لها كما تَخْضَع له ، وهذا ما راعاه الكوفيون في مذهبهم ، فبابه فيه من الحيوية وخصب التفكير ما يوجب دراسته دراسة علمية ، وتعميم الأخذ به اثراء للغة العربية بمحصوله الجم وزاده الوفير .

واخيرا ، لا اجد ما اختتم به هذا البحث المتعلق بتأبيد النكرة المحدودة بشروطها المبينة ، خيرا من الرجوع الى قول ابن الناظم « فلو لم يُسمع به من العرب لكان جديرا بأن يجوز قياسا ، فكيف به واستعماله ثابت » .

حسني محمود حسين
جامعة اليرموك

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة

في الدورة السابعة والاربعين

١٩٨١

للدكتور عدنان الخطيب

عضو المجمع المؤازر

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والأربعين بمدينة القاهرة ، في المدة الواقعة من ١٨ ربيع الآخر ، الموافق ٢٣ من شباط (فبراير) حتى ٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، الموافق ٩ من آذار (مارس) سنة ١٩٨١ م ؛ عقد خلالها اثنتي عشرة جلسة ، منها جلستا الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لاهم ما دار في المؤتمر من ابحاث واتخذ من مقررات :

اولا — جلسة الافتتاح

كانت جلسة الافتتاح علنية،حضرها جمع من رجال الفكر والادب ومحبي العربية ، والقيت فيها كلمات ترحيبية ، كما عرضت اعمال المؤتمر في دورته السابقة ، والتطلعات المرجوة منه في هذه الدورة .

افتتح الجلسة **الدكتور ابرهيم مدكور رئيس المجمع** ، وبعد ان رحب بالأعضاء المشاركين في المؤتمر ، القى كلمة قال فيها : « **لقد شاء برنامج مؤتمرنا هذا العام ان يوجه النظر نحو لغة العلم** ، وقد استجاب له غير واحد من السادة الباحثين . ولا شك في انا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا . ولم يحظ البحث العلمي قط ، في التاريخ قديمه وحديثه ، بتلك الخطوات التي حققها في العصر الحاضر . . » واردف يقول : « وُظَنّ

خطأ انه **ليس في وسع العربية ان تتابع هـذا السير الحثيث ، وان تؤدي رسالة العلم الحديث** . وربما كان هذا من الاسباب التي دعت الى تأسيس المجامع اللغوية . . » وبعد أن ألمح الأستاذ الرئيس الى رسالة المجمع في تطوير اللغة والنهوض بها ، استدرك قائلا : « ولكن **من الخطأ ان نظن ان المجمع مصنع الفاظ ومصطلحات ، بل جلّ عمله ان يسجل ما استقر عليه عرف العلماء والمتخصصين ، ما دام لا يتعارض مع أصول اللغة** » .

وبعد ان عدد الأستاذ الرئيس بعض القواعد التي اتخذ المجمع منها في وضعه للمصطلح العلمي ، من مثل اجازته الاشتقاق من اسماء الأعيان ، وقياسية المصدر الصناعي ، واباحة دخول « ال » التعريف على « لا » النافية ، قـال : « . . **وفي ضوء هـذا أقر المجمع عشرات الالوف مـن المصطلحات العلمية** ، واخرجها في مجموعات سنوية صعدت الى اثنين وعشرين مجلدا ، يضاف اليها كـل عام مجموعة جديدة » . وختم الرئيس كلمتـه قائلا : « ولم يُهمِل المجمـع لغة الفن والأدب ، فتلك هي رسالته الأولـى . . » .

ثم قرأ **الدكتور مهدي علام، الامين العـام للمجمع،** تقريره السنوي، موجزا فيه الكلام عن نشاط المجمع خلال العام الماضي ، بادئا بما تم في المؤتمر السابق من اعمال ومـا صدر عنه من توصيات ، ثم عرض الجهود التي بذلها مجلس المجمع ولجانـه المتخصصة والتي ستعرض على المؤتمـر في هـذه الدورة .

ثم عَـدَّد الامين العام المطبوعات التي اتم المجمـع طباعتها والتي هي قيد الطبع . ثم أشار الى افتقاد المجمع اثنين من شيوخه ، وهما المرحومان الدكتور أحمد بدوي والشيخ محمد النجار ، والى فوز الدكتور محمد توفيق الطويل بالانتخـاب الذي جرى لملء ما شغر من مقاعد مجمعية

ثم الح الى فوز كل من عضوي المجمع الاستاذ عبـــد السلام هارون بجائزة الملك فيصل العالمية ، والدكتور محمد محمود الصياد بجائزة الدولة التقديريـــــة .

ثم تحـــدث **الدكتور عمر فروخ باسم الوافدين علـــى المؤتمر** ، عن الجهود التي يبذلها المجمعيون في خدمـــة لغة القرآن الكريم وفي الدفاع عنها ؛ ومـــا لبث ان نفث عن صدره صارخا : « وانا الآتي من لبنان يؤلمني أن أقول : **أن اللغة العربية تخوض عندنا اليوم حربا عوانا ؛** ففي (الراديو) وفي (التلفزيون) لا نجد الفصحى الا في نشرات الأخبار وفي عدد من الأحاديث المقورة ، مما يستمع اليـــه قلة من الناس ، أما برامج الترفيـــه التي تصل الى الكثرة من المستمعين فانها تذاع بغـــير اللغة الفصحى » . واردف يقول بلسان كل عربي : « وادعى من هـــذا كله الى الأسى البالغ أن الأخبار التي تذاع من عـــدد من المحطات الأجنبية افصح الفاظا واقوم تركيبا وأصح اعرابا ممـــا نسمعه عندنا في نشرات الأخبار » .

وختم الدكتور فروخ كلمته **مهيبا بمجامـــع اللغة العربية الى المبادرة الى حماية اللغة العربية مـــن الأعاصير الهابة عليها من الشرق والغرب ،** ودعا القادرين على حمايتها بأيديهم الـــى النهوض بواجباتهم ، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .



ثم القى الشاعر الاستاذ محمد عبد الغني حسن قصيدة من روائعه ، ضمنها ترحيبا بأعضاء المؤتمر ، وتمجيدا للعربية ، **ودعوة الى أبنا العروبة الحب والتآخي ونبذ الفرقة والشتات** . كما ضمنها بكاء لحال العربية وما تلقاه من عدوان أعداء ، ونكاية أبناء . وكان مما ورد فيهـــا :

يـا رفيقيَّ سقّياني وهاتا — رشفة في فمي تسرد الحياة
يـا رفيقيَّ هُيِّئا لي بساطا — انني ظامئ .. ظمآنا .. وسنانا ..
وادِيرا الهوى . . . صَبوحا غبوقا — وعشيًّا ، وبكرة ، وغداة . .
اننا ههنا نلوذ من « **الضا** — **د** » بحصن نرجو عليه النجاة
اننا ههنا الى الحب ننحو — تبلُ — والله — ان نكون نُحاة
(**لغة الضاد**) وَحَّدَتْنا قديما — لا ارتنا فيها الحياةُ شتاتا
فهي كانت للسامعين حداءً — وهي كانت للناشئين سلاة
وهي كانت للهائمين على البيـــداء غيثا وموردا ونباتا . .
وَسِعت رقعة الجزيرة رملا — وكثيبا ، وواحة ، وفلاة
ثم مُدَّت الى الحضارة كفّا — فاشاعت ظلاً ، واشتكت رواتا
نَبَّهت نُوَّمًا على صحوة « **الإسـ** — **لام** » دينًا ، وانتشلتهم ثقاة
حَطَّمت بالايمان راس « سُواع » — وجناتيّ « نسر » وذيل « مناة »
واتت بـ « **الكتاب** » سمحا وضيئا — عربيًّا ، ومازرين اداة .
وَقّعَ اللهُ لحنها فاسترقّت — نغمات ، واستمسكت الرواة

★ ★ ★

وسعت ساحةَ العلوم فما كـا — نت نُزورا ، ولم تكن بتاتا
حينما قَدَّمَتْ الى العلم شيئا — لم تُقدِّم بضاعة مُزجاة
انما قدَّمت الى الدهر ما كا — ن بحق لفخرنا مدعاة . .
ايها الباسطون ايدي التآخي — لم تكونوا للعرب الا دُعاة

★ ★ ★

التقيتم هنا . . فكنتم عدولا — وشهودا على الهوى اثباتا
لم تزدكم مرارةُ الخُلْفِ الا — قُربةً للإخاء او إثباتا
ان يكن بعضنا يميل الى الهد — م فما زلتم البُناة الرعاة
بيتنا واسع الرحاب . . فاهلا — بالذي زارنا ، والذي ، والذي . .

★ ★ ★

ثانيـا : المصطلحات العلمية

عُرضت على المؤتمرين خلال الجلسات التي كانوا يعقدونها يوميا ، المصطلحات الفنيـة والعلمية المرفوعة الـى المؤتمر مـن قِبَل اللجـان المتخصصة ، بعد أن اقرّهـا مجلس المجمع . ودرس المؤتمرون تلـك المصطلحات واقروا غالبيتها مُجمِعين عليهـا ، وبعضا منها بالاكثرية ، كما اقروا بعضا آخر بعد تعديله ، واعادوا عددا منها الـى اللجنة التي ... عنها لاعادة دراسته في ضوء المناقشات التي دارت حوله .

مبلغ عـدد المصطلحات التي عرضـت على المؤتمرين (١١٩٨) مصطلحا موزعة بين العلوم والفنون كما يلـي :

١٩١ مصطلحا في علم الفيزياء (الفيزيقا)
١٦ مصطلحا في علم النبات
١٦٦ مصطلحا في علم الكيمياء
١٢٨ مصطلحا في علم الصيدلة
١٢٨ مصطلحا في علم الرياضة
٦٤ مصطلحا في علم التربية
٦٢ مصطلحا من الفاظ الحضارة
٨١ مصطلحا في علم الحيوان
١٧٥ مصطلحا في العلوم الطبية
٦٣ مصطلحا في علم التاريخ
٥٣ مصطلحا في علم الجيولوجيا
٦٧ مصطلحا في علم المياهيات (الهيدرولوجيا) .

ثالثا ـ البحوث

القى عدد من الاعضاء ، خلال مدة انعقاد المؤتمر ، بحوثا شتى في موضوعات شتى . وفيما يلي عرض موجز لها،مع خلاصة لما دار حولها من مناقشات وتعليقات :

١ ـ **لغة العلم** : بحث للدكتور عمر فروخ وثّقه بآيات بينات ليثبت ان **اللغة العربية لغة واحدة ، يستطيع المرء ان يبين بها عن شتى الأغراض والمعارف** ، واذا ما استثنينا مصطلحات العلوم من جهة ، ومعالم البيان ومحسّنات اللفظ من جهة ثانية ، فان لغة العلم حتى تقتضيها هي لغة الأدب ، ولا طائل من التفريق بينهما،وخصّ الواحدة منهما بالبحث والدرس .

وأكد الباحث على ان خدمة « لغة العلم » **لا تكون الا بخدمة الفصحى** ، لغة علم وادب على حد سواء ، لان اللغة في كل منهما لا تختلف عن لاخرى الا بمقدار ما يلتزم العالم في لغته بالوضوح والسهولة ، او بمقدار ما يُلزِمُ الأديبُ نفسَه باستخدام المجازات والمحسّنات اللفظية .

وأثار البحث عدة تعليقات ومناقشات،اشترك فيها كل من الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور ، والاساتذة توفيق المدني ، وعز الدين عبد الله ، واحمد الحوفي ، وعبد الرزاق محيي الدين ، والحبيب ابن الخوجة ، ومهدي علام . وكان المعلقون يجمعون ، خلافا لرأي صاحب البحث ، على ان للعلم اسلوبه الخاص ، ومن ابرز معالمه : **الدقة والسهولة والوضوح** ؛ وهو بهذا يختلف عن الأسلوب الأدبي الذي يستطيع كل اديب ان يطبعه بطابع خاص ينفرد به .

٢ ـ **في الدين والدنيا** : قصيدة للدكتور حسن علي ابرهيم ، بكى فيها شبابا رحل وزمنا فسد ، وندَّد بعدوٍّ فَجَر وصديق غدر ، ثم عزّى

بدنيا تغيرت فيها القيم وانقلبت فيها المفاهيم ، ولا منجاة لأحد من دنسها الا باللجوء الى الله مع الأمل في عفوه ورحمته .

والقصيدة في مجملها من عيون الشعر الوجداني ، تكسوها مسحة من صوفية تدل على نفس مطمئنة راضية بايمانها العميق . وكان أثرها في نفوس المؤتمرين بالغا، فهبوا الى تقديم شكرهم الخاص لزميلهم الطبيب الشاعر مع تهانيهم القلبية .

٣ — **من غرائب الأساليب** : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني، عرض فيه بعض المأثور من الأساليب المستغربة في تاريخ الأدب العربي ، وقد شاعت بين الناس منذ زمن طويل ؛ وجاء الباحث بطُرف سَجَّلها بعض الكُتّاب عن بواعث هذه الظاهرة في الأساليب ؛ ثم بيّن كيف أصبحت غرابة الأسلوب عنوانا على اختلاف لغة العلم عن لغة الأدب ، وعزا شيوع ذلك ، منذ المئة السادسة الى العلماء ، وعلماء النحو منهم بخاصة ، الذين نظموا الأراجيز الألفية بقصد تسهيل حفظ العلوم على طلابها ، وجاء الشراح والمحشون من بعدهم فزادوا الإغراب تعقيدا بدافع التعالُم والاحتفاظ للعلماء بمكانة مرموقة .

ثم عرض الباحث نصوصا حديثة تؤيد غرابة أسلوب بعض الكُتّاب في العصر الحاضر ، رغم انه كان يعتقد بانتهاء أمر مثل هذه الأساليب .

وجرت تعليقات طريفة على البحث اشترك فيها الاساتذة : عبد الرزاق محيي الدين ، ومجدي علام ، واحمد الحوفي ، ومحمد عبد الغني حسن ؛ وذكر بعضهم غرائب من أساليب المعاصرين ؛ وقد اختلفوا في بواعث هذه الظاهرة والدوافع الى اقترافها ، فردها البعض الى ما يطلق عليه اسم « الرمزية » وأكد آخرون على ان مصدرها يكمن في

العجز عن الأداء ، بينما اشار بعضهم الى ان معرفة اسباب الظاهرة يدخل في اختصــاص علمــاء النفس .

٤ ــ **من وحي الزيادة في القرآن الكريم** : بحث مــن ابحاث الاستاذ على النجدي ناصف القَيِّمة ، التي عود المؤتمرين على سماعها في كل مؤتمر .

تناول الباحث المقصد البلاغي مــن زيادة اسم الاشارة في الكثير من الشـعر العربي ، وفي مثل قوله الله عز وجــل :

(أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُــمْ فِيْها خَالِدُونَ) (١) .

وكذلك زيادة (لا) النافية في قوله تعالى : (فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (٢) أو تكرار بعض الجمل في مثل قوله عز من قائــل : (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان) (٣) .

وافاض الباحث في كلامه مؤكدا على ان هذا التكرار وتلك الزيادات ما جاءت عبثا ، بل كل ذلك انما **هو جزء من المعنى المقصود في التنزيل العزيز**

واثنى الدكتور شوقي ضيف أشد الثناء على البحث القيم ، معلنا اتفاقه التام في الراي مع الباحث فيمــا اورده من نفي لوجود حروف للزيادة ، مؤكدا على انه لا يشعر عند تلاوته آية (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان) المتكررة بأي ضرب من الزيادة ، لانها ترد كل مرة بعد ذكر نعم أو آلاء مختلفة ، وكأن كل آية منها تستقل بمعنى جديد ، تأكيدا **لنعم الله التي لا تحصى** .

---

(١) الاية (٥) من سورة الرعــد (١٣) .

(٢) الاية (٧٥) من سـورة الواقعة (٥٦) .

(٣) الآيات (١٣ ــ ١٧) من سورة الرحمن (٥٥) .

واضطر الباحث بعد هذا التعليق لايضاح لبس قد يقع امرؤ فيه، من قرن بحث التكرار مع بحث زيادة الحروف فقال : ان التكرار ليس من الزيادة اصطلاحا ، ولكنه يُعَدُّ منها في المعنى ، لان التكرار اعادة ، والاعادة ضرب من الزيادة ، ولو انها التوكيد .

ه ـــ خطأ القياس : بحث للدكتور اسحق موسى الحسيني . تحدَّث فيه عن العوامل التي تؤدي الى خروج بعض الفاظ اللغة عن دلالتها المألوفة ، ودخول معان جديدة عليها تخالف معانيها السابقة . وجاء بأمثلة عن الفاظ متداولة ، اغلبها كان قد تسرَّب الى لغتنا المعاصرة نتيجة ضعف المترجمين عن اللغات الأوروبية،أو نتيجة تسرعهم في الترجمة .

وعرج الباحث على مفهوم تطور معاني الالفاظ في اللغة ، ولم ينكره بالنسبة العربية ، لان التطور سُنَّة الحياة ؛ ولكنه انكر اشد الانكار ما ينجم عن الترجمة المتسرعة بسبب قياس خاطىء بين العربية واللغة المترجم عنها ، من ظهور الفاظ خاطئة في دلالتها ، او اساليب غير متفقة مع اصول العربية وقواعدها ، ولا تلبث ان تألفها الجماهير ، رغم ما يشوبها من عيوب ، بتأثير وسائل الاعلام الحديثة .

وتساءل الباحث عما اذا كان من الممكن وضع قواعد وضوابط لتصويب (٤) الألفاظ الخاطئة،وتقويم الاساليب المنحرفة عن الاصول العربية، وذلك حفاظا على الفصحى التي نعتز بها ، ومن اهم واجباتنا حمايتها من كل فساد .

---

(٤) التصويب بمعنى تقويم الخطأ وتصحيحه ليس في مسموع اللغة ولم تثبته المعاجم مقتصرة على مفهوم : الحكم بالصواب ، غير انه شاع من أوائل هذا القرن ، فاثبته المعجم الوسيط على أنه مولد ، والمتزمتون يستنكرونه . وعرض هذا المعنى على المؤتمر في دورته السابقة فأقر قبوله لانه يتفق مع قواعد وأصول اللغة ، التي تقر بأن التعدية بالتضعيف تحمل معنى الجعل والصيرورة ـــ انظر قرار المؤتمر في الدورة (٤٦) والتعليل الذي قام عليه قرار لجنة الالفاظ والاساليب.

وأخيرا ناشد الباحث المؤتمرين **الحدّ من تفريخ أمثال تلك الألفاظ والاساليب ، ومنحها شرعية البقاء ، والدخول في المعجم العربي** ، الا اذا وجدت ضـــرورة قصوى .

ولقي البحث استحسانا في نفوس كثيرين من أعضاء المؤتمر ، ولكنه أثار عاصفة من التعليقات المتباينة . وقد وافـــق الرئيس الدكتور ابراهيم مدكور الباحث علـــى كثير من نظراته المبنيّة على متابعة شخصية ، وتساءل مستنكرا : **هل الغيرة على اللغة أن تمنع من تبادل مفاهيم بعض الكلمات مع لغة اخرى اذا كانت بحاجـــة اليها** ؟ ثم أيّد الباحثَ في وجـــوب عدم الاسراف بالأخذ بالجديد مـــن الأساليب والمفاهيم ، مشيرا الـــى وجود لجنة الألفاظ والاساليب وعطائها الملموس ، موضحا منهجها ويتلخص في : « ان الجديد الذي يعيش مـــدة بسيطة لا يُهتمّ به ، ولكـــن الجديد الذي يعيش مـــع الناس ويدخل في التعبير والأفكار مدة طويلة ، يجب أن يُبحث له عن سند وارض يتسنـــد عليها » .

وعلّق الدكتور مهدي علام على البحث **بصعوبة الأخذ بما يطالب به الباحث من وضع ضوابط للأخذ بالجديد** . على أنه يرى شخصيا التفريق بين ما يسمى بـــ « الفرملة » (٥) وما يسمى بـــ « العرقلة » ، فالأولى مقبولة لانها تمنع الجموح ، أما الثانية فمرفوضة لانها تمنع من تطوير اللغة . وأتى بأمثلة ، كان هو نفسه طرفا في حصولها ، مستشهدا بها على أنها عرقلة غـــير مقبولة لانها غـــير منطقية .

(٥) فرمل فعل من الدخيل تستعملـــه العامة في مصر بمعنى (كبح) وقد اثبته المعجم الوسيط في طبعته الاولى وأشار الى أنه من الدخيل ، كما أشار الى عامية (الفرملة) في تعريفه (الكباحـــة) ولكنه في الطبعة الثانيـــة حذف فعل (فرمل) واثبت كلمة (الفرملة) في تعريفه لكلمة (الكباحـــة) دون اشارة الـــى عاميتها .

وانتهت المناقشات بتأكيد من الباحث على انه **شخصيا ليس من** انصار الجمود ، ووضع قواعد غــير عقلانية ، ولكنه يدعو الى **كبح رغبة من يرى تبرير** (٦) **كلّ لفظة تشيع على الألسنة** ، وكلّ اسلوب غريب ولو كان مخالفا لاصول العربيـــة وقواعدها .

٦ ـــ الاكتفاء بجملة التذييل عن جواب الشرط في القرآن الكريم :

بحث للدكتور أحمد الحوفي ، عرض فيه جوانب هذا الموضوع النحوي الهام ، مبينا أن من جملة أساليب البلاغة عند العرب حذف جواب الشرط اكتفاء بالشرط نفســه ، أو بالذيل أو بما يشبــــه الذيل ؛ غير ان الشواهد على هذا الاسلوب **قليلة فيما وصل الينا من الشعر العربي** ، أو فيما بين ايدينا من نثر البلغاء ، بينما شواهده في القرآن الكريم عديدة (٧) . ومن الامثلة التي جاءت في التنزيل العزيز :

١ ـــ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (٨)
فجواب (اذا) هنا محذوف **اكتفاء بدلالة الآية التالية عليه** وهي (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) .

٢ ـــ (إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (٩) وجواب (ان) في هذه الآية محذوف **اكتفاء بمفهوم ما**

---

(٦) التبرير بمعنى التسويغ والتزكية لم ترد في القديـــم من معجمات العربية ، واثبتها المعجم الوسيط على أن هـــذا المعنى : محدث) ثم عرض أمـــر هذه الكلمة على مؤتمر المجمع في دورته الرابعـــة والثلاثين فاقر المعنى الجديد استنـــادا الى قياسية تضعيف الفعـــل للتكثير والمبالغـــة .

(٧) كلمة (عديـــدة بمعنى : معدودة) كما ورد في الامهات مـــن المعاجم ، غير أن مؤتمر المجمع : في دورته الثالثة والاربعين أقر المعنى الشائع للكلمة أي (كثـــيرة) وقد اثبت المعجم الوسيط هـــذا المعنى للكلمة .

(٨) الآية (٤٥) من سورة يس (٣٦) .

(٩) الآية (٣٧) من سورة النحل (١٦) .

بعد الشرط وتقديره : (فأعلم ان من أمنّه الله فهو لا [illegible]
بحرصك) .

٣ ـــ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠)
وجواب (لولا) هنا محذوف **اكتفاء بمفهوم السياق** وتقديره :
(لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة) .

وجرت تعليقات على البحث من قبل بعض المؤتمرين فأثنوا على الباحث وشكروا له بحثه الجيد . واعترض الاستاذ عبد العزيز [illegible] اشارة الباحث الى الشواهد على الموضوع في الشعر العربي اذ لا [illegible] لاي شاهد أمام التنزيل العزيز . فرد عليه بأن [illegible] الاستشهاد بالشعر العربي في تفسير القرآن الكريم امر **فرغ علماء العربية والدين من اقراره** والأخذ به .

٧ ـــ **عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي** : بحث للاستاذ احمد توفيق المدني، ترجم فيه لأحد كبار علماء الجزائر في الفقه المالكي ومن رجال المئة التاسعة للهجرة ، واصفًا اياه بأنه كان في الجزائر مثل أبي **حنيفة النعمان في بغداد** .

بدا الباحث الحديث بمقدمة عن تاريخ هجرة القبائل العربية الى المغرب ، وكان منها « **الثعالبة** » وهم بطن من « **بني هلال** » ، وفيهم وُلِد عبد الرحمن سنة ٧٨٥ وتوفي قبل سقوط الاندلس سنة ٨٧٥ ، ودفن في مدينة الجزائر وله فيها ضريح شهير بزار (١١) .

---

(١٠) الآية (١٠) من سورة النور (٢٤) .

(١١) ترجم للثعالبي أحد معاصرينا أحمد عطية الله صاحب « القاموس الاسلامي » وقال : وينسب اليه مسجد سيدي عبد الرحمن الذي شيده الداي أحمد سنة ١٦٩٦ م .

وعدد الباحث من مؤلفات المترجم له تفسيره للقرآن الكريم ، واكثر من ثلاثين مؤلفا بعضها مطبوع او معروف وبعضها مفقود .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث فضله بالترجمة لهـذا العالم الجزائري ؛ والترجمة لأمثاله جزء هام من رسالة التعريف بالعظماء الذين اسهموا بتكوين تراثنا العلمي محل فخرنا واعتزازنا .

وشكر الأستاذ محمد عبد الغني حسن للباحث بحثـه الممتع ، وعلق عليه بخاطرات سريعة تضمنت لفت الأنظار الـى شخصيات جزائريـة تاريخية هامـة ، مشيرا الى كـل من الأمير عبد القادر الجزائري ، وحفيده جعفر الحسني ، والشيخ طاهر الجزائري(١٢) ، كما اشار الى ثعالبي آخر معاصر هو عبد العزيز (١٣) ، مبديا استغرابه من اغفال السخاوي صاحب « الضوء اللامع » الترجمة لعالم مثـل عبد الرحمن الثعالبـي موضوع البحث القيم (١٤) .

٨ ـ ابن سينا اين اخطأ واين اصاب : بحث للدكتور حسن علي ابرهيم تضمن وصفا لشعور طبيب حديث التخرج قرأ كتاب « القانون » لابن سينا ، تدفعه الرغبة ويصدّه الملل ؛ كان يفهم شيئا وتفوته اشياء . فلما شاب صدغاه وهو يمارس الطـب ويتابع تقدمه ويراقب ثغراته ، متصدرا زملاءه في تدريس بعض علومـه ، عاد الى قراءة الكتاب فابهره

---

(١٢) ان كلا من الشيخ طاهر الجزائري وجعفر الحسني من مواليد دمشق ، وفيها عاشا ثم دفنا ، وكانـا عضوين في مجمـع دمشق ؛ فشاميتهما واضحـة وغالبة على ارومتهما الطيبة التي دفعـت باسميهما الى خاطرة الزميـل الكريم .

(١٣) ان عبد العزيز الثعالبي هو ايضا من مواليد تونس وفيها دفن ، وكان من زعمائها وتونسيته غالبة علـى ارومته .

(١٤) كان الزميل متسرعا في ابداء هذا الاستغراب لان السخاوي ترجـم للثعالبي ، وكانت ترجمته مصدرا لكـل من جاؤا بعده وترجموا لـه . انظر ص (١٥٢) من الجزء الرابع من الضوء اللامع ، من الطبعة المصرية المصورة .

ما حوى وأدهشته عبقرية فذة سبقــت زمنها تشعت فيه بأزمان ، ويبدو له انه لا يصاحب احد معلمي الطب فحسب ، بل هو يقف امام احد عمالقة **الفكـر الانسانـي** .

ويقف الباحث وقفة غير قصيرة عنـد مطلع الالفية نظمها ابن سينا في علوم الطـب حيث يقـول :

الطبُّ حِفظُ صِحَّةٍ بُرْءُ مَرَضْ   من سبب في بدن لقد عرض

وقف الطبيب المجمعي ليحدث زملاءه متسائلا : « وهذا يعني ان الطب ليس علاجا فقط ، وانما هو حفـظ الصحة وتجنب الامراض ايضا ؛ فاشار بذلك الى ما نسميه الان **علم الصحة العامة والطب الوقائي** ، وهو ما لم يكن في مفهوم الطب في عصر ــ ابن سينا ــ واظنه اول طبيب اشار الى اهمية الهواء والرياضة ونـوع الغذاء في منـع الامراض وعلاجها ، وهو ما نسميه اجمالا اليوم **بالعلاج الطبيعي** » .

وهكذا مضى الباحث في حديثه عن ما ادهشه في كتاب « القانون » يشرح لزملائه ما لا يفهمه غـير الطبيب بدون شرح ، وكان مما قاله : « . . كان ابن سينا دقيق الملاحظة الى ابعد حـد ، ووصفه للامراض واعراضها رائع ، حتى تشعر وانت تقرا كتابه انـك تقف بجواره وبجانبك من مرضاك وهـو يصف دقائق المرض . . » وبعد ان عرض بعض الامثلة وجدها في الكتاب قال : « هذه بعض الامثلة اسوقها ولا استطيع الاسترسال في سرد عظمة هـذا الرجل الطبية ، لان ذلـك يستغرق كتابة آخر في حجم كتابه ، ولكني انتقـل الى الجانب الآخر الذي انتقده . . . على ان الذنب ليس ذنبه ، اذ أن كله تقريبا منقول عن اليونان وأهم الهنود . . . » ثم أردف يقـول : « . . كذلك اعجبني من الرجل امانته في النقـل والتزام

السلف ؛ فكان ينسب دائما الــى جالينوس ، وحتى الى غيره من نكرات الأطباء اليونانيين ، كل صغيرة وكبيرة نقلها عنهم . . » .

وقبل ان يختم المتحدث بحثه قــال : « ترى ماذا يقول الطبيب بعد الف عــام من يومنا اذا قدّر له ان يقرأ كتبنــا التي نتدارسها الان ؛ هذا اذا لم يُقْنِ الانسان نفسه بقنابله واطماعه قبل ذلك بكثــير ؟ ! » وتابع يجيب عن هــذا التساؤل : « **لا شك انه سيضحك من جهلنا** ، وقد يجد ان كثيرا مما كتبناه غــير مفهوم له ، ويكفيني ان اقول : **ان اعاجيب تمت اليوم ــ في الطب ــ لم اكن لاحلم بها وانا حديث التخرج** . . » .

ويشكر الرئيس ابرهيم مدكــور باسم الزمــلاء المستمعين للطبيب الاديب مــا امتعهم به من علــم وفكر وحسن عــرض لبعض جوانــب تراثنا العربــي الخالد .

٩ ــ من **خصائص العربية** : بحث للدكتور تمام حسان ، القى فيه نظرة جديدة ــ في ضوء علم اللغة الحديث ــ على خصائص اللغة العربية ، فكان بحثــه تحديثا (١٨) ــ على حــد تعبيره ــ لفكر قديمة وانشاءً لافكار لم يسبق ان تطرق اليها القدماء .

عدّد الباحث خصائص العربية جامعا اياها في الثلاث التاليات :

اولا ــ تدرّجيّة التنظيم : وعنى بها ان العربية لغة ذات نظام كلي يشتمل على انظمة فرعية متدرجة ؛ فالصرف فيها مثلا يسبــق النحو ؛ مشرح جوانب هــذا التدرج .

(١٨) فعل حدّث المضعف لم يرد في معجمات العربية الا بمعنى : التكليــم ، اما معناه الشائع اليــوم عند كثير من الكتاب وفي وسائل الاعلام فهــو : جعل الشيء حديثا ، وسبق ان تصدت لجنــة الالفاظ والاساليب للمعنى الشائع فلم تر فيــه مخالفة لقاييس العربية فقررت اجازته ، وعرض الامر علــى المؤتمر في الــدورة الخامسة والاربعين فقررت الاكثرية رفض قــرار اللجنة .

ثانيا ـــ الاقتصـــاد : وعُني به ان العربية تحاول التعبير بالقليل المتناهي من الالفاظ عن الكثير غير المتناهي من المعاني ؛ وتجري مظاهر ذلك في العربية عن طريق تعدُّد الصيغ، وتنقل الكلم من باب الى باب، الى غير ذلك من الظواهر المختلفة .

ثالثا ـــ مراوغـــة اللبس : وعنى بهـــا قدرة العربية على دفع اللبس الناشىء عن خاصية الاقتصاد بالقرائن وحسن العرض والبلاغة ، حتى اذا مـــا تولى العربية مـــن لا يحسنها كانـــت تراكيبها عرضـــة للبس .

وشـــكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث حديثـــه القيّم المركّز .

١٠ ـــ مجالات اللغة العلمية في اصول البيان العربي : بحث الدكتور عبد الرزاق محيي الدين، بيّن فيـــه اختلاف اساليب الاداء بين العلم والادب تبعا لاختلافهما في الجوهـــر رغم وحدة اللغة فيهما ؛ واذا كان استعمال المصطلحات يميّز لغة الاداء في العلم عن لغـــة الاداء في الادب، فـــان علوم العربية من بلاغـــة وبيان وبديع تكاد تستأثر بهـــا لغة الاداء في الادب .

واخذ الباحث يستعرض **فروع البيان العربية ويعرضها** على مجالات **العلوم، ويبين كيـــف ترفضها لغة الأداء فيها** ؛ فلمـــا بلغ فرع المحسنات اللفظية قـــال بان لغة العلم لا تمانع بقبولها اذا لم تكن متكلفـــة ؛ فان كانت فلسفـــة الادب ترفضها اليوم ، كما ترفض لغةُ العلم كـــلَّ غموض واي كناية ولو عن كلمة يمجها الذوق السليم .

وتلقّى الباحـــث شكر المؤتمرين علـــى بحثه الممتع ، واشترك في التعليق عليه كـــل من الرئيس ابرهيم مدكور والاساتذة مهدي علام ، وتمام حسـان ، ومحمد عبد الغني ، وعز الدين عبد الله .

١١ — **لمحة عن الشعر المعاصر في الجزيرة العربية** : بحث للاستاذ حسن عبد الله قرشي ، عرض فيـــه أسماء طائفة من شعــراء الجزيرة المعاصرين ، منتخبا نماذج غــير مختارة — على حــد تعبيره — من شعر كل واحد منهم ، ملقيا عليها **نظرات نقدية قيمة** .

واشترك في التعليق على هذا البحث الممتع كل من الاساتذة : محمد عبد الغني حسن ، ومهدي علام ، ومحمد محمود الصياد ، واحمد الحوفي.

١٢ — **جولة مع الكتاب العربي** : بحث للأستاذ محمد عبد الغني حسن،عرض فيه أصنافا من الكتب المطبوعة ومنهج فهرسة كــل منها ؛ كما عرض **مناهج تحقيق المخطوطات** ، وما قد يقع فيه المحققون من أوهام ، وما قد تجرّه عليهم السقطات التي تعثروا بها مــن توالي العثرات ؛ وفي بعض هذه العثرات طرافة،وكثير منها يعتبر من الأخطاء الفاضحة .

ثم بيّن الباحث أسلوب المؤلفين في مقدمات كتبهم ، **وفوائد المقدمات اذا وجدت** ، وشعور القارئ، اذا ما افتقد في كتاب مــا المقدمة ؛ كما بين أنواع الاشتراك في التأليف ، وفوائــد الاشتراك وعيوبه ، **وطرق تعداد مصادر التأليف،والبيانات الواجب ذكرها عن المصادر** ، وفوائد بيانها وعيوب التبجح بها ، ومخاطر ذكر مصادر غــير حقيقية .

وختم الباحث كلامه مشيرا الــى كثرة انتاج بعض المؤلفين ، ومزايا سعة الانتاج وعيوبه ، وأخطار اعتماد بعض المؤلفين على الذاكرة دون الرجوع الى النص المكتوب .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور الباحث حديثه الممتــع ، والدال على التتبع وسعــة الاطلاع .

١٣ ــ لغــة العلــم : بحث للدكتور سعيد رمضان عدارة ، العضو في المجمع ، عرض فيــه خصائص الاسلوب العلمــي ، مشيرا الى فضل العرب على العلــم والعلماء ، مؤكدا علــى ضرورة الانفتاح الاصطلاحي ليتم تطوّر لغـــة العلم بتطور الحضارة ؛ ثم عدد السمات الاساسية للغة العلم،وتتلخص فــي :

أولا : الوضوح وما يستلزمه من دقة وتبيين ؛ وأشار الباحث الى المزايا التي تتمتع بها اللغة العربية وتساعد على الوضوح المطلوب .

ثانيا : الايجاز والسلاسة وما يتطلبان من سعة اطلاع ؛ وأشار الباحث الى مزايا العربية التي تساعـــد على ذلك .

ثالثا : وجود مصطلحات ، وبيّن الباحث طُرق وضع المصطلحات،وضرورة الاتفاق على منهج موحد للحصول على مصطلحات موحدة ؛ كما ذكر ما للعربية من مزايا تساعد في وضع المصطلحات .

وشكر الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور للباحث حديثه المفيد .

١٤ ــ حديث القوافي : بحث للدكتور عبد الله الطيب عن الموسيقى في الشــعر وأثر مختلف الانغام في النفس البشرية ؛ تحدث فيــه عن تناسب الفاظ اللغة العربية **بمخارجها الصوتية الدقيقة** مع الموسيقى المؤثرة .

وتناول البحــث عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي صانع العروض **في كشفه للانغام ووصفه لبحــور الشعر** ؛ ودافع الباحث عن هذا العبقري العملاق تجاه من يحاول أن يتطاول عليه **ممن يظنون أن الشعر يمكن ان يكون بــلا موسيقى** .

وكان الحديث ممتعا لعشاق الشعر العمودي ، وتلته تعليقات كثيرة اشترك فيها أغلب الشعــراء في المؤتمر،وخصوصــا الاساتذة : ابرهيم

الحمرداش ، وعبد الرزاق محيي الدين ، ومحمد عبد الغني حسن ، والدكتور شوقي ضيف .

١٥ — بعض فنون التأليف المعجمي : بحث للدكتور مجدي وهبه ، بدأه بذكر سبب اشتغاله بالتأليف المعجمي ، وهو من المهتمين بنقل المعاني من لغة الى اخرى ، وكيف تمت له بعد ذلك **خبرات في صناعة المعاجم** ، فأحب أن يعرضها على زملائه في المجمع . وصناعة المعاجم من اهم الامور التي تدخل في اختصاصاتهم بحكم القانون .

وبعد أن عرض الباحث ما صنعه المجمع من معجمات،وما ينوي صنعه خدمة للمعجم العربي المنشود ، اخذ يسرد تاريخ أشهر معاجم اللغتين الانكليزية والفرنسية الوحيدة اللغة ، موجزا الكلام على أهم التجارب التي مرّت بها واضعو تلك المعاجم،والمناهج التي اقاموا عليها عملهم ، مشيرا الى القيود التي الزموا انفسهم بها .

وانتهى الباحث الى التأكيد على ان **العمل المعجمي الناجح ما هو الا** ثمرة عبقرية **اللغة التي يحتويها المعجم**،والجهود الذي يبذلها صانعه .

وشكر الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور للباحث حديثه القيم وجهوده في خدمة المعجم العربي .

رابعاً : المحاضرات العامة

تضمن جدول اعمال المؤتمر في دورته هذه ، محاضرتين عامتين ، دعي الى حضورهما جمهرة من علماء العربية ورجال الفكر ومدرسي اللغة العربية ، وفتح أمامهم باب الحوار والنقاش العلني ، وكان الموضوع في هاتين المحاضرتين هو :

المحاضرة الاولى ــ تيسير تعليم النحــو

ألقاها الدكتور شوقــي ضيف ، عرض فيها لمشاكل النحو العربي وصعوباته منذ فقد العرب السليقة بعد أن اختلطوا بالاعاجم . وتكلم عن ضعف برامج التعليم الحكومي، وعــن كثرة المواد على طــلاب العلم ؛ وشرح التعقيدات في كتب النحو واسبابها ، مشيرا الى الجهود والمحاولات التي تمّت خلال نصف قرن مضى من أجل تيسير تعليــم النحو . ثم اقترح المواد التي يرى في الأخذ بها تيسيرا حقيقيا في تعليم النحو ، وعدّدها في ضوء طول معاناته لمشاكــل النحو والتعليم .

وعندما فُتح بــاب الحوار ، جرت مناقشات مطولــة ، ايد خلالها المتكلمون بعض مــا جاء في المحاضرة ، وعارضوا بعضا آخر ، وابدى بعضهم آراء جديدة . ولم يخْلُ النقاش من تعريض البعض بالنحو وقواعده ، ومن هــزء بنحو سيبويه وصنعه .

ورد المحاضر علــى المتكلمين واحدا واحدا ، وختم كلامــه قائلا : « . . لقد دَوَّن اجدادنا التراث السليم الذي تركوه لنا على هدى قواعد سيبويه ، واننا لــن نستغني عن النحو مــا دامت الفصحى ؛ والفصحى ستظل ، باذن اللــه ، خالدة ، وسيظل النحو العربي خالدا ، كما ستظل المحاولات لتيسيره على الناشئة جادة متواصلة » .

المحاضرة الثانية ــ لغــة الصحافة

القاها الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، احد شيوخ الصحافة في مصر ، تحدث فيها عــن تاريخ الصحافة المصرية ، وانقسامها في الالتزام بلغة الصحافة في عهدها الذهبي ايــام روادها الأعلام ، ثم تكلم عن العهود التي أخذت فيها لغــة الصحافة بالتدنّي ، وتعنى كثيرا بالخبر الجديد وبالقصص المثيرة اكثر من عنايتها باللفظ الفصيح والاسلوب الرفيــع .

وعند فُتح باب الحوار اشترك عدد من الحضور في المناقشات ، وساهموا في تعداد اسباب تدني لغة الصحافة ، واختفاء المجلات التي تعنى بالأساليب المتينة والأدب الرصين . وكادت الآراء تجمع على أن النظام السياسي اثرا كبيرا على لغة الصحافة ، وعلى أن الديمقراطية السياسية من أهم البواعث على ارتقاء هذه اللغة .

خامسا : المعجم الكبير

عُرض على المؤتمرين ما انهى مجلس المجمع دراسته والموافقة عليه من مواد المعجم الكبير ؛ وهي المواد المبتدئة من اول الجيم والزاي المضعفة الى نهاية حرف الجيم واللام مع التاء .

واستمع المؤتمرون الى الملاحظات التي قدّمها الدكتور عدنان الخطيب، ثم الملاحظات التي قدّمها الأستاذ حمد الجاسر ، والتي اثارت نقاشا حادا حول منهجية المعجم الكبير في نقل المواد الثابت تصحيفها في المعاجم القديمة ، او في نقل التعريفات الخرافية،او التي لا يقرها العلم .

ولم يَنْتهِ النقاش الى موقف حاسم صحيح ، لسبق اقرار منهج للمعجم الكبير ، وإن كان هذا المنهج غير مفصل ولا دقيق . وقد احيل الامر على لجنة المعجم النظر فيه .

سادسا : اعمال لجنة الاصول

نظر المؤتمرون في الموضوعات التي اقرتها لجنة الاصول ووافق عليها مجلس المجمع . وفيما يلي موجز عن تلك الموضوعات وما انتهى اليه المؤتمر بشأنها :

الموضوع الأول — حذف تاء التأنيث من المؤنث المجازي المصغّر

كانت لجنة الأصول ، بناء على طلب لجنة الطب ، انتهت بعد الدراسة الى القرار التالي :

« يؤثر الطبيون في بعض المصطلحات العلمية عدم الحاق التاء بالمؤنث المجازي المصغر عند الحاجة ؛ ومن ذلك استعمالهم « أذين » تصغيرا لأذن .

وترى اللجنة ان جمهرة اللغويين نصوا على جواز مثل ذلك اذا أدى ظهور التاء الى الالتباس ؛ وتسجل معجمات اللغة جملة من المؤنثات المجازية المصغرة تزيد على العشرة غير ملحق بها التاء (16) » .

ثم اتخذ مجلس المجمع قرارا بالاكثرية عدل فيه قرار اللجنة كما يلي :

« يجوز **حذف تاء التأنيث من المؤنث المجازي ، في المصطلح العلمي ، اذا ادى ظهور التاء الى الالتباس** » .

وجرت مناقشات حادة بين طائفتين من الاعضاء ، تدافع الأولى عن قاعدة نحوية ، ولا ترى ضرورة لتحويل استثناء فيها الى قاعدة جديدة ، وترى الطائفة الاخرى ان التحويل المقصود هو مجرد رخصة مقصورة على المصطلح العلمي .

وعند عرض الموضوع على التصويت تقرر **قبول قرار المجلس بالاكثرية** .

---

(16) من هذه الأمثلة : قوس ، وحرب ، وشجر ، تصغر على : قويس ، وحريب ، وشجير ، ولا يقال شجيرة ، كما تقتضي القاعدة ، خوف الالتباس مع مصغر شجرة .

الموضوع الثاني — النسبة الى المثنى في المصطلحات العلمية

اتخذت لجنـــة الأصول ، بطلب من لجنة الطـــب ، القرار التالي :

« ينسب بعض العلميين في المصطلحات العلمية الى المثنى على لفظه دون رده الى مفرده ، كما تقضي بذلك القواعد السائدة ، ايضاحا للدلالة ، كما في اذيناني . وترى اللجنة اجازة ذلك تنظيرا بين المثنى والجمع . . (١٧) »

وعندما عرض قـــرار اللجنة على مجلس المجمـــع قرر الموافقة على الصيغـــة التاليـــــة :

« يجوز في المصطلحات العلمية ونحوهـــا ان **ينسب الى المثنى على لفظه دون ردّه الـــى مفرده** ، كما تقضي بذلك القواعد السائدة ، **ايضاحا الدلالة** كما في اذيناني ؛ **وترى اللجنة اجازة ذلك تنظيرا بين المثنى والجمع** ، اذ أن المجمع اقر من قبل ان ينسب الى الجمـــع بلفظه عند الحاجة كارادة التمييز (١٨) ، على ان يلزم المثنى الالف في هـــذا التركيب ، لان الاعراب عندئذ يكون علـــى الياء ؛ ذلك ان المثنى العادي فيه لغة باعرابه بالألف في جميـــع الأحوال (١٩) » .

وجرت بعض المناقشات تذييلا للمناقشات التي تمت حول الموضوع الأول ، وعند التصويت **تمت اجازة القرار بالاكثرية .**

---

(١٧) نسب العرب الى الجمع فقالـــوا : انصاري ، ومعافري ، وكلابي ، نسبة الى قبيلة كلاب ، دون رد الكلمة الى المفرد خوفا من الالتباس مع النسبة الى قبيلة كلب .

(١٨) كان المجمع في الجلسة السابعة عشرة من دورته الثانية اتخذ القرار التالـــي : « المذهب البصري في النسب الـــى جمع التكسير أن يُـــرَدّ الى واحده ، ثم ينسب الى هذا الواحد . ويرى المجمـــع أن ينسب الـــى لفظ الجمع عند الحاجة ، كارادة التمييز او نحـــو ذلك » انظر أسانيد هـــذا القرار ، وبحث الشيخ محمد الخضر حسين في الاحتجاج اسه في الجزء الثاني مـــن مجلة مجمع مصر .

(١٩) لم يرد عن العرب كلمات منسوبة الـــى المثنى سوى بحراني نسبة الـــى البحرين ، ولكنهم لجأوا اليه استثقالا لكلمـــة بحريني . انظـــر بحث الدكتـــور شوقي ضيف المقدم الـــى المؤتمر في هـــذه الدورة .

الموضوع الثالث ــ (لا) في محدث الاستعمال

عُرِض على المؤتمر قرار لجنة الاصول التالـي :

« **يجري في الاستعمال المعاصر مثل قولهم** : اللامعقول مذهب من مذاهب الادب ، كان عملا لا اخلاقيا ، تصرّف لا شعوريا (٢٠) .

ويجوز في هذه الأمثلة السابقة وما يشبهها احد وجهين :

ا ــ اعتبار (لا) النافية غير عاملة على ان **يعرب ما بعدها** بحسب **موقعه** ممـا قبلهـا .

ب ــ اعتبار (لا) مركبة مع ما بعدها ؛ **ويعرب المركب** بحسب **موقعه** **في الجملـة** » .

وبعد مناقشة سريعة **اقـر المؤتمرون هذه الاجازة بالاجماع** .

الموضوع الرابع ــ الجمع بين لم ولن او لا ولن

عرض علـى المؤتمر قرار اللجنة التالـي :

« يــرد في التعبير العصري مثل قولهم : ان صورتها لم ولن تغيب عني ؛ ومثل قولهـم : ان موقفك لا ولن يغير رايي ؛ ويرد علـى هذين التعبيرين ، الجمع بين لم ولن ، أو بين لا ولن ، ولم يرد ذلك في المأثور ، وترى اللجنة تسويغ الصيغتين على انهما من باب تنازع العاملين معمولا

---

(٢٠) للمؤتمر ثلاث قرارات سابقة في موضوع (لا) النافية وهي :

الاول : اتخذ في الدورة الثانية ونصـه : « يجوز دخول (أل) على حرف النفي المتصل بالاسم ، واستعماله في لغة العلم ، مثل : اللاهوائي » .

الثاني : اتخذ في الدورة الثامنة ونصـه : « في ترجمة المصدر [illegible] الذي يدل على معنى النفي ، تقرر وضع كلمة (لا) النافية مركبة مع الكلمة المطلوبة ، فيقال مثلا : اللاجنن واللاعقلة » .

الثالث : اتخذ في الدورة الحادية عشرة ونصه : « يجوز استعمال (لا) مركبة مع الاسم المفرد اذا وافق هذا الاستعمال الذوق ولم ينفر منه السمع » .

واحدا ، أخذاً برأي البصريين الذي يجعل العمل في المعمول للعامل الثاني ، مع السعة في تطبيق تلك القاعدة علـى الحروف » .

وجرت مناقشات ، واختلف رأي الاعضاء حول ادخال التعاول في باب التنازع او في باب المحذوف (٢١) ، وعرض الأمر علـى التصويت فأجازت الأكثرية قـرار اللجنة كمـا عرض .

وانهى المؤتمر النظر في اعمال لجنة الاصول بشكر الرئيس ابرهيم مدكور اللجنة على جهودها في الدراسـة والبحث .

سابعا : اعمال لجنة الالفاظ والاساليب

نظر المؤتمر في اعمال لجنة الالفاظ والأسـاليب المحالة عليه من قبل مجلس المجمع ، وفيما يلي نص القرارات الصـادرة عن اللجنة ، وموجز لما اتخذه المؤتمـر بشأنها :

القسم الأول : الالفاظ

١ ــ الموسوعـــة

نص قـــرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال كلمة الموسـوعة ، مراداً بها الكتاب الذي يحوي معارف موسوعة في موضوع واحد ، أو في موضوعات متعددة ، كما تطلق على ما يسمى الان دائرة المعارف ، فيقال : الموسـوعة الميسرة ، وقسم موسوعي للأعلام التاريخية والفقهية ، وموسوعة الفقه الاسـلامـــي .

---

(٢١) أي حذف معمول العامل الاول فيكون اصل المثـل الأول : ان صورتها لم تغب عني ولـسـ تغيب عنـــي .

وقد يتردد الناقد اللغوي في قبول هذه الكلمة لانها ليست في مأثور اللغة ، او لان الموسوعة مفعولة اطلقت على الوعاء او المحل ، وهو الكتاب ، في حين ان الموسوع هو المحتوى او المادة التي يشتمل عليها الكتاب ، لانه يسعها او يتسع لها .

ولما كان في المعجمات قول العرب : وسع الله عليه رزقه يوسعه وسعا : **بسطه فالرزق مبسوط ويمكن القياس عليه** فيقال : وسع المؤلف الكتاب ، **فالكتاب موسوع** . وقولهم هذا الوعاء يسع عشرين كيلا ، وهذا الوعاء يسعه عشرون كيلا، فالوعاء في المثال الثاني موسوع بدلالة المفعولية . واللجنة **تجيز استعمال الموسوعة بمعناها العصري** في دلالتها على المادة الواسعة او الموسوعة او المتسعة » .

وعقب تداول الراي ، اعلن الرئيس **موافقة المؤتمرين** بالاجماع على القـــــرار .

ب ـــ منضـــدة

تلي قـــرار اللجنة الآتـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال منضدة ومناضد ، مرادا بها **نوع من اثاث البيت توضع فوقـــه الاواني** او الادوات بنظام معين .

ويؤخذ على هذا الاستعمال انه لم يرد مفردا او جمعا في المعجمات ، وقد ورد الجمع في قول مزرد بن ضرار الغطفاني :

وعهدي بكم تستنفعون متاغرا ... من المحض بالانفحة فوق المناضد

وربما قصد بالمناضد هنا الأسِرّة التي يجلسون عليها .

وأما المعجمات فقد ذكرت الفعل من هذه المادة وهو : نضد المتاع ينضده نضداً ونضّده تنضيداً : جعل بعضه على بعض ، والنضد بالتحريك : ما نضد من متاع البيت ، وكذلك السرير ينضد عليه المتاع أو الثياب ، والجمع أنضاد . من هذا العرض ترى اللجنة ما يلي :

أولا : اجازة استعمال مَنْضَدة على مَفْعَلة ، بفتح الميم والعين من وجهين : أحدهما أنها اسم مكان من الفعل نضد ينضد ، بكسر المضارع ، وإن كان القياس (منضِد) على مفعِل بكسر العين ، تعديلا على أن في المسموع من أسماء المكان ما جاء على وزن مفعَل ، بفتح العين ، مع أن ماضيه من باب ضرب .

والثاني : انها صيغة على وزن مفعلة للمكان يكثر فيه النضد ، وهو أثاث البيت ومتاعه ، وقد سبق ان اقر المجمع هذه الصيغة للمكان يكثر فيه الشيء قياسا .

ثالثا : اجازة منضدة على مفعلة اسما للآلة ، من قبل ان الأواني والأدوات والمتاع توضع فوقها ، فتصير بذلك معدة للأكل عليها او اللعب او الجلوس ، فكأنها مما يعالج به الشيء وينقل » .

واعلن الرئيس موافقة المؤتمرين على القرار بالاجماع .

ج — القيمة والقيم

تلي قرارا اللجنة التاليان :

١ — القيمة

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال القيمة والقيم للدلالة على الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الانساني .

ويؤخذ على هذا الاستعمال انه لم يرد في المعجمات بهذا المعنى ، وانما الذي ورد فيها للفظ القيمة معنيان ، اولهما : ان قيمة الشيء ثمنه ، والثاني : **الثبات والاستقرار** . قال الفيروز ابادي ما له قيمة : اذا لم يدم على الشيء . ولما كان وزن المرء مرتبطا بما فيه من فضيلة ، ووزن الامة بما فيها من فضائل ، صارت لهما سجايا ثابتة لا تتغير ؛ وكذلك الفنون لما كانت تقوم بما فيها من سمات تتفق مع حياة الجماعة الانسانية ، فان العلاقة قائمة بين المعنيين القديم والحديث ، وقد استعمل الجاحظ القيمة بهذا المعنى في موضعين من رسالته « كتمان السر وحفظ اللسان » « تدبرت اعراقك ، وتأملت شيمك ، ووزنتك فعرفت مقدارك ، وقومتك فعلمت قيمتك ، فوجدتك قد ناهزت الكمال » .

« اغتياب الناس جميعا خلة جور في الحكم ، وسقوط في الهمة ، وسخافة في الرأي ودناءة في القيمة » .

ومن هنا ترى اللجنة أن استعمال القيمة والقيم للدلالة على هذا المعنى المحدث **جائز من قبيل المجاز المرسل** » .

٢ — **القيِّم**

« تشيع كلمة القيِّم بمعنى **الجيد ، او ما له قيمة ممتازة** . والثابت في اللغة ان القيم هو المستقيم ، ومنه الدين القيم او دين القيمة ، اي الملة المستقيمة الفارقة بين الحق والباطل . وترى اللجنة **اجازة الاستعمال** العصري لكلمة (القيم) تعويلا على ما جاء في مستدرك التاج من قوله قيِّم : حسن ، والعلاقة واضحة بين الاستعمال والمأثور باعتبار ان الجودة أو الحسن أو الامتياز ثمرة الاستقامة » .

وبعد مناقشة وجيزة اعلن الرئيس **اجماع المؤتمرين على قبول قراري اللجنة** .

د — صفراوي وصفرائي

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يرى بعض العلميين اذا نسبت الى الصفراء اسما — وهي احدى مواد الجسم الاربعة : الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، ضرورة النسبة الى الصفراء علـــى لفظها ، وهـــي الاسم تمييزا بين المنسوب الى الصفة وهي الصفراء ، لما يترتب على ذلك من فروق علمية .

وقد يؤخذ على ذلـــك ان القاعدة عند جمهـــرة النحو والتصريـــف اذا نسبوا الـــى المختوم بألف التأنيث الممدودة ، **فانه يجـــب قلب الهمزة واوا** ، فيقولون في حمراء وصفراء وزرقاء : حمراوي وصفراوي وزرقاوي . وقد نقل أبو حاتم السجستاني أن من العرب من يقول : حمرائي وصفرائي ، فيقر الهمزة من غـــير قلب تشبيها بألـــف كساء . لذلك ترى اللجنة انـــه **يجوز عند الحاجة، كالتمييز بين الاسم والصفة، أن ينسب الى هـــذا الضرب المختوم بألف التأنيث الممدودة ببقاء الهمزة كما هي ، دون أن تقلب واوا .** ويضاف الى ذلك أن المجمع سبق له أن أجاز مثل هذا التوجيه في النسبة الى كيمياء ، اذ يقال كيميائـــي (٢٢) » .

وبعد مناقشة هادئة **وافق المؤتمرون على اجازة هـــذا القرار .**

هـ — تُوُفِّيَ والمتوفَّى

تلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـــي :

« يشيع في الاستعمال المعاصر قول المتحدثين **تُوُفِّيَ فلان ، بالبناء** المعلوم ، فهو متوفٍّ . ويأخذ بعض النقاد على هذا الاستعمال **أن المسموع**

---

(٢٢) يقال في النسبة الى كلمـــة كيمياء : كيميائي ، وكيمياوي ، وكيماوي . انظر بحث الأب ماري انستاس الكرملي في الدورة السادسة ، وقـــرار المؤتمر فيها : وانظر أبحاث المجلس في الدورة الخامسة عشرة وقراره في الدورة الخامسة والعشرين . ومن الطريف أن المعجم الوسيط أثبت صيغتي النسبة الاولى والثانية وأغفل الثالثة .

في **اللغة تُوُفِّيَ ، ببناء الفعل للمجهول ، فهو متوفًّى** ، بصيغة اسم المفعول . والتعبير الشائع سائغ في قراءة ابي عبد الرحمن السلمي (٢٣) مرفوعة الى علي بن ابي طالب في قوله تعالى (والذين يَتَوَفَّون منكم) (٢٤) وقد وجه هذه القراءة لغويا ابن جني (٢٥) والسخاوي الذي زاد ان تَوَفَّى بمعنى [illegible] اجله ؛ ومجيء تَفَعَّل المضعف المزيد التاء بمعنى استفعل نص عليه الرضي ؛ وما قاله السخاوي (٢٦) في ((الاعلان)) فلان المستوفي . وانت في فتح التا وكسرها بالخيار . وترى اللجنة أن كلا من التعبيرين صحيح لا غبار عليه .

وجرت مناقشات حادة بين مؤيدي القرار ومعارضيه ، واشترك في معارضته كل من الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وعبد الرزاق محيي الدين ، ومهدي علام . واضاف الدكتور عبد الله الطيب **ان القراءة المستند اليهــا شاذة** (٢٧) **ورفض قبـول ان عليـا كرم اللـه وجهه قـرا بهـا** (٢٨) ؛ وبعد عرض الامر على التصويت قررت الاكثرية **رفض قرار اللجنـــة .**

---

(٢٣) هو محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري ، من علماء المتصوفة ، ومن كبار المؤلفين ، توفي سنة ٤١٢ ، ترجم لـه الزركلي في الأعلام ج ٦/ ٢٣٠ .

(٢٤) الآية (٢٣٤) من سورة البقرة (م) .

(٢٥) ابو الفتح عثمان في كتابه « المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها » طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بتحقيق الاساتذة علي النجدي ناصف ، وعبد الحكيم النجار ، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي . القاهرة ١٩٦٦ ــ ١٩٦٩

(٢٦) هو المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢ ، وقد [illegible] في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

(٢٧) جاء في الصفحة (١٢٥) من الجزء الاول من كتاب المحتسب : « ومن ذلك ما رواه أبو عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) : « والذين يتوفون منكم » بفتح الياء .

قال ابن مجاهد : ولا يقرا بها .

قال ابو الفتح : هذا الذي انكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز ، وذلك انه على حذف المفعول » .

(٢٨) لم اجد في ما بين يدي من كتب القراءات أي اشارة الى الطريق الذي رفع فيه السلمي روايته الى علي بن ابي طالب . اما محققو كتاب المحتسب فقد ترجموا لجميع الاعلام الواردة اسماؤهم فيه ، ولكن فاتهم العثور على ترجمة

و — جَمَّد وتَجَمَّد

تلي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : **تجميد الارصدة** ، **تجميد** اموال الشركة ، تجميد التركة ، بمعنى منع حق **التصرف فيها جميعا** . ومثل قولهم تجمُّد السائل والماء ، **بمعنى صلابتهما بعد أن كانا سائلين** . ويؤخذ على هذين التعبيرين أن الفعلين جَمَّد وتَجَمَّد غير موجودين بالمعاجم .

وطبقا لقرار المجمع في « **جواز اكمال الاشتقاقات في مادة لم ترد في المعاجم ، وجواز تضعيف الفعل التعدية ، وقياسية المطاوعة** »والمعروف من أن تعدية الثلاثي تفيد التصيير الى الشيء ، مثل قوَّاه جعله قويا . وعليه يقال : جَمَّد الشيء وجعله جامدا والمصدر التجميد .

وترى اللجنة ان قول المعاصرين تجميد المفاوضات ، بمعنى وقف اجرائها ، وتجميد الأنشطة ونحوها ، **جائز من طريق المجاز** ، أما قولهم تَجَمَّد السائل والمائع **فجائز من باب المطاوعة** يقال : جَمَّد السائل فتَجَمَّد تجمُّدا » .

وعرض هذا القرار على التصويت **فقبل بالاجماع** .

ز — تربوي وتنموي

تلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلي :

« يشيع في لغة علماء التربية والاقتصاد مثل قولهم في النسبة الى تربية وتنمية « **تربوي وتنموي** » . وقد يؤخذ على هاتين النسبتين وما

للسلمى بينهم ، غير اني وجدت الزركلي ينقل في الاعلام قول الذهبي عنه : « شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . قيل : كان يضع الاحاديث للصوفية » كما نقل عن كتاب التبيان لبديعة البيان لابن ناصر الدين قوله : « هو حافظ زاهد لكن ليس بعمدة » والكتاب مخطوط في مكتبة أحمد عبيد ، وعليه استدراك بقلم ابن حجر العسقلاني . انظر الاعلام ج ١٠ ص ٢٨٦ .

شاكلهما انهما تخالفان المشهور من فصيح العربية ، فالمقرر في النسب الى المنقوص الذي رابعه ياء احد وجهين :

الأول : **ان تحذف الياء** فيقال : قاضي .

والثاني : **الا تحذف الياء بل يفتح ما قبلها وتقلب هي واوا** ثم تضاف ياء النسب فيقال : قاضوي . ولما كان اسمال هذه القاعدة على تربوي ، وتنموي يجعلها مشاكلة لما أثره سيبويه في نحو : عرقوه ، وقرنوه ، وقد ضم ما قبـل الواو في المنسوب وفتح عند النسبة : ترى اللجنـة ان النسبة الى مثل تربية ، تنمية وتزكية : تربوي ، تنموي ، تزكوي **صحيحة الاستعمال** » .

وبعد مناقشة سريعة **قبل القرار بالاجماع** .

ح ـ تحديد معنى النَّسَب وعلاقته بالمصاهرة

تُلي قرار اللجنة الآتـي :

« يشيع في اللغـة المعاصرة استعمال كلمة النَّسَـب مرادا به المصاهرة ؛ فيقال بين فلان وفلان نَسَب ، وفلان نسيب فلان ، **اي صهره** ؛ ويؤخذ على هـذا الاستعمال أن اللفظتين مختلفتان في الدلالة ، فالنَّسب عند جمهور أهل اللغة هـو القرابة ، أي قرابة الدم والقربى في الرحم ، **والمصاهرة هي القرابة الزوجية** ، والصهر اهل بيت المرأة وقرابات النساء .

ولكن ورد في المصباح والمعيار ما يفيد اطلاق النَّسب على معنى القرابة . يقول الفيومي : استعمل النسب وهو المصدر في مطلق الوصلة بالقرابة ، فيقال : بينهما نَسَب اي قرابة ، ومن هنا استعيرت النسبة في المقادير لانها وصلة علـى وجه مخصوص . ويقول الشيرازي : يستعمل النسب في مطلق الوصلة والقرابة ، فيقال : بينهما نسب ، اي قرابة ، سواء جاز بينهما تناسب أم لا . ومن هنا استعيرت النسبة في المقادير .

وبناء على ما جاء في المصباح والمعيار من اطلاق النسب على القرابة عامة ، ترى اللجنـــة : ان الاستعمال المعاصر للفظة النسب في معنـــى المصاهرة ، والنسيب في معنى الصهر **جائز من باب التوسع والتعميم** » .

وجرت حول هذا القرار مناقشات حادة اشترك فيها عدد من الزملاء ، فقال الدكتور عمـــر فروخ : « اذا كان اللـــه جل وعلا **فرق في المعنى بين اللفظين** فقال : (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا)(٢٩) فما بالنا نجري وراء العامة في الخلط بينهما ! ! » .

وانتهت المناقشات **برفض الاكثرية للقرار** .

ط ـــ خصوم الُدّاء واعداء الُدّاء

على قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : خصوم الُدّاء واعداء الُدّاء ، يعنون انهم **قد اشتدت بينهم العداوة والبغضاء** . ويؤخذ على هذا التعبير امـــران :

احدهما : ان اللدد لم يرد في مأثور اللغة الا في معنى اشتداد الخصومة والجدل ، لا اشتداد العداوة . وهناك فرق بين الخصومة والعداوة وبين الخصـــم والعـــدو .

والثاني : ان كلمة الألداء جمعا لم ترد في معجم لغوي ، وكذلك لم يرد في مادة اللدد مفرد يجيء جمعه على افعلاء ، والجموع المسموعة المنصوص عليهـــا هي : لُدّ ، ولِداد ، ولِدّة ، والمسموع في مفردها : الد ، ولدود

وترى اللجنـــة **اجازة هذا التعبير** باعتبارين :

---

(٢٩) الآية (٥٤) من سورة الفرقان (٢٥) .

الأول : ان استعمال اللدد مسندا الى العداوة ، مع انه في اصل استعماله يسند الى الخصومة ، انما هو من قبيل الاتساع ، ومراعاة لمعنى الشدة في دلالة اللدد ، ومراعاة لان العداوة مشبهة الخصومة ، وان الخصومة من دواعي العداوة .

ثانيا : جاء الفعل « لد » لازما ومتعديا بمعنى واحد ، هو اشتداد الخصومة والجدل . وجاء الوصف من اللازم : الد ، وجمع على لد ولداد ، وجاء الوصف من المتعدي : لدود وجمع على الدة .

وآذا كان لَدَّهُ بمعنى خاصمه مسموعا ، فانه يمكن لنا ان نصوغ من الفعل المتعدي بناء للمبالغة على وزن فعل ، فنقول : لدده ، وعندئذ يكون من اليسير ان يجيء الجمع الداء قياسا سائغا » .

وجرت مناقشات بين معارضين لهذا القرار او التخريج الذي جاء به ومن يدافع عنه ، ولما عرض على التصويت **قررت الاكثرية رفضه**

ي ـ المُعَمَّر

تلي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : نباتٌ معمَّر وشجر معمّر والمسموع في اللغة أن ذلك على صيغة اسم الفاعل ، ولكن تخريج الاستعمال العصري يستند الى ان اللغة اثبتت فعل عَمَّر مجردا لازما ، وتضعيف فعل للتكثير والمبالغة قياس مجمعي . على ان في مستدرك التاج ما يدل على ان ذلك مسموع ، وربما كان هذا **علة اثباته في معجم اقرب الموارد** » .

وجرت مناقشات حول هذا القرار واستنكره عدد من الاعضاء فلما عرض على التصويت **قررت الاكثرية رفضه** .

١ — ترسّم فلان خطا فلان

الي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قول الكتاب : ترسم فلان خطا فلان » ، بمعنى تتبعها ، واقتفاها ، وسار عليها . ويرد على هـذا الاستعمال انه ليس واردا بهـذا المعنى في المعجمات ، وانما الموجود فيها ترسم الرسم : نظرا اليه ، وترسمت المنزل : تأملـت رسمه وتفرسته . وفيها ايضا : رسمت له كذا فارتسمه اذا امتثله ، وانا ارتسم مراسمك : لا اتخطاها .

ولما كان الترسم والتأمل كثيرا ما يؤدي الى المتابعة والمحاكاة ، فان اللجنـة تقر استعمال هذا التعبير محل النظر على اساس المجاز المرسل باطلاق السبب على المسبب » .

وجرت مناقشات حول المفهوم الدقيق لهذا التعبير ، وان جملة : ترسم خطاه تعني نهج نهجه ، وعرض الأمر على التصويت فاقر بالاجماع .

ب — فحص الشيء

تلي قـرار اللجنة التالـي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم (فحص الخبير الانتاج العلمي) مرادا بـه بيان قيمة العمل العلمي . وقد يؤخذ على هـذا الاستعمال ان الفعل فحص تعدى بنفسه ، مع انه في المعاجم متعد بحرف الجر « عن » . ففي اللسان : فحص عنـه كمنع : بحـث . وتقول فحصت عن فلان ، وفحصت عن امره لأعلم كنـه حاله .

وترى اللجنة ان **قول العرب : فحص المطر التراب ، كافٍ لاجازة التعبير محل النظر على سبيل المجــاز** ، لان فاحص الانتاج العلمي يقلّبه ليردد النظر فيه كما يقلب المطر التراب » .

واستنكر بعض الاعضاء هذا القرار ، ولما عرض على التصويت **تقرر بالاكثريـــة قبوله** .

ج ــ شَجْبُ العدوان

تلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهــم : نحن نشجب العدوان ، ويقصدون بــه **أنهم يستنكرون الحرب اشد الاستنكار** . ويؤخذ على هذا التعبير أن الشجب في اللغة هو الاهلاك . وترى اللجنة ان المراد بالشجب في الاستعمال المعاصر هو **الرفض للشيء ، والاستبعاد له** ، والرغبة في محوه لاستنكاره ؛ والمجاز **يتسع لحمل الشجب علــى الاهلاك** ، لانه يلزم من الاستنكار الشديد والرغبة في زواله . وعلى ذلك تجيز اللجنة استعمال الشجب في دلالته المعاصرة » .

وجرت مناقشة حادة حول مفهوم الشجب ، واستنكره البعض ، ولما عرض الامر على التصويت **أجيز القــرار بالاكثرية** .

د ــ الاستشعار مــن بعيد

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلــي :

« يشيع في لغة العلميين مثل قولهم : الاستشعار من بعيد ، وهو مصطلح يعنون به **علم ما على ظهر الارض وما في بطنها** من شيء بوسائل **شتى** ، منها مايتــم عن طريق الذبذبات التي تصدر عن الطائرات ونحوها ،

فتصور ما على الأرض من زروع ، ومبان ، ومعدات ، او تصور ما في جوفها من نفط وماء ومعادن . هذا المصطلح لحداثة استعماله وحداثة عهـده بالحياة قد يؤخذ عليه أنه غير صحيح لغويا في اللغة :

شعرت بالشيء شعرا : علمت به ، واشعرته الامر واشعرته به اعلمته اياه واستشعر خشية الله ، اي اجعلها شعار قلبك .

وترى اللجنة بذلك ان مادة الشعور تحمل معنى العلم ، وان صيغة استشعر واردة . ولذلك تجيز استعمال الاستشعار في دلالته المعاصرة » .

وبعد مناقشة سريعة عرض الامر على التصويت فقبل بالاكثرية

٥ — حتى انـت يا صديقي !

نلسي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : حتى انت يا رفيق الجهاد ، حتى انت يا صديقي !

ويؤخذ على هذا التعبير ان حتى لم يؤثر دخولها على ضمير رفع منفصل او اسم مرفوع في المشهور من قواعد العربية . ولم يرد قبلها كلام فتكون غايـة لـه .

وترى اللجنة اجازة التعبير استنادا لما قال به ابن هشام في تعليقه على بيـت الفـرزدق :

فواعجبا حتى كليب تسبني   كأن اباها نهشل أو مجاشع

فقدر جملة ليكون ما بعدها حتى غاية لها : فواعجبا يسبني الناس حتى كليـب تسبني » .

وبعد مناقشة استشهد خلالها بتعبيرات مأثورة مشابهة ، قررت الاكثرية اجازة هـذا التعبير .

ثامنـا ـــ جلسة الختام

عقد المؤتمرون صباح يوم الاثنين في الثالث من جمادى الاولى سنة ١٤٠١ هـ ، وفق التاسع مـن آذار (مارس) سنة ١٩٨١ م ، جلستهم الختامية ، وفيها عرض الدكتور مهدي علام،أمين المجمع،ما انجزه المؤتمر خلال هـذه الدورة ؛ ثم تليـت اقتراحات الاعضاء وملاحظاتهم ، وكان اكثرهـا تساؤلات عما بلغ المجمع من صدى توصيات المؤتمـر السابقة ؛ وبعضها يطالب بالتأكيد علـى السلطات المختصة فيما يتصل بوسائل الاعلام من اذاعة مرئية ومسموعة وصحافة ، وهي في اغلب البلاد العربية قطاعات عامة تملكها الدولة وتديرها .

وطالب أعضـاء بالعمل على تقوية صلة مجامع اللغة بالعامة ، وبالـ نشر أعمالها وما يصدر عنها من مقررات وتوصيات ، وبالعمل الجـدي على توحيد المصطلحات بين مختلف الاقطار العربية .

ثم اقر المؤتمرون التوصيات النهائية التاليـة :

١ ـــ يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في مصر والوطن العربي بضرورة تيسير تعليم النحو للناشئة في ضوء الصيغة الميسرة التي قدمها الدكتور شوقي ضيف واقرها مجلس المجمع ومؤتمره .

٢ ـــ يوصي المؤتمر بأن تعنى وسائل الاعلام ـــ صحافة واذاعة مسموعة ومرئية ـــ بضرورة الحفاظ على قواعد اللغة العربيـة ، ونطق الكلمات نطقا سليما ، واعداد العاملين بها اعدادا لغويا ومهاريا ، مستعينة في ذلك بالاساتذة المتخصصين في مجالي النحو والصرف .

٣ ـــ ان الحفاظ علـى سلامة اللغة العربية يتطلب مـن الجامعات والمسؤولين في وزارات التعليم ضرورة العناية باستخدام اللغة

العربية السليمة في التدريس ، سواء في فروع اللغة العربية او المواد الاخرى . ومن ثم يوصي المؤتمر بضرورة اعداد المدرسين اعدادا لغويا وصوتيا ييسر لهم استخدام اللغة العربية في التدريس استخداما صحيحا .

٤ — يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر الصحافة ما اخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها الثقافة العربية بعامة . ويوصي كذلك بفسح مجال اوسع لهـا مع ضرورة الاهتمام بما تخرجه الهيئات المتخصصة في مجال اللغة العربية وفنونها المختلفة .

٥ — ان تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى اليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق هو تزويد مكتباتنا بالمصادر العربية القديمة والحديثة ، وتزويدها بفهارس المكتبات الاخرى في العالم العربي ، حتى يتيسر الباحثين انجاز مهامهم العلمية .

وبعد هذا أعلن الدكتور ابرهيم مدكور ، رئيس المؤتمر ، ختام الدورة السابعة والاربعين ، متمنيا للاعضاء الخير والصحة ، آملا اللقاء بهم في الدورة القادمة التي ستعقد ان شاء الله في الاسبوع الاخير من شباط (فبراير) سنة ١٩٨٢ .

الدكتور عدنان الخطيب

المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي

للدكتور عفيف عبد الرحمن
(جامعة اليرموك)

لقد فرضت الصحراء على العرب طباعا واخلاقا خاصة تشربوها ، والزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولا ، ثم صارت لهم على مر السنين جبلة وفطرة ، وصارت لهم عنوانا بين الناس . [illegible] اكتوت الجزيرة بنارها ردحا من الزمن ، حتى [illegible] حياتهم خير صورة :

يُغار علينا واترين فيُشتَفَى ... بنا ان أُصِبنا او نغير على وِتر
قَسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي الا ونحن على شطر (١)

ونستطيع ان نزعم بأن تلك الحياة الجاهلية الخشنة ، والحروب التي اشتعلت ، قد صهرت ذلك المجتمع وتقاليده ، فتمخضت وتكونت مجموعة من القيم والمثل تعارف عليها المجتمع وآمن بها واحترمها والتزم بها . ولكن ذلك لا يعني ان عادات أخرى وتقاليد كانت تصبغ الحياة ، وتصبغها بالظلم والفوضى والسفه لم تكن موجودة . والذي عنيناه بالاعتدال في هذه المقولة هو اللون الاول من اعراف الجاهلية وتقاليدها ، اي الوجه المشرق من تلك الحياة ، لاننا نظلم تلك الفترة من تاريخ امتنا ان نحن أغمضنا اعيننا عن هذا الجانب ، وقلنا ان العرب لم تكن لهم قيم قط ، وانهم كانوا امة تتخبط في الظلام ؛ والا فبم نفسر تلك الايات الكريمة التي تجادلهم وتحاورهم ؟ وبم نفسر دخولهم جميعا في دين الله افواجا في زمن لم يتعد احد عشر عاما ، ثم حملوه الى العالم اجمع ؟

---

(١) حماسة ابي تمام — شرح المرزوقي ٢/٨٢٦ .

ويبدو ان ذاك المجتمع ، بالرغم من تنافر قبائله وتطاحنها ، وعدم تلمسها واحساسها بشعور الانتماء الى اصل واحد ، اتفق على امــور كثيرة وتعارف عليها . وكانوا يجدون من اوقات الفراغ ، ما يجعلهم يحسون بالطمأنينة النسبية مما يجعلهم يشغلون تلــك الاسواق ، ويعمرونها بالبيع والشراء والاستماع الى الخطاب البليغة ، والاشعار الرائقة الرائعة ، وتبادل الخبرات ، والزواج بل حتى تبادل الأسرى .

لقد تعارفوا على اسواق تشكل في مجموعها سلسلة متصلة تبدأ من اقاصي اطراف الجزيرة في عمان وتنتهي بعكاظ حيث يذهبون الى مكة الحج الى بيت الله الحرام . وكانت اوقات افتتــاح تلك الاسواق تبدأ مع انتهاء من السوق المجاور . ومن اهم تلك الاسواق : دومة الجندل (اول يوم من ربيع الاول) ، وسوق هَجَر (في شهر ربيع الآخر) ، وسوق ادم وقرى الشحر ، وسوق عدن ابين ، وسوق صنعــاء ، وسوق عكاظ ؛ ويتوجهون بعد ذلك الى مكــة ، فيقفون بعرفة ، ويقضون مناسك الحج ، ويرجعون الى اوطانهم (٢) . وكانت الاوقات المخصصة لتلك الاسواق تسمى وهدنة تعارفوا عليها ، تلك هي الاشهر الحرم (٣) التي لا قتال فيها ؛ ذلك مــا آمنوا به جميعا ، يتفرغون فيهــا للاتصال ببعضهم في المواسم والاسواق ، ويحجون بعــد ذلك الى بيت الله الحرام . وتعارفوا ايضا على قوانين تنظم علاقاتهم في اثناء التقائهم في تلــك الاسواق يلتزمون بها ، من اهمها أن لا سلاح يحمل في السوق ، بل تودع الاسلحة عند رجل له منزلته ومكانته قبــل الدخول الى السوق . وفي هــذه الاسواق يتم تبادل الاسرى ، كما يتم حل المظالم التي تعجز القبيلــة عن حلها حيث يُبتّ فيها حكام هذه الاسواق الذين يحظون بمكانة مرموقة بين القبائل .

---

(٢) سبائك الذهب (١١٩ ــ ١٢٠) .

(٣) الاشهر الحرم هــي : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب .

ولا يفوتنا ان نشيد هنا بدور هذه الاسواق في بروز طبقة من الحكماء والخطباء والحكام ما زالت وصاياهم وحكمهم تُتَناقل بين افواه الناس الى يومنا هذا ، ودورها ايضا في خلق لغة ادبية تعارف عليها الجميع في تلك الاسواق ، وهي اللغة الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، التي تشكلت من لغات القبائل .

وهكذا وُلّدت تلك الظروف من جدب الارض التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، وحياة التحرك للحرب او للسلم ، والاحتكاك فيما بين القبائل في السلم والحرب ، قيما ومثلا تعارف الجميع عليها ، وعملوا بها ، ثم اصبحت مُثُلا يفخرون بها ، ويفاخرون بها غيرهم .

وتقتصر هذه المقالة على اهم هذه القيم والمثل .

واول تلك الفضائل والقيم التي حرصوا عليها أشد الحرص ، فدعوا الى التمسك بها ، وذموا وهجوا التخلي عنها . **الكرم** : والكرم في اللغة يعني ما استفاده الانسان من خلق كريم ، او طبع عليه (٤) ، وهو ايضا شرف في الشيء في نفسه ، او شرف في خلق الاخلاق (٥) ، ويُعرّف ابن الاثير الكريم بأنه الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل (٦) . فالكرم يجمع شرف النسب والسخاء ، واتيان الفعل النبيل . وسنقتصر حديثنا على السخاء،لان الصفتين الاخريين ليس مكانهما في هذه المقالة ، واتيان الفعل النبيل يكون اعم واشمل من السخاء ، وشرف النسب مما يفاخر به كل عربي .

وكانت العرب تمتدح الكريم السخي عندما يشتد القحط ، ويقلّ الزاد ، وتضيق اليد ، يقول المسيب بن علس مادحا القعقاع بن معبد بن زرارة :

---

(٤) جمهرة اللغة مـادة (كرم) .

(٥) معجم مقاييس اللغة — ابن فارس ١٧١/٥ .

(٦) النهاية في غريب الحديث — ابن الاثير ١٦٦/٤ .

الذي كانوا يدعونه بتيار الفرات الذي يسخو ويجود في وقت الشدة والبرد ، حيث يحلّ الجميع ببيته ، وهو بهـذا العمل اجود من الخليج ، ومن هنا جاءت تسميته بتيـار الفرات :

وإذا تهيجُ الريـحُ من صُرّادِها   ثَلْجـاً يُنيـخُ النِّيـبَ بالجَعجاع
احللتَ بيتَكَ بالجميع ، وبعضُهم   متفـرق ليحـلّ بـالاوزاعِ
ولأنتَ أجـودُ من خليج مفعَـمٍ   متراكـمِ الآذي ذي دُفّـاع (٧)

ويمتدح عمرو بن شأس قوما يجودون في اوقات المحل فيقـول :

المطعمون اذا النجـومُ خَوَتْ   واحـاط بالمتوحّـد المحـلُ (٨)

ويكرر المعنى ذاته في موضع اخر فيقـول :

وإنْ يأتنا ذو حاجة يُلفِ وسطنا   مجالس ينفي فضلُ احلامها الجهلا
مصاليتُ أيسارٌ اذا هبَّـت الصَّبا   نَعفُّ ونُغني عن عشيرتنا الثقلا (٩)

ويقول سلامة بن جندل التميمي في المعنى نفسه :

كنّا اذا مـا اتانا صارخٌ فَـزِعٌ   كان الصراخُ له قَرْعَ الظنابيبِ (١٠)

ويؤكد المعنى نفسه شاعر بني عامر بن الطفيل فيقـول :

اذا سَنة عَزّت وطـال طِوالُها   وأقحَطَ عنها القطر واصفرّ عودُها
وجدْنـا كِرامًا لا يُحَـوِّل ضَيفُنا   اذا جَفّ فوق المُنزلاتِ جليدُها (١١)

---

(٧) المفضلية رقم (١١) .

(٨) ديوانه (٤٢) .

(٩) ديوانـه (٤٨) .

(١٠) المفضليـة رقم (٢٢) .

(١١) ديوانه (٤٦ — ٤٧) .

ويحدثنا شاعر آخر هو عمرو بن الاهتم قصة رجل ضافه طارقه ليلا ، فاستضافه ، ورحب به ، وقام الى بعير سمين من ابل القوم فنحره ، وظل يطعم الضيف حتى شبع ؛ ثم نام قرير العين مستدفئا من البرد الشديد ، وهو يخبرنا في نهاية القصة ان كل كريم يجب أن يتقي ذم الناس له بالقرى .

وإنـــي كريم ذو عيــال تُهِمُّني   نوائبُ يغشى رُزؤها وحقوقُ (١٢)

ومستنبــحٍ بعد الهدوء دعوتــه   وقد حان من نجم الشتاء خفوقُ

يعالــج عِرنينًا مــن الليل باردا   تَلُفُّ ريــاحٌ ثوبَــه وبروقُ

تألَّــقَ في عينٍ مــن المزن وادقٍ   له هيدبٌ داني السحاب دفوقُ

اضفتُ فلم افحش عليه ولم اقل   لأحرِمَــه : ان المكــانَ مُضيــقُ

فقلت له : اهلا وسهــلا ومرحبا   فهــذا صَبوحٌ راهــن وصديــقُ

وقمنا الى البُركِ الهواجد فاتقت   مقاحيــد كُــومٌ كالمجادل رُوقُ

الى ان يقــول :

فبات لــه منها وللضيف موهنًا   شــواء سمين زاهــق وغبوقُ

وبات لــه دون الصَّبا وهي قَرَّةٌ   لحــاف ومصقول الكساء رقيــقُ

وكل كريــم يتقي الذم بالقــرى   وللخير بيــن الصالحين طريــقُ

ويتذكر متمم بن نويره اخاه فيبكيه معددا خصاله :

فُسَيْنَــيَّ هَــلّا تبكيــان لمالــك   اذا أذْرَتِ الريحُ الكنيــفَ المرفَّعا

وللشَّــرْب فابكي مالكــا ولِبُهمةٍ   شـديد نواحيــه على من تشجَّعا

---

(١٢) المفضلية رقم (٢٣) .

وضيفٍ اذا ارغى طُروقًا بعيرَه   وعانٍ ثوى في القِدِّ حتى تكنّعا

وارملةٍ تمشي باشعثَ مُحْثَلٍ   كفرخِ الحُبارى راسُه قد تصوّعا (١٣)

ولا يرضى شاعر آخر بنحر الكسيرات المهزولات من الابل ، بل ان قومه ليغتبطون خيار الابل وكرائمها عند حلول الضيفان :

ويجلب ضِرسُ الضيف فينا اذا شتا   سديف السنام تستريه اصابعه (١٤)

واستهجنت زوج الهذلول بن كعب العنبري ، وقد رأت زوجها يطحن الضيفان ، فقال قصيدة منها :

لعمر ابيك الخير اني لخادم   لضيفي واني ان ركبتُ لفارسُ

واني لأشري الحمد أبغي رَباحَه   واترك قِرني وهو خزيانُ ناعسُ (١٥)

وكانت عادة العرب في الجدب اذا استعار احدهم قدرا ان يرد فيها شيئا من الطعام • وقد عبّر عن ذلك ، بالاضافة الى ايقاد النار في الليل ليهتدي الحائر اليها ، شاعرهم عوف بن الاحوص فقال :

ومستنبحٍ يخشى القَواء ودونه   من الليل بابا ظلمة وستورُها

رفعتُ له ناري فلما اهتدى بها   زجرتُ كلابي ان يُهرّ عقورُها

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي   اذا ردّ عافي القدر مَن يستعيرُها

وكانوا قعودًا حولها يرقبونها   وكانت فتاةُ الحيّ ممن يُنيرُها

ترى انّ قِدري لا تزال كأنها   لذي الفروة المقرور أُمٌّ يزورُها

مبرزةٌ لا يجعل الستر دونها   اذا اخمد النيران لاح بشيرُها (١٦)

---

(١٣) المفضلية (٦٧) .

(١٤) الشعر لجحدر بن خالد ــ شرح الحماسة للمرزوقي ٢/٥١٦ .

(١٥) المصدر السابق ٢/٧٠٠ .

(١٦) المفضلية رقم (٣٦) .

ويعتبر العربي بذل المال قرى للضيف واغاثة الملهوف ، وتحمل دية ، ونحو ذلك ، حقا لازبا لا مفر منه . ويفخر ربيعة بن مقروم الضبي بقومه الذين يفعلون ذلك ، فيقول :

اليسوا الذين اذا ازمة ألحت على الناس تنسي الذمم
يهينون في الحق اموالهم اذا اللزبات التحين المسيم (١٧)

ويفخر الحارث بن حلزة اليشكري بأن قومه يكرمون الضيف حينما يجدب المرعى ، ويشتد البرد ، فان لم يكن في إبلهم لبن عطفوا على القداح فضربوا بها للأضياف ، فنحروا لهم :

واذا اللقاح تروّحت بعشيّة رتك النعام الى كنيف العرفج
ألفيتنا للضيف خير عمارة ان لم يكن لبن فعطف المدلج (١٨)

وكثيرا ما يقترن السخاء والجود بحميد الفعال ؛ لان حب الخير يعين على البذل . والشواهد في الشعر الجاهلي اكثر من ان تحصى ؛ وثمة دليل آخر،وهو أن الحديث عن الجود والسخاء يأتي خلال الحديث عن الفخر ؛ وعناصر الفخر في العصر الجاهلي تكاد تكون محددة ومعروفة ، اللهم الا في بعض الحالات الشاذة ، كالفخر ببقر بطون الحبالي . فالجاهلي يفخر بحسبه ونسبه ، ويفخر بالشجاعة ، وبنجدة الملهوف ، وبالكرم ، واغاثة الملهوف ، وبحماية الجار ، وكل تلك القيم التي حرص عليها المجتمع الجاهلي وصقلتها تلك البيئة حتى اصبحت اعرافا وتقاليد التزموا بها .

---

(١٧) المفضلية رقم (٣٨) .

(١٨) المفضلية رقم (٦٢) .

ويعتبر الجاهلي بذل المال سترا ووقاية لعرضه حيث يقـــول :

أُصُونُ المــال اعرضي جُنَّــةً   ان خير المال مــا ادى الذمم (١٩)

ولا تنقص قلة المال من قيمة الرجل الكريم الحسب والخصال ؛ يقول الطفيــل الغنوي :

اني وان قَــلَّ مالي لا يفارقني   مثل النعامة في اوصالها طولُ (٢٠)

ومن هذه القيم حرصهم على المراة ، وقـــد كان شديدا ، وتفنـــوا بالحفاظ على الشرف والعرض ، ونشبت حروب كثـــيرة بسبب محاولة اعتداء قوم على امراة من قبيلة اخرى ، بل بسبب اهانـــة تلحق بامراة كما في بعض حروب الفجار . ولعل ذلك قد حملهم على اخذ نسائهم معهم في الحروب حتى لا تتخلف في الحي ، فياتي قوم ويسبون النساء ، وذلك مما يجلب العار للقبيلة . لذلك افتخر شعراؤهم بحماية النساء ، يقول سلامة بن جنـــدل التميمي :

بانا منعنــا بالفُروق نساءَنــا   ونحن قتلنا مَن اتانا بُملزق (٢١)

ويقارن عمرو بن حوط الرياحي بين قومه واخرين في يوم طخفة بقوله :

فمــا قوم كقومي حيــن يُخشى   على الخُــوْد المُخَدَّرة الفضــاحُ

أذبَّ عــن الحماتــذا فــي مَعَدٍّ   اذا مــا جَدَّ بالقوم النطاحُ (٢٢)

ويقوم ربيعة بن مقروم الضبي يمنعون حريمهم :

طوال الرمــاح غداة الصبــاح   ذوو نجدة يمنعون الحريمــا (٢٣)

---

(١٩) المفضلية (٧٨) والشعر للمثقب العبدي .

(٢٠) ديوان الطفيــل الغنوي (٥٧) .

(٢١) ديوانــه (١٦) .

(٢٢) النقائض لابي عبيدة ٦٦/١ .

(٢٣) المفضلية رقــم (٣٨) .

ويفخر الطفيل الغنوي بانه يحافظ على حليلة جاره ولا يخونه :

ولا اخالف جاري في حليلته ولا ابن وَدِّيَ غالتني اذا غول (٢٤)

وكان من عوامل الثبات والنصر في النهاية في يوم ذي قار ان بعض القادة اشار — حينما راى قوة الفرس — على القوم بالانسحاب الى الصحراء ، المعقل الطبيعي ، ولكن زعيما آخر مال الى الابل التي تحمل حريمهم فقطع وضنها ، وقال : ليدافع كل منكم عن حريمه . وثبت القوم وانتصروا في النهاية (٢٥) .

وقد شبهها بعضهم بالأترجة التي تفوح بالرائحة الطيبة .

يحملن أُترُجَّةً نَضْحُ العبير بها كأن تَطيابها في الأنف مشمومُ (٢٦)

وبالرغم من حرص العربي على صون شرف المرأة الا ان ذلك لم يمنع من أخذهم على حين غرة ، فتسبى النساء ، ويصبح السبي عارا يلحق بالقبيلة ، ويفخر به المنتصرون ، ويعيرون خصومهم . يقول بشر بن ابي خازم الاسدي معرضا ببني عامر :

بني عامرٍ إنّا تركنا نساءكم من الشل والإيجاف تَدمى عجوبها

عضاريط مستبطنو البيض كالدمى مضرجة بالزعفران جيوبُها

تبيت النساء المرضعات برهوة تفزع من خوف الجنان قلوبُها (٢٧)

ويصور عوف بن عطية التيمي نساء [illegible] عشيرته ، فيقول :

---

(٢٤) ديوانه (٥٨) .

(٢٥) انظر قصة يوم ذي قار في تاريخ الطبري ، الجزء الثاني ، [illegible] ٢/١٠١.

(٢٦) المفضلية (١٢٠) لعلقمة بن عبدة .

(٢٧) المفضلية (٩٦) .

وانعم فتيان الصباح لقيتم — واذا النساء حواسر كالعنقر

من بين واضعة الخمار واختها — تسعى ومنطقها مكان المئزر (٢٨)

تلك كانت منزلة المراة الحرة ، ولكن صنفا آخر من النساء لم يكنّ يحظين بهذه المنزلة ، واعني الاماء والقيان ، فقد كانت القينة وسيلة المتعة وقضاء الوقت ، وبخاصة في ليالي الشتاء وايامه • يقول طرفة معبرا عن ذلك :

وتقصير يوم الدَّجن — والدجن معجب —

ببهكنة تحت الطراف المعمَّد (٢٩)

ويكرر المعنى نفسه عبد المسيح بن عسلة فيقول :

وسماع مدجنة تعللنا — حتى نئوب تناوم العُجْم (٣٠)

ويكرر بشر بن عمرو المعنى فيقول :

ويبيت داجنة تجاوب مثلها — خودا منعمة وتضرب مُعتِبا

في اخوة جمعوا ندى وسماحة — هضمٍ اذا أزم الشتاء تزعبا (٣١)

وكان السبي وما يلحق من عار سببا مباشرا من اسباب وأد بعض العرب بناتهم ، ولم تكن هذه العادة السلبية غير الانسانية نادرة كما لم تكن عامة ، ولكنها وجدت • ومن الذين وادوا عددا من البنات بلغن تسعا في بعض الروايات قيس بن عاصم ، وقد حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك . وجاء الاسلام ونزلت في المؤودة الآيتان

---

(٢٨) المفضلية (٦٤) .

(٢٩) معلقته .

(٣٠) المفضلية (٧٢) .

(٣١) المفضلية (٧١) .

الكريمتان : « وإذا المؤودةُ سُئِلت ، بأيّ ذنب قُتِلت » (٣٢) . ومع ذلك هذه المنزلة للمرأة لم يمنع ذلك من وجود بعض الشعراء الذين يفخرون ببقر بطون الحبالى ؛ فهذا عامر بن الطفيل يقـــول :

بقرنا الحبالى مـــن شنوءة بعدما غبطن بنيف الربع نهداً ونهدما (٣٣)

ومن القيم التي برزت في خضم تلك الحياة رفض الـذل والهوان :

فكان العربي يسترخص الحياة في سبيل دفع المهانة والذل عنه ويدفع ارادة الخصم ويقاتله قتالا انتحاريا ، وهو يعلم تفوّق خصمه عليه ليدفع عن نفسه الذل الذي يحاول أن يجعله يعيش فيه . يقول ربيعة بـــن مقروم الضبي :

ودار هـــوان أَنِفْنـــا المقـــام بهـــا فحللنـــا محـــلاً كريما (٣٤)

ويقول عنترة في المعنى نفســه :

لا تَسْقِنـــي مـــاء الحياة بِذِلَّـــة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل (٣٥)

ويصرخ عمرو بن كلثوم قائـــلا :

اذا ما الملك سام الناس خسفا أَبَيْنـــا أن نُقِرَّ الذل فينـــا (٣٦)

وفي يوم ذي قار يقول ابو كلبـــة :

ان الفوارس من عجل هم انفوا
من أن يُخَلّوا لكسرى عرصة الدار (٣٧)

---

(٣٢) الآيتان (٨ ، ٩) مـــن سورة التكوير .

(٣٣) ديوانـــه (١١٨) .

(٣٤) المفضليـــة رقم (٣٨) .

(٣٥) ديوانـــه (١٢٥) .

(٣٦) معلقتـــــه .

(٣٧) تاريخ الطبري ٢/٢١١ .

وتعارفت العرب كلها على **قانون الجوار** ، وكانت القبيلة تجد في حماية الجار مصدر فخر لها ، وان في منعته منعة لها ، وان اي اذى يلحق به يلحق بها ، ولو كان هذا الجار من غير عصبيتها . وتغنّى الشعراء بذلك كثيرا ، يقول عبيد بن الأبرص :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا ونلفّ بين ارامل الأيتام (٣٨)

ويقول حسان بن نشبة العدوي مادحا تيْمًا لانها ابت ان تسلم جارها :

واني وإن لم أنْمِ حيّا سواهُمُ فداءٌ لتيم يوم كلب وحميرا
ابوا أن يبيحوا جارهم لعدوّهم وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا (٣٩)

ويفخر المثقب العبدي باكرام الجار ورعاية حقه فيقول :

أُكرِمُ الجار وأُرعى حقّه ان عرفانُ الفتى الحقّ كرم (٤٠)

ويقرن ذلك بعدم التعرض للناس في غيابهم ؛ وهو مماثل لما ورد في القرآن الكريم « ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » (٤١) فيقول :

لا تراني راتعًا في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم

ويمدح عدي بن يزيد بن حمار بني شيبان بحمايتهم الجار ومساواته بأبناء القبيلة حتى انه ابنسى انه جار لهم ، فيقول :

ومن تكرّمهم في المحل انهمُ لا يعلم الجار فيهم انه الجارُ
حتى يكون عزيزًا من نفوسهمُ او ان يبينَ جميعا وهو مختارُ

---

(٣٨) ديوانه ١٣٢ .

(٣٩) شرح الحماسة للمرزوقي ١/٢٢٧ .

(٤٠) المفضلية ٧٧ وانظر شرح اختيارات المفضل (١٢٧١) .

(٤١) آية ١٢ سورة الحجرات .

كأنه صَدَعٌ في راس شاهقة — من دونه لِعتاق الطير أوكارُ (٤٢)

ولكن الجوار لم يكن محبوبا وايجابيا دائما ، فقد جاور الربيع بن مسهر كلبا ايام حرب الفساد . فلم يحمدهم وتحسر على ايام قومه الخوالي ، وتعهد بأنهم لو رجعوا فلن يخاسوا ابناء جلدتهم حتى الممات لئلا يضطرون الى الخروج :

فنعم الحيّ كلب غير أنّا — رأينا في جوارهم هَنات

ونعم الحي كلب غير أنّا — رُزينا من بنين ومن بنات

فان الغدر قد امسى واضحى — مقيما بين خُبْثٍ الى المساتِ

تركنا قومنا من حرب عام — ألا يا قوم للأمر الأشتات

واخرجنا الايامى من حصون — بها دار الاقامة والثبات

فان نرجع الى الجبلين يوما — نصالح قومنا حتى المماتِ (٤٣)

ويفخر حُرَيث بن جابر بتعصبه لحليفه ونزعه لظلمه فيقول :

اذا ظُلِمَ المولى فزعتُ لظلمه — فحرّك احشائي وهَرَّت كلابيا (٤٤)

وعير مساور بن هند قوما لنقضهم العهد ، وقطعهم الرحم فقال :

قتلوا ابن أختهم وجار بيوتهم — من حينهم وسفاهة الألباب

غدرت جذيمة غير اني لم اكن — ابدا [illegible]

واذا فعلتم ذلكم لم تتركوا — احدا يذب لكم عن الأحساب (٤٥)

---

(٤٢) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٠١/١ — ٢٠٢ .

(٤٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٥٦/١ — ٢٦٢ .

(٤٤) المصدر السابق ٢٧٦/١ .

(٤٥) المصدر السابق ٤٣١/١ — ٤٣٢ .

ويوصي العباس بن مرداس غيره بالحفاظ على الجار ، فيقـــول :

عليك بجـــار القوم عبد بن حبتر　　فلا ترشُدَنْ الا وجـــارك راشـــدُ

فان غضبت فيهـــا حبيبُ بن حبتر　　فخذ خطـــة يرضاك فيها الاباعدُ

اذا طالت النجوى بغير اولى القوى　　اضاعت واضعت خدَّ مَنْ هو واردُ

فحاربْ فان مولاك حـــاردُ نصرُه　　ففي السيف مولى نصرُه لا يحاردُ(٤٦)

ويعرّض جندر بن خالد بغير قومه الذين يروّع جارهم ويغدر به ، فيقول :

ونحن الذين لا يُـروَّع جارنـــا　　وبعضهمُ للغـــدر صُمّ مسامعُه (٤٧)

ويعير أبو تمام خصمه بأن جاره سهل المنال كالصيد لمن يطلبه بينما جاره لا يطالب ، ولا يطمع فيه :

فجارك عنـــد بيتك لحمُ ظبـــي　　وجـــاري عند بيتـــي لا يرام (٤٨)

وكأنما اصبحت حماية الجار والمحافظة عليه جبلة وقانونا يلتزمون به في الجاهلية ؛ يقول عوف بن عطية :

وامنـــع جـــاري مـــن المجحفات　　والجـــار ممتنع حيـــث صار (٤٩)

ومن القيم التي فخروا بها صون الامانة ، وعدم التفريط بها مهما كانت الاسباب والنتائج ؛ يقول الشنفرى مفضلا الوحوش علـــى القوم الذيـــن تركهـــم :

---

(٤٦) شرح الحماسة للمرزوقي ٤٢٧/١ — ٤٢٨ .

(٤٧) المصدر نفسه ٥١٤/٢ .

(٤٨) المصدر نفسه ٥٨١/٢ .

(٤٩) المفضليات (١٢٤) .

هم الرهط لا مستودَعُ السر ذائع   لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذَل (٥٠)

ولعل صورة يوم ذي قار تشهد بالصورة المشرفة المشرفة لتحمّل القبيلة مسؤولية صون الامانـــة ، ولو ادت النتيجة الى ملاقاة جيوش الفرس الجرارة . وقد اصبح هذا اليوم مدعاة لفخر شعراء بكر وتغنّيهم بذلك ، بل لفخر العرب جميعا ؛ فقد اقسمت بكر الا تفرط بتلك الدروع التي أودعها النعمان عندهم ، وان انجم السماء اقرب الى مشرق من تلك الدروع . يقول الأعشى شاعرهم :

فما حلقـــة النعمان يسوم طلبتها   باقرب من نجم السماء تراقبه (٥١)

ويقسم في قصيدة اخرى بآلهة العرب ويخيرها على الحفاظ على تلك الادرع مهما غـــلا الثمن :

حلفـــت بالملح وبالرمـــاد وبالعزّ   ى وبالـــلات تُسْلَـمُ الحلقـــةْ
حتـــى يظـــل الهـــام منجـــدلا   ويقرع النَّبـــل طُرَّةَ الدرَقَـــةْ (٥٢)

ويخاطب راشد بن شهاب اليشكري قيس بن مسعود الشيباني بشأن تلك الادرع مؤنبا فيقـــول :

وكنت زمانًا جـــارُ بيتٍ وصاحبًـــا
ولكـــنّ قيســـا في مسالـــه ...

اقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
اموفٍ بادراعِ ابـــن طيبة ام تذمّ
بـــذمٍ يُغشّي المـــرء خزيا ورهطَهُ
لدى السَّرحة العُشّاء في ظاهر الأدُم (٥٣)

---

(٥٠) لامية العـــرب .
(٥١) ديوانــــه .
(٥٢) ديوانه والاغاني (دار الثقافة) ٢٢٦/٢٣ .
(٥٣) المفضلية (٨٦) .

وكان من مظاهر الصلات السليمة في العصر الجاهلي الاحلاف ؛ فكانوا يغمسون ايديهم في اثناء عقد احلافهم في طيب أو دم ، ويقولـــون « الدم الدم ، والهدم الهدم ، لا يزيد العهد طلـــوع الشمس الا شُدًّا ، وطول الليالي الا مُـــدًّا ، مابلّ البحر صوفه ، واقام رضوى في مكانه » . وربما اوقـــدوا النار عند تحالفهم ودعوا اللـــه ان يحرم من ينقض عهد الحلف من منافعها . وربما دنوا من هـــذه النار حتى تكاد تحرقهم ، كما حدث لقبائل من مرة بن عوف الذين تحالفوا عند نار ، فدنوا وعشوا بها حتى محشتهم فسموا به « المحاش » (٥٤) .

ومهما يكن من دوافع هذه الاحلاف ونتائجها فيجـــب ان لا ننسى انها ادت دورا كبيرا ايجابيا في تكويـــن القبائل ، وجعلت القبائل الضعيفة تنضم الى القوية الكبيرة لتحميها ، وتردّ العدوان عنها (٥٥) .

ولا يغيبن عن بالنا ان الاحلاف كانت غايتها دفـــع الظلم والشر ، او نشر الامن في ربوع الجزيرة . وخـــير مثال لذلك حلف الفضول بيـــن بطون قريش (٥٦) ؛ وسببه ان رؤساء بطون قريش اجتمعوا فاتفقوا الا يدعوا احدا يظلم احدا الا نصروا المظلوم علـــى الظالم ، واخذوا له حقـــه . وانتشر التحالف بيـــن القبائل بصورة اوسع قبيـــل الاسلام ، ولم تبق خارج هـــذه الاحلاف الا جمرات العرب (٥٧) ، ولعل انتشار المحالفات كان احساسا من القبيلة العربية بانها بحاجة الى الانفتاح على غيرها مـــن القبائل ، وربما كان ذلك ارهاصا ببدء نهضة قوية افاد منها الاسلام في توحيد امة استطاعت حمل رسالته الخالدة الى العالم .

---

(٥٤) الحيوان للجاحـــظ ٤٧١/٤ .

(٥٥) انظر معجـــم البكري ٥٣/١ وما بعدها .

(٥٦) المحبـــر ـــ لابن حبيب (١٦٧) .

(٥٧) الحيوان ١٢٣/٥ ، المحبر (٢٣٤) .

وللحليف في المجتمع الجاهلي حقوق وعليه واجبات . ويفخر العربي بان حليفه لا يضام :

إنّــا لعمــرك لا يضــام حليفنــا ابــدا لدينــا (٥٨)

ولا يجوز نقض الحلف او الغدر بالحليف ما دام الحلف محترما . وحرص المجتمع حينذاك على المحافظة على كرامة الحلف واعتبر الاخلال به عارا يلحق بالقوم ؛ بل لقد شبهه النابغة بالفجور عندما خالف عيسى نضلة الاسدي ، وكان بين اسد وذبيان حلف واراد عيينه بن حصن الفزاري مساعدة بني عبس ، فقـال محذرا :

اذا حاولتَ فــي أُسَد فجــورا فاني لست منك ولست منّي

هم درعي التي استلأمتُ فيها الى يوم النسار وهم مِجَنّي (٥٩)

ويفتخر الحـادرة بذلك فيقـول :

إنّا نعــفّ فلا نريــب حليفنــا ونكفّ شُحّ نفوسنا في المطمع (٦٠)

ومن القيـم الخالدة التي رسخت معالمها في نفسية العربي الجاهلي **رفضه الضيم** ولــو كان من اهله وذويه ؛ لان قبوله يتنافى مع القيم التي آمن بها المجتمع الجاهلي فرادى وقبائل . يقول الشنفرى :

ولولا اجتناب الذام لم يُلْفَ مشرب يعـاش بـه الا لـديّ ومأكـلُ

ولكنّ نَفْسًا مُرّةً لا تقيـم بي على الضيـم الا ريثمـا اتحولُ

---

(٥٨) ديوان عبيد بن الابرص (١٢٥) .

(٥٩) ديوانــه (١٦٩) .

(٦٠) المفضلية رقــم (٨) .

وهو يرفض ان يشعره احد بان له فضلا عليه ، ويؤثر عليــه ان يستف تــراب الارض :

واستفّ تُربَ الأرض كي لا يُرى له   عليّ من الطّول امرؤٌ متطوّلُ (٦١)

والجاهلي يرى الارض واسعة يتنقل فيها الانسان اذا احس بـــان الذى او ضيما سينا اله . يقول الشنفرى في بدايــــة لاميته التي أعلن فيها بتر علاقته بمجتمعه فلجــا الى الصحراء ووحوشها :

وفي الأرض منأى الكريم عن الأذى   وفيها لمـــن خاف القِلى مُتعـــزّلُ

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء   سرى راغبا او راهبا وهو يعقلُ (٦٢)

ويُعبِّر عنترة العبسي عن الروح نفسها حين يقـــول :

لا تسقني مـــاء الحيـــاة بذلـــة   بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ (٦٣)

وما الحروب التي تأججت نارهـــا في الجزيرة العربية الا صورة طبيعية لرفض العربي الـــذل والضيم ، فقد كانـــت القبائل تحتكم الـــى سيوفها ورماحها لتردّ الظلم والضيم .

ومن القيـــم والمثل الايجابية التي عرفها العصر الجاهلـــي ذلك اللون من الشعر الذي عرف بالمنصفات ، وحاول فيه الشعراء الفرسان انصاف خصومهم ، او خصوم قبائلهم بالرغم من أنهم اعداء لهم . وقد عرفـــت الجزيرة هذا اللون منذ التقى الفرسان في ساحات الوغى . ويُعتبر المهلهل بن ربيعة اول من انصف في شعره حين قال في يوم عنيزة :

كأنّـــا غُـــدوةً وبنـــي ابينـــا   بجنـــب عنيزة رَحَيَـــا مدير (٦٤)

---

(٦١) لامية العرب .

(٦٢) لامية العرب .

(٦٣) ديوانه ص (١٢٥) .

(٦٤) الاصمعية رقم (٥٣) .

وبدهي ان يرتبط هـذا اللون من الشعر بالمعارك والأيام ، وان يصدر على السنـة الشعراء والفرسان ، وهم اولى العرب باحترام تقاليد الفروسية ، فهم ابوا طعن اعدائهم من الخلف وهم معذورون ، ولم يعتادوا الغدر ، ولم يقتلوا متاقلا الا ندّاً في الشجاعة . وان فارسا صدق تقاليده ليعز عليه ان يرى خصمه الفارس الشجاع مجندلا امام عينيه على الرغم من انه هو الذي صرعه ؛ يعز عليه ذلك لسببين ، أولهما لانه فارس ويقدر الفارس الشجاع ؛ وثانيهما لانه يتخيل انه سيجندل في يوم من الأيام . وربما كان ذلك بسبب احساس الشاعر الجاهلي بمأساة مأساة الانسان،وهي الفناء الأبدي ، والتلاشي الى عدم ؛ فكأنما يرثي حاله ونفسه ، وكأنما يبكي مصيره وحتمية ذلك المصير .

لقد التقى قيس بن زهير العبسي وحمل بن بدر الفزاري ، فقتل قيس حملا ؛ وما ان رآه صريعا حتى هاجت به الذكريات ، وتذكر اشياء كثيرة منها صلات القربى ، وظلم القتيل ؛ فقال فيه :

تُعلَّمْ ان خير الناس حيّاً   على جفر الهباءة ما يريمُ
ولولا ظلمهُ ما زلت ابكي   عليه الدهر ما طلع النجومُ
ولكنّ الفتى حمل بن بدر   بغى،والبَغْي مرتعه وخيمُ (٦٥)

واضطر القتّال الكلابي لقتال فارس لم يكن يرغب في ذلك النزال ؛ وتدور الدائرة على خصمه ، ويندم القتّال على قتله ندما شديدا ، ويقول في قصيدة لـه :

ولما رأيتُ انني قد قتلته   ندمت عليه اي ساعة مندم (٦٦)

---

(٦٥) الحماسة بشرح المرزوقي ٤٢٨/١ .

(٦٦) المصدر السابق ٢٠١/١ .

ويتنوع الفارس المقدام اعجاب خصمه ومنازله ؛ فقد راى دريد بن الصمة ربيعة بن مكدم،فارس كنانة،وقد انكسر رمحه بعد ان صرع ثلاثة من اصحاب دريد الفرسان ؛ فقال دريد : ايها الفارس ان مثلك لا يقتل ، ولا ارى معك رمحا ؛ فدونك هذا الرمح . ورجع دريد يثبّط اصحابه عن ربيعة بن مكدم . فانصرف القوم ونجا ربيعة . وانشد دريد معبرا عن اعجابه بذلك الفارس الخصم :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارسا لم يُقتَلِ
أردى فوارس لم يكونوا نُهزةً ثم استمر كأنه لم يُفعَلِ
متهللا تبدو اسرّة وجهه مثل الحسام جَلَتْه كف الصَّيقَلِ
يُزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجها يمناه نحو المنزلِ
وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الاجدلِ
يا ليت شعري من أبوه وامه ؟ يا صاح مَن يكُ مثله لم يُجهَلِ (٦٧)

ولكن الانصاف لم يقف عند حد انصاف فارس شاعر لفارس اخر قتله ، بل ان الشعراء انصفوا خصوم قبيلتهم . والأمثلة في الشعر الجاهلي كثيرة لا يتسع لها البحث ، وهي متنوعة بين قصائد ومقطوعات . لـذا سنقصر الامر على بعض الامثلة .

غزا عباس بن مرداس السلمي وقومه بنو سليم مرادآ ، ووقف عباس بن مرداس شاعرهم وفارسهم ينصف الاعداء ؛ وبلغ من محاولة الانصاف انه وزع أبيات القصيدة بين قومه وبين اعدائهم ، بل جعل بيت الشعر الواحد مناصفة بينهما ؛ وكان اذا خصص الشطر الأول من البيت لقومه ، جعل الشطر الثاني للأعداء ، وعكس الوضع في البيت التالـي :

---

(٦٧) الاغانـي (دار الكتب) ٦٦/١ .

فلم ارَ مثل الحيّ حيًّا مصبحـــا ولا مثلنـــا لمـــا التقينـــا فوارســـا

اكـــرّ واحمـــي للحقيقـــة منهـــم واضـــرب منا بالسيوف القوانســـا

واحصننا منهـــم فمـــا يبلغوننـــا فوارس منـــا يحبسون المحابســـا

اذا ما شـددنا شَدَّةً نصبوا لها صدور المذاكي والرماح المداعسا (٦٨)

وثمة شاعر آخر هو المفضل النُكريّ ، من شعراء عبد القيس ، صوَّر لنا لقاء بين جيش قومه وجيش الاعداء ، فأنصفهم ؛ وهذا هو يمثل صورة متقابلة للفريقيـــن فيقـــول :

همـــو صبروا فصَبْرُهـــمْ تليـــد على العـــزاء اذ بلـــغ المضيقُ

وهـــم دفعـــوا المنيـــة فاستقلّت ذراعا بعـــد ما كـــادت تحيـــقُ

تلاقينـــا بغبيـــــة ذي طريـــف وبعضـــهـمْ علـــى بعض حنيـــقُ

فجاءوا عارضـــا بـــردا وجئنـــا كسيـــل العرض ضاق به الطريقُ

مشينـــا شَطْرَهـــم ومشـــوا الينا وقلنا : اليوم مـــا تُقضى الحقوقُ

وكـــم مـــن سيّـــد منّـــا ومنهم بذي الطرفاء منطقُه شهيـــقُ

فاشبعنـــا السبـــاع واشبعوهـــا فراحـــت كلهـــا تئـــق يفـــوقُ

فأبكينـــا نساءهـــمْ وابكـــوا نســـاء مـــا يســـوغ لهن ريـــقُ (٦٩)

ويصل الانصاف ذروته حينما نرى الشاعر الجاهلي يُنصف خصومه الذين هزموه وهزموا قومه ؛ وهذا يمثل ذروة الانصاف والاعتراف بالهزيمة وبتفوق الخصم ؛ فقد سجل لنا البراء بن قيس القيسي انهزامه وهزيمة قومه ، وانصف الاعداء بقولـــه :

---

(٦٨) الاسـمعية رقـم (٧٠) .

(٦٩) الاسـمعية رقـم (٦٦) .

قاتلتنا تميم يوماً جديداً قتل عاد وذاك يوم الكلاب

يوم جئنا بسوقنا الحيْنَ سَوْقاً نحو قوم كأنهم أُسْدُ غاب

وحشدنا الصميمَ نرجو نهاباً فلقينا البوار دون النهاب (٧٠)

ولا يضعف من قيمة هذه الأبيات الا خشيتنا من ان تكون العصبية القبلية قد دفعت بعض الرواة الى انتحالها .

ولبعض الجاهليين **موقف خاص من الخمر** ؛ فقد عددت المصادر القديمة لنا نفرا حرَّموا الخمر في الجاهلية على انفسهم ، ومنهم : عامر بن الظرب العدواني ، وقيس بن عاصم ، وصفوان بن امية ، وعفيف بن معد يكرب ، والعباس بن مرداس السلمي ، وورقة بن نوفل ، والوليد بن المغيرة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعبيد بن الأبرص ، وأبو ذر الغفاري ، وزهير بن ابي سلمى ، والنابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، وحاتم الطائي ، وغيرهم (٧١) .

ولم يكن تحريم هؤلاء الخمر محض صدفة ، او لان دينا او عقيدة امراهما بذلك ، ولكن ربما كان للتجربة سبب لذلك . يحدثنا صاحب الأغاني أن قيس بن عاصم المنقري سُكِر ذات ليلة قبل ان يُسلِم ، فغمز عُكنة ابنته ، وفي رواية أخرى أخته ، فهربت منه . فلما صحا من الخمر سأل عما صنع البارحة الماضية ، فلم يدر بماذا يخبرهم . فأخبروه بما فعل ، فحرّم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك شعرا يوضح ما تفعله الخمر بصاحبها ، حيث تذهب بعقله ، وتفضح شاربيها ، وتحيل الرجل الحليم سفيها :

---

(٧٠) الاغاني (دار الكتب) ١٦/٢٣٦ .

(٧١) المحبر — ابن حبيب (٢٣٧) ، امالي القالي ١/٢٠٤ ، نهاية الارب للنويري ٤/٨٨ .

وجدتُ الخمر جامحة وفيها / خصالٌ تفضح الرجل الكريما

فلا والله اشربُها حياتي / ولا ادعو لها ابدا نديما

ولا اعطي بها ثمنا حياتي / ولا أُشفي بها ابدا سقيما

فان الخمرَ تفضح شاربيها / وتُجنيهُم بها الامر العظيما

اذا دارت حميّاها تَعلّت / طوالعُ تُسَفِّه الرجل الحليما (٧٢)

ويضيف الاغاني في رواية اخرى ان قيس بن عاصم هو اول من حرمها على نفسه في الجاهلية ، وهو القائل فيها :

فوالله لا احسو يد الدهر خمرة / ولا شَربةً تزري بذي اللب والحجر

فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل / بصاحبها حتى تُكَسِّع في الغمر

وصارت به الأمثال تُضْرَب بعدما / يكون عميد القوم في السر والجهر

ثم يخاطب شارب الخمر محذرا وناصحا بتركها لان فيها ما لا يدري ما يضره وما ينفعه :

فيا شارب الصهباء دعها لاهلها / الغواة وسلم للجسيم من الأمر

فانك لا تدري اذا ما شربتَها / واكثرتَ منها ما تَريش وما تَبري (٧٣)

واذا كان قيس بن عاصم يطلب من شارب الصهباء ان يدعها لأهلها الغواة فانه يقر بأن فريقا آخر يشربها ، ولكنهم غواة . فهل كان العرب في الجاهلية ينعتون شارب الخمر بالغاوي ؟ ذلك مما لا تؤيده الشواهد الشعرية والأخبار التي بين ايدينا . ولكن تلك الروايات تحدثنا ان الخمر لم يكن يشربها الا الموسرون ، وقد تحدثوا عن مجالس الشرب والندامى .

---

(٧٢) الاغاني (دار الكتب) ٨٤/١٤ .

(٧٣) المصدر نفسه ٨٥/١٤ .

ويشاطر عبد المسيح بن عسلة قيس بن عاصم بأن الخمـــر تذهب بالعقـــل فيقـــول :

والخمـــر ليســـت مـــن اخيك ولـــــــــكن قـــد تخون بآمـــن الحلـــم
وتبيّـــن الـــراي السفيـــه اذا   جعلت رياح شمولها تنمـــي (٧٤)

والحكم والأمثال تمثل فلسفة الحياة الأولى ، ولها في تاريـــخ الفكر اهمية كبرى لا تدرك الا بالتعمق في دراســة نفسيـــة الشعوب ، ودراسة التطور الفكري عنـــد البشر . وحكم الجاهليين وامثالهم ــ كما ذهب بعض الباحثين (٧٥) ــ تشيران الى أن الحياة جلاد وكرامة ، وان الحـــق فيها القوة ، وان زينة المرء شرفه . وبمعنى آخر فان الفلسفة الجاهلية فلسفة اخلاقية عملية ، بعيدة عـــن الميتافيزيقيات ؛ فلسفة ماديـــة روحانية ، وروحانياتها مسحـــة اخلاقية كريمة .

وقد استوعبت الحكمُ شكلا اللغة ، الشعر والنثر . يقول زهير في معلقته بعد ان تحدث عن عقد الصلح بين عبس وذبيان :

ومن لا يصانِعْ في أمـــور كثيرة   يُضَرَّسْ بأنيـــاب ويوطأْ بمنســـمِ

ويقـــول :

رأيت المنايا خبط عشواء من تُصِبْ   تُمِتْهُ ومَن تخطىء يعمَّـــر فيهرمِ

ويقـــول :

ومن لا يَذُد عن حوضـــه بسلاحه   يُهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ

وكان المـــوت امرا رهيبا لا يقوى الجاهلي على حله ، فجعله واقفا حائرا وهو يرى احبته يتساقطون ، ولا يملك تفسيرا لذلك . فالمـــوت

(٧٤) المفضليات (٧٢) .

(٧٥) الحكم والامثال ــ حنا فاخوري (١٧) .

فناء مطلق لا رجعة فيه ولا مفر منه . يرثي لبيد اخاه اربد وينظر الى الحياة ونهايتها فيقول :

فلا جزعٌ إن فَرَّق الدهر بيننا ... فكل امرئ يوما به الدهر فاجع

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يَحورُ رمادا بعد اذ هو ساطعُ

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولا بد يوما ان تُرَدّ الودائعُ

وما الناس الا عاملان ، فعامل ... يُتَبّر ما يبني وآخر رافعُ

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهم شقيّ بالمعيشة قانعُ

فلا تبعدنّ ان المنية موعد ... علينا فدانٍ للطلوع وطالعُ (٧٦)

ويرى طرفة بن العبد الموت الوسيلة الوحيدة التي تساوي بين الناس فقيرهم وغنيهم فيقول :

ترى جثوتين من تراب عليهما ... صفائح صُمٌّ من صفيح منضَّدِ

ارى الموت يَعتام الكرام ويصطفي ... عقيلةَ مال الفاحش المتشدِّدِ (٧٧)

ويرى أن العيش كنز ولكنه ينقص كل ليلة ، وانه آت لا محالة . ولعل استعمال الشاعر لفظة « كنز » يشير الى اهمية الحياة بالنسبة للشاعر ، وللجاهلي بعامة ، وفي استعمالها ما يشرح ويفسر نزعته من الفناء ، كما أن تصويره بالحبل المرخي اشارة الى الحتمية التي لا انفكاك منها :

ارى العيش كنزا ناقصا كل ليلة ... وما تُنقِص الايام والدهرُ يَنفَدِ (٧٨)

لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى ... لكالطِّوَل المرخى وثِنياه باليدِ

متى ما يشأ يوما يَقُدْه لحتفه ... ومَن يكُ في حبل المنيّة يَنقَدِ

---

(٧٦) ديوانه (١٦٨ — ١٧١) .

(٧٧) ديوانه (٥٣) .

(٧٨) ديوانه (٥٣ — ٥٤) .

ويسخر امرؤ القيس من الناس ومن نفسه الذين يسيرون فلا يعرفون مصائرهم ، وانهم ضعاف ، ومع ذلك فانهم اجرا من مجلخة الذئاب :

ارانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصافير وذبان ودود واجرا من مجلخة الذئاب (٧٩)

ومن الحكم النثرية :

اكثر من الصديق فانك على العدو قادر (قالها أبجر بن جابر العجلي) (٨٠) .

والدال على الخير كفاعله (قالها اللجيج بن شنيف اليربوعي) (٨١) .

واذا عز اخوك فهن ، (قالها الهذيل بن هبيرة) (٨٢) .

ومن القيم الجاهلية البارزة في ذلك العصر ذلك التناقض الظاهر بين ظاهرتين ، اولاهما نجد فيها الشاعر الجاهلي يحرّض قومه وفرسانهم على مقاتلة الاعداء والفتك بهم ؛ وهذا ما ليس موضوعه هذا البحث ، وثانيتهما : نجد فيها الشاعر الجاهلي يدعو الى التسامح والسلم والصلح. وهذه الظاهرة تبرز بوضوح حينما يكون الفريقان المتصارعان ينتميان الى قبيلة واحدة او الى بطن كبير من بطون عدنان او قحطان . وكأني بالشاعر ، وهو رائد في قومه وزعيم موجه لسياسة القبيلة ، يحس احساسا عميقا بصلة الرحم والقربى ، ويحرص عليها من ان تتقطع اوصالها . فهذا قيس بن زهير العبسي يقتل حمل بن بدر الفزاري ومع ذلك فهو يصرخ حزينا باكيا :

---

(٧٩) ديوان امرىء القيس .
(٨٠) الوسيط في الامثال للواحدي (٥٦) .
(٨١) المصدر السابق (٤٩) .
(٨٢) المصدر السابق (٤١) .

شفيت النفس من حمل بن بدر   وسيفي من حذيفة قد شفاني

فان اكُ قد بردت بهم غليلي   فلم اقطع بهم الا بناني (٨٣)

وسنان بن ابي حارثة يخاطب المثلم بن رياح بن ظالم المُرّي محذرا ومتوعدا :

فَمَنْ مُبلِغٌ عني المثلّم آية
ومهلا فقد نَفّرتم السوم اجمعا

همو أخوتي دنيا فلا تقربنّهم
ابا حشرج وامسح لجنبك مضجعا (٨٤)

ويجيبه المثلم بن رياح ويرد على تهديده :

فَمَنْ مُبلِغ عني سنانا رسالة   وشجنة أنْ قُوما خُذَا الحق او دعا

سأكفيك جنبي وضعه ووساده   واغضب ان لم تعط بالحق اشجعا

تسيح الردينيات فينا وفيهم   سياح بنات الماء اصبحن جُوعا

لففنا البيوت بالبيوت فأصبحوا   بني عمنا من يرمِنا يرمِنا معا (٨٥)

ويحاول الحصين بن الحمام المرى اقناع بطن آخر من قبيلته حتى لا يكرهوه وقومه على ما لا يحبون :

فيا اخوينا من أبينا وأمّنا   ذروا موليَيْنا من قضاعة يذهبا

فان أنتمُ لم تفعلوا لا أبالكم   فلا تعقلونا [illegible]

ونحن بنو سهم بن مُرّة لم نجد   لنا نسبا عنهم ولا متذهبا

---

(٨٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٠٣/١ .
(٨٤) معجم الشعراء للمرزباني (٢٨٦) .
(٨٥) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٨٣/١ — ٢٨٤ .

متى ننتسب تلقوا ابانا اباكمْ ... ولن تجدونا للفواحش أقربا (٨٦)

ويتحسر غلاّق مروان على فرقة عبس وذبيان بسبب الرهان بين داحس والغبراء فيقول :

همُ قطعوا الأرحام بيني وبينهم ... واجروا اليها واستحلّوا المحارما

فيا ليتهم كانوا لأخرى مكانها ... ولم تلدي شيئا من القوم فاطما

شأمتم بها حيَّي بغيض وغرَّبت ... اباك فأودى حيث والى الأعاجما

وكانت بنو ذبيان عزا واخوة ... فطرتم وطاروا يضربون الجماجما (٨٧)

ويصور خالد بن نضلة ما يلقى تارك قومه الى قوم آخرين وما يلاقيه فيقول :

لعمري لرهط المرء خيرٌ بقيةً ... عليه وان عالوا به كل مركبِ

من الجانب الأقصى وان كان ذا غنى ... فكلُّ ما علفتَ من خبيث وطيّب (٨٨)

ويتسع دائرة الانتماء وتتضح عند شاعر من بني عبس فيميز بين فرعي العرب الكبيرين : عدنان وقحطان فيرى القرابة من جهة الحارث بن كعب لأنهم من نزار ، لا من جهة جرم وراسب لأنهم من قضاعة من اليمن .

أرى الأرحام لا أرحام قريبة ... لحارِ بنِ كعب لا لجرم وراسبِ

وأنّا نرى أقدامنا في نعالهم ... وآنفنا بين اللحى والحواجب

وأخلاقنا إعطاؤنا وإباؤنا ... اذا ما أبينا لا ندرُّ لعاصب (٨٩)

---

(٨٦) المفضلية (٩٠) .

(٨٧) شرح الحماسة المرزوقي ١/٤٥٥ .

(٨٨) المصدر السابق ١/٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٨٩) المصدر السابق ١/٣٢٨ — ٣٢٩ .

ويتضح هـذا الانتماء بدرجة كبيرة حتى ان قوما يتناولون شخصية الحارث بن وعلة الذهلي فيحار بين الأخذ بالثأر والعفو بسبب القرابة ؛ ويعبّر عن ذلك فيقـول :

قومـي هـمُ قتلوا أميمَ أخـي ... فإذا رميـتُ يصيبنـي سهمي

فلئـن عفـوتُ لأعفوَنْ جَلَـلا ... ولئن سطوتُ لأوهِنَنْ عظمي (٩٠)

---

(٩٠) شرح الحماسة للمرزوقي ١/٢٠٤ .

١ ــ الأصمعيات

تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ــ دار المعارف ط ٢ : ١٩٦٤ .

٢ ــ الأغاني

طبعة دار الكتب ، وطبعة دار الثقافة بيروت .

٣ ــ الأمالي

القالي ــ ط بيروت ــ دار الحكمة ــ د. ت .

٤ ــ تاريخ الطبري

تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم ــ دار المعارف ١٩٦٨ .

٥ ــ جمهرة اللغة

لابن دريد ــ مطبعة البابي الحلبي ــ القاهرة .

٦ ــ الحماسة

لأبي تمام بشرح المرزوقي ، تحقيق عبد السلام هارون ورفيقه ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ــ ط ٢ : ١٩٦٧ .

٧ ــ الحيوان

للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ : بيروت ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٩ .

٨ ــ ديوان الأعشى

تحقيق محمد محمد حسين ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ١٩٧٢ .

٩ — **ديوان امرئ القيس**

تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم — دار المعارف ط ١ ، ١٩٦٩ .

١٠— **ديوان طرفة بن العبد**

تحقيق علي الجندي — مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ .

١١— **ديوان الطفيل الغنوي**

تحقيق محمد عبد القادر أحمد — دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٨

١٢— **ديوان عامر بن الطفيل**

دار صادر — بيروت ١٩٦٣ .

١٣— **ديوان عبيد بن الأبرص**

تحقيق حسين نصار — مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧ .

١٤— **ديوان عمرو بن شأس**

تحقيق يحيى الجبوري — مطبعة الآداب — النجف ١٩٧٦ .

١٥— **ديوان عنترة**

تحقيق عبد المنعم شلبي — المكتبة التجارية الكبرى — مصر — د . ت

١٦— **ديوان النابغة الذبياني**

تحقيق شكري فيصل — دار الفكر — بيروت — ١٩٦٨ .

١٧— **ديوان لبيد بن ربيعة**

تحقيق احسان عباس — وزارة الارشاد بالكويت ١٩٦٢ .

١٨— **سبائك الذهب في معرفة قبائـــل العرب**

لأبي الفوز البغدادي — المكتبة التجارية الكبرى — مصر — د . ت

١٩— **شرح اختيارات المفضل للتبريزي**

تحقيق فخر الدين قباوة — مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧١ .

٢٠ــ شرح المعلقات السبع للزوزني

دار الجيل بيروت ــ ط ٢ : ١٩٧٢ .

٢١ــ شرح النقائض لأبي عبيدة

مصورة بالافست ــ مكتبة المثنى ــ بغداد ــ د. ت .

٢٢ــ القرآن الكريم

٢٣ــ لامية العرب الشنفري

تحقيق محمد عبد البديع شريف ــ دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٤ .

٢٤ــ المحبر لابن حبيب

تحقيق ايلزا ليختن شتيتر ــ المكتب التجاري بيروت ــ د. ت .

٢٥ــ معجم الشعراء المرزباني

تحقيق عبد الستار فراج ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٠

٢٦ــ معجم مقاييس اللغة لابن فارس

تحقيق عبد السلام هارون ــ ط ٢ مطبعة الحلبي ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢

٢٧ــ المفضليات

تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ــ دار المعارف ١٩٦٤

٢٨ــ نهاية الأرب النويري

الهيئة المصرية العامة ــ ١٩٦٤ .

٢٩ــ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير

تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ــ بيروت ــ د. ت .

٣٠ــ الوسيط في الأمثال الواحدي

تحقيق عفيف عبد الرحمن ــ مؤسسة دار الكتب الثقافية ــ الكويت ١٩٧٥ .

رأي في المفعول المطلق

للدكتور محمد حسن عواد
الجامعة الاردنية

سبب التسمية :

الاطلاق ــ لغة ــ الارسال والتخلية . يقال : اطلقت الاسير اذا خليت سبيله ورفعت قيود الأسر . والمفعول المطلق هو المفعول المرسل من كل **قيد أو صلة** . وهو المفعول الحقيقي للفاعل . وان كان مريدا تقييده فقيده اطلاقا . قال ابن السراج « والمصدر هو المفعول حقيقة » (١) . وقال ابن يعيش : « المصدر هو المفعول الحقيقي لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم الى الوجود (٢) . وقال ابن هشام « هو الذي يصدق عليه قولنا مفعول صدقا غير مقيد بالجار (٣) . وقال السيوطي « انما سمي مفعولا لانه لم يقيد بحرف جر كالمفعول به ، وله ، وفيه ، ومعه » (٤) . وقال أيضا : « هو المفعول حقيقة لانه هو الذي يحدثه الفاعل » (٥) . وقال الرضي : « هو المفعول الحقيقي الذي اوجده فاعل الفعل المذكور وفعله ، ولأجل قيام هذا المفعول به صار فاعلا (٦) .

والقول بمصدرية المفعول المطلق قول غير مطرد عند النحاة من جهة صحة اطلاق هذا المفعول على المصدر وغيره . وقول الرضي « اوجده فاعل الفعل المذكور وفعله » مبني على المسامحة وعدم التفريق بين الأثر

---

(١) الاصول في النحو : ١٩٠/١ .
(٢) شرح المفصل : ١١٠/١ .
(٣) اوضح المسالك : ٢٢/٢ .
(٤) همع الهوامع : ٩٤/٣ .
(٥) همع الهوامع : ٩٤/٣ .
(٦) شرح الكافية : ١١٣/١ ، وانظر في حد المفعول المطلق ايضا الارتشاف : ١٥٦ ، والتصريح على التوضيح ٣٢٣/١ ، وحاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٨٤/٢ وغيرها ، وهو كثير .

وهو المفعول المطلق ، وبين المصدر الذي هو التأثير كما سيأتي عن السيد امير بالاشـــام .

قد يقال : أليس زيد في « ضرب عمرو زيدا » هو ما فعله الفاعل ؟ والجواب : هو النفي ، لأن « زيدا » في الجملة وقع عليه فعل الفاعـــل ولم يفعله الفاعل ، خلافا للضرب في « ضرب زيد ضربا » فهو ما فعله الفاعل (٧)

هل المفعول المطلـق مصدر :

واني لحديثك الآن عن مسألة من مسائل المفعول المطلق هي أم الباب ، وعليها المعول . فاذا استقام النظر فيهـــا وسار على نهـــج لاحب تحقق لنا من الفوائد ما لا يحصى ، واذا اخطأ النظـــر صرنا الى مـــا صار اليه سلفنا من النحاة من الاضطراب وكثرة الحدود المفضية الى حقيقة واحدة ، والصائرة الى مآل لا يتعدد ، أو هكذا هو الظن . والقضية دائرة على حقيقة المفعول المطلق : ما هـــي ؟ وقد رأيت الكثرة الكاثرة ممن قرأت لهم من النحـــاة يقولون بمصدرية المفعـــول المطلق ، ورأيت طائفـــة منهم تقول بصحة اطلاق المفعول المطلق علـــى المصدر وغيره . ورأيـــت نظم هذه المقولات في اطارين :

الاطار الأول : وينتظم مقولات الفريق الأول .

الاطار الثاني : وينتظم مقولات الفريق الثاني .

والناك الواجد في كـــل اطار ما يشكل . فعسى أن نخرج مـــن هذه الاشكالات بشيء يبعث على الرضا ويدعو الـــى السكينة .

---

(٧) ابن هشام : شذور الذهب (٢٢٦) .

الاطار الأول :

ينتظم هذا الاطار — كما قلت — مقولات الكثرة الكاثرة من النحاة ، وهم القائلون بمصدرية المفعول المطلـق . وسنرى ان مقولات هذا الفريق يعتريها التناقض والاضطراب وشيء غير قليل من الحيرة ، وتفضي في النهاية الى صحة اطلاق المفعول المطلـق على المصدر مرة ... ولذا لتجد للنحوي الواحد غير راى واحد . وها نحن نسوق بعضها من امهاتها ، اذ لا سبيل الى حصرها جميعا في هذا المقام فضلا عن التمثيل الواضح عليها .

قال سيبويه : « قعد قِعْدَةَ سوء،وقعد قعدتين لما عمـل في الحدث عمل في المرة والمرتين ، وما يكون ضربا منـه . فمن ذلك : قعد القرفصاء ، واشتمل الصماء ، ورجع القهقرى ، لانه ضرب من فعله الذي اخذ منه » (٨) .

وقال ابن السراج « ومصدر الفعل الذي يعمل فعله فيه يجيء على ضروب : فربما ذكـر توكيدا نحو قولـك : قمت قياما ، وجلسـت جلوسا ، فليس في هـذا اكثر من انك اكدت فعلك بذكرك مصدره . والضـرب الثاني تذكرة للفائدة نحو قولـك : ضربت زيدا ضربا شديدا . . . وكذلك اذا قلت : ضربت ضربتين وضربات (٩) .

وقال الزمخشري « هو المصدر — اي المفعول المطلق — سمي بذلك لأن الفعل يصدر عنـه ويسميه سيبويه الحدث والحدثان ، وربما سماه الفعل . وينقسم الى مبهم نحو : ضربت ضربا ، والى مؤقت نحو : ضربت ضربة وضربتين (١٠) .

---

(٨) الكتاب ٢٤/١ ، وانظر ايضا الاصول في النحو ١٦١/١ .

(٩) الاصول في النحو ١٦١/١ .

(١٠) شرح المفصل ١٠٩/١ — ١١٠ .

وقال ابن عقيل : « المفعول المطلق هو المصدر المنتصب توكيدا لعامله ، أو بيانا لنوعه ، أو عدده نحو : ضربت ضربا ، وسرت سير زيد ، وضربت ضربتين (١١) . وقال ابن هشام : « المفعول المطلق وهو المصدر الفضلة المؤكد لعامله ، أو المبين لنوعه او لعدده كضربت ضربا أو ضرب الأمير او ضربتين (١٢) .

فالمفعول المطلق — كما ترى — مصدر مؤكد لعامله ، أو مبين لنوعه ، او عدده . ومقتضى هذا الحد ان تخرج المصادر المرادفة بنوعيها اللاقي في الاشتقاق وغير اللاقي في الاشتقاق من مثل « وتبتل اليه تبتيلا (١٣) ". و « والله انبتكم من الارض نباتا » (١٤) ، وفرحت جذلا ، وقعدت جلوسا . او نصير الى التقدير بلا ضرورة ملجئة كما سيأتي عن الرضي . او نعمل فيها العامل المذكور للاتفاق في المعنى العام ، كما سيأتي عن المبرد وغيره ، وهو مردود ، لان لكل لفظ معنى خاصا به ، فالجلوس غير القعود وان كان يجمعهما معنى عام ، والانبات غير النبات ، وان كان يجمعهما معنى عام . وكذا القول في كل مترادف . والذي عليه سيبويه ان نباتا وتبتيلا وامثالهما مصادر جاءت على غير افعالها والمعنى واحد . قال « باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل ، لان المعنى واحد . وذلك قولك : اجْتَوَروا تجاوُراً وتجاوروا اجتواراً لان معنى اجتوروا وتجاوروا واحد . ومثل ذلك : انكسر كسراً، كُسِر انكساراً ، لان معنى كسر وانكسر واحد . وقال الله تبارك وتعالى « والله انبتكم من الارض

---

(١١) شرح ابن عقيل ١/٥٥٧ . والراجح عند النحاة اعتبار المصدر النوعي المضاف نائبا عن المصدر . قال السنباطي « ان نحو هذا مما ناب فيه صفة — المصدر عنه » التصريح على التوضيح ١/٣٢٤ . وقالوا : يستحيل ان يفعل الانسان فعل غيره . التصريح ١/٣٢٤ والنحو الوافي ٢/١٦٩ ، ١٧٥ .

(١٢) شذور الذهب (٢٢٥) .

(١٣) المزمل (٨) .

(١٤) نوح (١٧) .

نباتا » لانه اذا قال انبته فكانه قال قد نبت » (١٥) . والمنقول عن سيبويه — عند الجمهور — ان هذه المصادر منصوبة بأفعال مضمرة دل عليها الظاهر . قال ابن يعيش « منصوبة بفعل محذوف دل عليه الظاهر ، وهو مذهب سيبويه » (١٦) .

والذي عليه المبرد ان هذه المصادر يعمل فيها الفعل المذكور لاتفاقهما في المعنى : قال « واعلم أن الفعلين اذا اتفقا في المعنى جاز أن يعمل مصدر احدهما على الآخر ، لان الفعل الذي ظهر في معنى فعله الذي ينصبه (١٧) .

وذهب المازني والسيرافي الى ما ذهب اليه المبرد (١٨) ، وهو المختار عند ابن مالك (١٩) وهو الأولى عند الرضي : قال « وهو اولى لان الاصل عدم التقدير بلا ضرورة ملجئة اليه (٢٠) . واختاره ابن هشام في شذور الذهب فقال في حد المفعول المطلق « هو المصدر الفَضْلة المسلط عليه عامل من لفظه كضربت ضربا ، او من معناه كقعدت جلوسا (٢١) .

وكلا الفريقين يتفق على شيء واحد وهو وجوب اعراب المرادف مفعولا مطلقا . فعلى الرأي الاول هو مفعول مطلق لانه مصدر ، وناصبه فعل مضمر ، وعلى الرأي الثاني هو مفعول مطلق وهو مصدر ، وناصبه الفعل المذكور .

---

(١٥) الكتاب ١/٢٩١ — ٢٩٢ .

(١٦) شرح المفصل ١/١١٢ ، وانظر القضية في الكافية ١/١١٦ ، وهمع الهوامع ٣/٩٤ ، وحاشية على شرح الفاكهي ٢/٨٨ ، وشرح ابن عقيل ١/٥١١ .

(١٧) المقتضب ١/٧٣ .

(١٨) انظر شرح المفصل ١/١١٢ ، وحاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٢/٨٨ ، وخالف في الهمع فنسب المبرد الى فريق سيبويه ٢/٩٤ .

(١٩) الكافيــة ١/١١٦ .

(٢٠) الكافيــة ١/١١٦ ، وانظر حاشية على شرح الفاكهي ١/٨٨ .

(٢١) قطر الندى (٢٢٤) .

وعلى المذهب الأول يقتضي التقدير وهو ما لا تدعو اليه الضرورة ، وعلى المذهب الثانـي يقتضي تماثل المترادف في المعنى ، وهــو قول غير دقيق . واذن فتلـك قضية لا بد من حل لهـــا ، والحل ـــ كما تصوره النحاة فيما بعد ـــ هو ادراج هذا النوع من المصادر الجارية على غـــير افعالها في مبحث النيابة عن المصدر ، وهو الشائع في الكتب المتأخرة (٢٢) . وتصور النحاة هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار، اذ كيـــف ينوب مصدر عن مصدر الا اذا استقر في الادهان أن المصدر الحقيقي هـــو المصدر المؤكد لعامله ، واما ما عداه فهو فرع عنه ; وهذا امر غير جائز ولا قائل به (٢٣) .

وما يقال في المرادف يقال مثله في المصادر النوعية ، من مثل القهقرى والصماء والقرفصاء ، فسيبويه يعدها مصادر يعمل فيها الفعل الذي قبلها ، كما هـــو الظاهر من قوله : « قعد قِعْدَةَ سوء ، وقعد قعدتين لما عمـــل في الحدث عمل في المرة والمرتين ومـــا يكون ضربا منـــه ، فمن ذلك قعـــد القرفصاء ، واشتمل الصماء ورجع القهقرى (٢٤) . وقال ابن يعيش « واما رجع القهقرى ، واشتمل الصماء ، وقعد القرفصاء ، فقد قال سيبويه انها مصادر ، وهي منصوبة بالفعل قبلها ، لان القهقرى نوع مـــن الرجوع ، فلذا تعدى الى المصدر الذي هو جنس عام كان متعديا الـــى النوع اذ كان داخلا تحته ، وكذلك القرفصاء (٢٥) .

وقال بعض الكوفيين انها منصوبة بأفعال مشتقة وان لم تستعمل (٢٦)

---

(٢٢) انظر شرح ابن عقيل ١/٥٦١ ، وشرح الاشمونى ١/٢١٠ واوضح المسالك ٢/٢٤

(٢٣) انظر التصريح ١/٣٢٨ .

(٢٤) الكتاب ١/٢٤ .

(٢٥) شرح المفصل ١/١١٢ .

(٢٦) الكافية ١/١١٥ وقال في اللسان : « والقهقرى مصدر قهقر اذا رجع على عقبيه » ٦/٤٢٤ ، وقال « فاذا قلت قعد فلان القرفصاء ، فكأنك قلت : قعد قعودا مخصوصا » ٨/٢٢٦ . وقال « فاذا قلت اشتمل الصماء ، كانك قلت اشتمل الشملة التي تعرف بهذا الاسم لان الصماء ضرب مـــن الاشتمال » . ٢٢٦/١٥ .

ورأى أبو العباس المبرد انها أوصاف لمصادر محذوفة . قال ابن يعيش « وقال ابو العباس : هذه حلى وتلقيبات وصفت بها المصادر ثم حذفت موصوفاتها ، فاذا قال : رجع القهقرى ، فكأنه قال : الرجعة القهقرى . واذا قال : قعد القرفصاء فكأنه قال : القعدة القرفصاء (٢٧) . فاذا قلنا انها مصادر فلا بد أن تدرج في المفعول المطلق لا في النائب عنه كما يرى ابن هشام في الشذور (٢٨) . واذا تحقق انها أوصاف فلا بد من ادراجها تمشيا مع تصور النحاة فيما ناب عن المصدر من صفة . والذي عليه الرضي أن مذهبي المبرد وبعض الكوفيين ضعيف ، لان الاول يقتضي ان تكون أوصافا ، وهي ليست كذلك ، والثاني يقتضي أن يكون لها افعال من جنسها لم تستعمل . ومعنى هذا انه تبنى رأى سيبويه القائل بأنها مصادر نوعية تعمل فيها الافعال قبلها (٢٩) . واذا كانت هذه المصادر تعمل فيها افعال من غير لفظها ولكنها من جنس ما تدل عليه،ادرجها النحاة فيما ينوب عن المصدر . ونيابة المصدر عن المصدر امر غير مقبول — كما اسلفنا — لان هذه النيابة تقتضي بان انتصاب النوعي فرع من انتصاب المؤكد ولا قائل به (٣٠) ؛ ويبدو ان النحاة قد تصوروا فعلا أن النوعي فرع عن المؤكد ، والدليل على ذلك انهم ادخلوا في حد المفعول المطلق المصدر النوعي الموصوف ، مثل « ضربت ضربا شديداً » . وادخلوا في باب النيابة المصدر النوعي الذي هو من جنس ما يدل عليه عامله ، مثل « رجع القهقرى » و « قعد القرفصاء » ، وكذلك المصدر النوعي المضاف مثل « سرت سير زيد » و « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر »؛ لان الفاعل يستحيل ان يفعل فعل غيره ، كما تقدم عن السنباطي (٣١) ويقال الا[illegible]

---

(٢٧) شرح المفصل ١١٢/١ ، وانظر الاصول في النحو ١٦١/١ ، الكافية ١١٥/١ .

(٢٨) شذور الذهب (٢٢٦) .

(٢٩) الكافية ١١٥/١ .

(٣٠) التصريح ٣٢٨/١ .

(٣١) انظر ما تقدم حاشية ص (٣) .

عباس حسن « وهم يقولون ايضا ان المصدر النوعي ان كان مضافا فالأصح اعتباره نائب مصدر لاستحالة ان يفعل الانسان فعل غيره ، وانما يفعل فعله الصادر عنه (٣٢) . وهذا خلاف من القول . فمقتضى الحد ان يدخل فيه المصدر النوعي بأقسامه كلها لا لشيء الا لانه مصدر ، أو أن يغير الحد بحيث يقتصر اطلاق المفعول المطلق على المصدر المؤكد فقط . ثم نرى من امرهم عجبا ، فالمفعول المطلق الذي هو مصدر بمقتضى الحد يصير مصدرا اقتصارا على الغالب . قال ابن هشام « واكثر ما يكون المفعول المطلق مصدرا (٣٣) ثم ينحل الى مصدر وغير مصدر . قال ابن هشام « ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق ما يدل على المصدر من صفة كَثُرتُ احسن السير واشتمل الصماء ، وضربته ضرب الأمير . . . . (٣٤) . وقال الاشموني : « وقد ينوب عنه ــ أي عن المصدر ــ في الانتصاب على المفعول المطلق ما عليه ، أي ما على المصدر دل، وذلك ستة عشر شيئا . . . . . (٣٥) وقال في التصريح « ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق ما يدل على المصدر من . . . . (٣٦) . وقال الدنوشري « اطلاق المفعول المطلق على المصدر وعلى النائب عنه حقيقة عرفية (٣٧) . وقال الاستاذ عباس حسن : « المفعول المطلق قد يطلق ــ احيانا ــ على المصدر الاصيل المنصوب على المصدرية ، وقد يطلق على ما ينوب عنه أحيانا اخرى (٣٨) . وقال : ايضا « وحكم هذا

---

(٣٢) النحو الوافي ٢/١٦٩ ، ١٧٥ .

(٣٣) أوضح المسالك ٢/٣٣ ، وانظر في مثل ذلك في معجم النحو (٣٦١) ، والتصريح ٣٢٨/١

(٣٤) أوضح المسالك ٢/٣٣ .

(٣٥) شرح الاشموني ١/٢١٠ .

(٣٦) التصريح على التوضيح ١/٣٢٥ .

(٣٧) التصريح على التوضيح حاشية ١/٣٢٦ .

(٣٨) النحو الوافي ٢/١٧٢ .

النائب ـــ اي الاشياء التي تنوب عن المصدر ـــ النصب دائما ، ويقدر في اعرابه انه منصوب لنيابته عن المصدر المحذوف ، او منصوب لانه مفعول مطلق . ولا يصح في الاعراب الدقيق ان يقال منصوبا لانه مصدر ، وذلك لما أوضحناه من انه ليس مصدرا للعامل المذكور ، اذ مصدر العامل المذكور قد حذف وهـذا نائب عنه . . . . . فمن الواجب عدم الخلط بين المصطلحات ، والتحرز من الخطأ في مدلولاتها . فعند اعراب المصدر الاصلي المنصوب نقول انه مصـدر منصوب او مفعول مطلق منصوب كذلك . اما عند حذف المصدر الاصلي ووجود نائب عنـه فنقول انه نائب عن المصدر المحذوف منصوب أو مفعول مطلق منصوب ، ولا يصح أن يقال مصدر » (٣٩) .

وكل ما تقدم يأباه مقام التعريف ويدعو الـى رسم جديد لحد المفعول المطلق . وقول عباس حسن « لا يصح أن يقال بمصدر » يحتاج الى تقييد ، لانه لا يسري على المرادف والنوعي،والا فكيف ننفي عن هذين اللونين مصدريتهما ؟ وقولـه « ولا يصح في الاعراب الدقيق أن يقـال منصوب لانه مصدر » ملحق بقوله الاول . وقد وقعت على كثير من المصادر المرادفة يقال في اعرابها أنها منصوبة على المصدر . قال ابن الانباري « قوله « وكل شيء احصيناه كتابا » كتابا : منصوب على المصدر . وفي العامل فيـه وجهان : احدهما (٤٠) : ان يكون العامل فيه احصيناه وهو بمعنى كتبنا .

والثاني (٤١) : ان يكون قدر له فعل من لفظه دل عليه احصيناه فكأنه قـال : كتبناه كتابا » (٤٢) .

---

(٣٩) النحو الوافي ٢/١٧٢ وانظر ايضا ٢/١٧١ .

(٤٠) هو الراي المنسوب الى المبرد والمازني والسيراقي .

(٤١) هو الراي المنسوب الى سيبويه .

(٤٢) البيان في غريب اعراب القرآن ٢/٦٦ .

وقال في موضع اخر في اعراب « تبتيلا » في قوله تعالى « وتبتل اليه تبتيلا » : تبتيلا منصوب على المصدر . . . . . . (٤٢) . وقول عباس « فمن الواجب عدم الخلط . . . . . . » مردود ، لان الخلط قائم مهما تحرز الدارس

فالمفعول المطلق هو المصدر تارة ، وهو المصدر وما ينوب عنه تارة ثانية ، وهو المصدر اقتصارا على الغالب تارة ثالثة ، بله القول بالمصدر الكامل في المصدرية والنائب عنه . فمن الواجب اعادة النظر في حد المفعول المطلق ، وهو اولى من التحرز وعدم الخلط بين المصطلحات ، وهو ما سنأخذ به ان شاء الله .

اساس هذا الاضطراب الواقع في مقولات النحاة القول بمصدرية المفعول المطلق ، وحصر هذه المصدرية — احيانا — في المحتمل للقليل والكثير — كما تقدم — وكما نلحظ ذلك في ما قاله ابن القيم وهو : « واما الظن فمصدر لا يثنى ولا يجمع الا ان تريد به الامور المظنونة نحو قوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا » اي يظنون اشياء كاذبة ؛ والظنون على هذا مفعول مطلق لا عبارة عن الظن الذي هو مصدر (٤٤) .

فالظن الذي هو مصدر هو الظن المحتمل للقليل والكثير ، واما النوعي فهو ليس بحقيقي . وانما ينزل منزلة الحقيقي .

واذا صح انه ينزل منزلة الحقيقي ، فالمفعول المطلق هو الحقيقي وغيره ، لانه يصح اطلاقه على كليهما كما تقدم .

والواقع ان هذه المصدرية التي تشبث النحاة بها — فضلا عما سقناه من ادلة دفعها — هي مصدرية غير حقيقية بما فيها المصدر المحتمل

(٤٢) بدائع الفوائد ٢/٩٨ .

(٤٤) البيان في غريب اعراب القرآن ٢/٢٦٩ .

للقليل والكثير . بيان ذلك أن المفعول المطلق « هـو الأثر الواقع بإيقاع المصدر ، وليس هو المصدر الذي هو التأثير . قال السيد أمير بادشاه « المفعول المطلق هـو الحاصل بالمصدر ، أي الأثر لا المصدر الذي هو التأثير . قـال : واطلاق المصدر على المفعول المطلق بضرب من المسامحة وعدم التمييز بين التأثير والأثر » (٤٥) وقال « صرحوا بأن ما اشتمل عليه الفعل مطلقا انما هـو التأثير ، وانما كون المفعول المطلق بمعناه مبني على عدم الفرق بين التأثير والأثر ، فلزم وجود التأثير والأثر في كل مصدر جاء منه فعـل (٤٦) . ثم قال « فالوجه ان يقال أريد بالأثر ما يعم الأثر وما نزل منزلته لمشاركته اياه في كونه نسبة بين الفاعل وحدثه قائم به بحيث صار فاعلا لأجل قيامه » (٤٧) .

ومن مفارقات النحويين العجيبة حملهم أسماء على المصادر وجعلها مفاعيل مطلقة ، من مثل « تربا » و « جندلا ». وظاهر تحليل سيبويه أنها منصوبة على المفعول به . قال سيبويه « باب ما جرى من الأسماء مجرى المصادر التي يدعى بها ، وذلك قولك : تربا وجندلا وما اشبه هذا ، فإن ادخلت "لك" فقلت : تربا لك، فان تفسيرها ههنا كتفسيرها في الباب الأول . كأنه قال : ألزمك الله ، وأطعمك الله تربا وجندلا ، وما أشبه هذا من الفعل ، فاختزل ها هنا لأنهم جعلوه بدلا من قولك : تربت يداك وجندلت . وقد رفعه بعض العرب فجعله مبتدأ مبنيا عليه ما بعده (٤٨) . وحتى

---

(٤٥) التصريح على التوضيح ١/٣٢٤ حاشية وانظر حاشية [illegible]

(٤٦) التصريح على التوضيح ١/٣٢٣ حاشية .

(٤٧) التصريح على التوضيح ١/٣٢٣ .

(٤٨) الكتاب ١/١٨٦ . وجواز الابتداء بالنكرة هنا لما فيه معنى [illegible] الدعاء وانظر ايضا المقتضب ٢/٢٢٢ [illegible] شرح المفصل ١/١٢٢ .

الشلوبين بالنصب علــى المصدر (٤٩) ، والأصح النصب على المفعــول بـــــه (٥٠) .

رأيت مما مضى كيف أن مقولات الكثرة الكاثرة من النحاة لا تجرى على نسق، وان فيها ما يدفع بعضه بعضا ، وان افضل ما يستقر عليه حال المفعول المطلق أن يطلق على المسمى بلفــظ المصدر وما ينوب عنه . وهو الامر الذي سنأخذ به في نهاية البحث ان شاء الله . وهــو ما انحلت اليه مقولات النحاة فيما تقــدم . فاذا تحقق هــذا صرنا الى حد ادنى الى الصواب وابعد عــن الاضطراب والتناقض .

الاطــار الثانــي :

وهو الاطار الذي ينتظم مقولات الفريق القائل بصحة اطلاق المفعول المطلق على المصدر وغيره من غير الجهة التي انحلت اليها مقولات الفريق الاول ، وانما مــن جهة ثانية . فالاولى مبناها علــى اختلاف الأقوال وتعداد الآراء وكثرة المصطلحات ، والثانية مبناها على ابحاث كلامية ، واخرى بلاغية . وكلام هذا الفريق يفضي الى مــد حدود دائرة المفعول المطلق بحيث تشمل كل ما كان غـــير موجود ثم وجد بفعل ايجـــاد، من مثل: « خلق الله السموات » و « انشأت كتابا » و « عملت صالحا » وفعلت خيرا .

ويقف على رأس هذا الاتجاه عبد القاهر الجرجاني وتابعه عليه ابن هشام في المغني . قال عبد القاهر « الافعال علــى ضربين : متعدٍّ وغير متعدٍّ . فالمتعدي على ضربين : ضرب يتعدى الى شيء هو مفعول به ، كقولك : ضربت زيدا « زيدا » مفعول به ؛ لانك فعلت به الضرب ولم يفعله

---

(٤٩) حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ٢/٨٨ .

(٥٠) حاشية يس على شرح الفاكهي ٢/٨٨ ، والنحو الوافي ٢/١٩٢ .

بنفسه ، وضرب يتعدى الى شيء هو مفعول على الاطلاق . وهو في الحقيقة كفعل ، وكل ما كان مثله في كونه عاما غير مشتق من معنى فاعل ، كصنع ، وعمل ، واوجد ، وانشأ . ومعنى قولي من « معنى فاعل » انه ليس كضرب الذي هو مشتق من الضرب ، او اعلم الذي هو مشتق من العلم . وهكذا كل ما له مصدر،ذلك المصدر في حكم جنس من المعاني ، فهذا الضرب اذا اسند الى شيء كان المضروب له مفعولا لذلك الشيء على الاطلاق ، كقولك : فعل زيد القيام ، فالقيام مفعول في نفسه ، وليس مفعولا به . واحق من ذلك ان تقول : خلق الله الانسان ، وانشأ العالم ، وخلق الموت والحياة . والمنصوب في هذا كله مفعول مطلق لا مقيد ، لانه من المحال ان يكون معنى « خلق العالم » فعل الخلق به ، كما تقول في ضربت زيدا ، فعلت الضرب بزيد ، لان الخلق ممن خلق كالفعل من فعل . فلو جاز ان يكون المخلوق كالمضروب لجاز ان يكون المفعول في نفسه كذلك حتى يكون معنى فعل القيام فعل شيئا بالقيام ، وذلك من شنيع المحال (٥١) . وقال ابن هشام « قولهم : في نحو « خلق الله السموات » مفعول به ، والصواب : انه مفعول مطلق ، لان المفعول المطلق ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد نحو قولك : ضربت ضربا ، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك الا مقيدا بقولك : به كضربت زيدا . وانت لو قلت : السموات مفعول ، كما تقول : الضرب مفعول كان صحيحا . ولو قلت : السموات مفعول به ، كما تقول زيد مفعول به لم يصح (٥٢) ثم قال « المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم اوقع الفاعل به فعلا . والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده (٥٢) . وكلام عبد القاهر ومن

---

(٥١) اسرار البلاغة ٢٤٠ — ٢٤١ .

(٥٢) مغنى اللبيب : ٦٦٠ — ٦٦١ . وممن ذهب مذهب عبد القاهر ابن الحاجب في الامالي والزمخشري . المغنى (٦٦١) والتصريح ١/٧٩ .

(٥٢) مغني اللبيب (٦٦١) .

بعده ابن هشام ، مبني على عدم التفريق بين حقيقة علم النحو ، وحقيقة علم البيان (البلاغة) ؟ فعلم النحو يبحث في الالفاظ من جهة وقوعها في التركيب صحة وفسادا ، وعلم البيان يبحث في الالفاظ من جهة وقوعها في التركيب جمالا وقبحا مرورا بعلم النحو (٥٤). قال الزمخشري في علم النحو « هو المرقاة المنصوبة الى علم البيان (٥٥) .

علم النحو اذن ليس علم المعنى ، وانما هو العلم الذي يحتفي بالمعنى من غير ان يجور هذا الاحتفاء على مقاصده الاصلية . وهي مقاصد مبناها على ملاحظة الالفاظ اعرابا وبناء . وقد ساق ابن هشام عشر وجهات يدخل بها الاعتراض على المعرب منها : « ان يراعي — اي المعرب — ما يقتضيه ظاهر الصناعة ، ولا يراعي المعنى . وكثيرا ما تزل الاقدام بسبب ذلك (٥٦) ومنها « ان يراعي المعرب معنى صحيحا ، ولا ينظر في صحته في الصناعة (٥٧) ومنها « ان يخرج على خلاف الاصل ، او على خلاف الظاهر لغير مقتضى لذلك (٥٨) .

من اراد ان ينظر في النحو اذن فلينظر اليه من جهة الاصل في وضعه ولا يحمله على اصل علم آخر ، لان في ذلك خلطا ، واخراجا للعلوم عن حقائقها الاصلية ، ومقاصد علم النحو اساسها ضبط اللسان العربي وحمايته من اللحن . واذا كان الامر كذلك « فالسموات » و « الاناسي » و « كتابا » و « الصالحات » في « خلق الله السموات » و « خلق الله الاناسي »

---

(٥٤) انظر التعريفات (٢١ ، ١٠٥) ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٣/١ .

(٥٥) شرح المفصل ١٦/١ .

(٥٦) مغني اللبيب (٥٢٧) .

(٥٧) مغني اللبيب (٥٢٩) .

(٥٨) مغني اللبيب (٥٩٦) . وساق ابن هشام لكل جهة من الجهات امثلة كثيرة ، انظر المغني من ص (٥٢٧ — ٦٠٣) .

و « انشأت كتابا » و « عملوا الصالحات » تجري مجرى زيد في « ضربت زيدا » وان لم يقع عليها فعل الفاعل . لان المفعول به ــ كما ... الذي هو ــ ما وقع عليه فعل الفاعل او جرى مجرى الواقع كضربت زيدا ، وخلق الله السموات، وانشأت كتابا ، وما ضربت زيدا .

واذا ما اردنا البعد عن التسامح قلنا ان « زيدا » لم يقع عليه فعل الفاعل ، وانما وقع على الشخص المسمى به . وهذا يقتضي اعادة النظر في حد المفعول به الذي بنيت عليه مقارنة عبد القاهر وابن هشام بين المفعول المطلق والمفعول بـه ، وذلك ادنى الى الانسجام مع منطق اللغة بعيدا عما يحدث في الخارج .

والقول بأن من شرط المفعول به وجوده في الاعيان ، قولٌ رَدَّه الشيخ تاج الدين التبريزي في شرح الحاجبية فقال : « لا نسلم ان من شرط المفعول به وجوده في الاعيان قبل ايجاد الفعل ، وانما الشرط توقف عقلية الفعل عليه سواء أكان موجودا في الخارج نحو : ضربت زيدا ، او ما ضربته ، او لم يكن موجودا في الخارج نحو : عدمت زيدا ، وبنيت الدار . قال الله تعالى اعطى كل شيء خلقه ، فان الاشياء متعلق لفعل الفاعل بحسب عقليته ثم قد يوجد في الخارج وقد لا يوجد ، وذلك لا يخرجه عن كونه مفعولا . وقال تعالى « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٥٩) .

وقال الشيخ شمس الدين الاصفهاني في شرح الحاجبية « المفعول به بالنسبة الى فعل غير الايجاد يقتضي ان يكون موجودا ثم اوجد الفاعل فيه شيئا ، فان اثبات صفة غـير الوجود يستدعي ثبوت الموصوف اولا ، واما المفعول به بالنسبة الى الايجاد ، فلا يقتضي ان يكون موجودا ثم

---

(٥٩) التصريح على التوضيح ١/٨٠ الحاشية .

اوجد فيه الفاعل الوجود ، بل يقتضي ان لا يكــون موجودا ، والا لكان تحصيل الحاصل (٦٠)، والذي ساقه عبد القاهر وتابعه عليه ابن هشام له اتصال وثيق بابحاث كلامية بحتة . وانك لتلحظ هــذا جيدا من جهة انتماء عبد القاهر الى اهل الكلام ، ومن جهة الرد الــذي ساقه الجمهور عليه، الذاهبون الى ان العالم في « خلق اللـــه العالم » مفعول به لا مفعول مطلق . قال في التصريح « واحتج الجمهور الذاهبون الــى ان العالـــم مفعول به لا مفعول مطلق بأمور اولها : انا قد نعلم العالم ، وان كنا لا نعلم انه مخلوق الله تعالى الا بدليل منفصل . والمعلوم مغاير للمجهول . فاذن تكون الله ... العالم غــير ذات العالم .

وثانيها : انا نصف الله بالخالقية ، فلو كان خلـــق العالم نفس العالم لزم أن يكون الله تعالى موصوفا بالعالم ، كما انه موصوف (٦١) بخالقية العالم ... .

وثالثها : ان نقول العالم ممكن ، فلم يوجد الا لان الله اوجده واحدثه وابدعه ، فلو كان ايجاد العالم واحداثه نفس العالم لكـــان قولنا : العالم وجد ، لان اللـــه اوجده جاريا مجرى قولنا : العالم وجد ، لانه وجد فيكون ذلك تعليلا الشيء بنفسه ، ويرجع حاصله الى ان العالم وجد بنفسه، وذلك نفي الصانع (٦٢) . وهكذا ضاعت اللغة وضاع منطقها في ركام من ابحاث الكلام . وهو امر مرفوض في البحث اللغوي ، اذ ان للغة منطقا خاصا بها منسجما مع طبيعتها ، وكـــذا تجد لكل علم منطقه الخاص ، ولا يجوز حمل علم على علم الا بالقدر الذي لا يجور على المقاصد الاصلية لكل علم .

---

(٦٠) التصريح على التوضيح ١/٨٠ الحاشية .

(٦١) في الأصل موضوفا .

(٦٢) التصريح على التوضيح ١/٨٠ .

حصـــاد البحـــث :

يتركز حصاد هــذا البحث في رسم حد جديد للمفعول المطلق تندرج تحته جميع مسائل المفعول المطلق ، بحيــث لا نعرف من مصطلحات المفعول المطلق غـــير مصطلح واحد هو المفعول المطلق . وهذا الحد الجديد منتزع من مقولات النحويين التي طرحناها فيما تقدم ، ولكن مع ميل واضح الى التوحيد . وبعد عن الاختلاف وتعدد الآراء ، ووجوه التشابك ، ومراعاة لمقاصد صناعة النحو الأصلية . والحد الذي نقدمه هو على النحو التالي : المفعول المطلق هو ما فعله الفاعل حقيقة أو مجازا غير مقيد بشرط . وهذا الحد من شأنه ان تندرج تحتـــه كل مسائل المفعول المطلق التي [illegible] النحويون على أنها مصادر تارة ، ونائبة عن المصادر تارة ثانية ، ومفاعيل مطلقة تارة ثالثة ، ونائبة عن المفاعيل المطلقة تارة رابعة . واليك هذه المســائـــــل (٦٢) :

١ ــ ما لم يفعله الفاعل حقيقة مثل : مات موتا ، وما ضربته ضربا .

٢ ــ المصدر المؤكد لعامله مثل : ضربته ضربا .

٣ ــ المصدر المرادف بنوعيــه :

أ ــ الملاقي في الاشتقاق مثل : « وتبتل اليه تبتيلا » .

ب ــ غير الملاقي في الاشتقاق مثل « قعدت جلوسا » و « فرحت جـــــذلا » .

٤ ــ المصدر العددي مثل : ضربته ضربتين ، وما دل عليه مثل : ضربته مرتيــــن .

---

(٦٣) هذه المسائل واردة في غير كتاب نحوي ، وقد اعتمدنا في رصدها على : شرح ابن عقيل ، وشرح الاشموني ، وأوضح المسالك ، ومعجم النحو ، وحاشية [illegible] شرح الفاكهـــي لقطر النــدى .

٥ — المصدر النوعي مثل : سرت سيرا حسنا . و « رجع القهقرى» وقعد القرفصاء ، واشتمل الصماء » .

٦ — اسم المصدر مثل : اغتسلت غسلا .

٧ — اسم الآلة : ضربته سوطا .

٨ — الضمير مثل « لا اعذبه احدا من العالمين » .

٩ — المشار اليه مثل « ظننت ذلك الظن » .

١٠ — بعض المضافة الى مصدر مثل : « اكرمته بعض الاكرام » .

١١ — كل المضافة الى مصدر مثل : « فلا تميلوا كل الميل » .

١٢ — ما الاستفهامية مثل : ما تضرب زيدا .

١٣ — ما الشرطية : ما شئت فاجلس .

١٤ — ما دل على هيئة المصدر المحذوف : مات الجبان ميتة سوء .

١٥ — صفة المصدر كسرْتُ احسن السير .

١٦ — المصدر الذي حذف عامله جوازا لقرينة لفظيــة او معنوية مثل « جلوسا طويلا » أي جلست جلوسا طويلا . وسعيا مشكورا ، اي سعيت سعيا مشكورا .

١٧ — المصدر الذي حذف عامله وجوبا ولا فعل له مثل : ويحه ، ، وويه ، وويله ، وويبه .

١٨ — المصدر الذي حذف عامله وجوبا وله فعل مثل :

أ — المصدر الواقع امرا او نهيــا او دعاء أو مقرونا باستفهام توبيخي مثل : « اجتهادا لا توانيا » و « سقيا » و « أتوانيا » وقد جد قرناؤك .

ب ـ المصدر الذي حذف عامله ، ودل على هذا العامل قرينة ، وشاع استعماله مثل : حمدا ، وشكرا ، وصبرا لا جزعا ، وعجبا ، وسمعا وطاعة ، وسحقا ، وبعدا .

جـ ـ المصدر المسوق تفصيلا لما قبله طلبا كقوله تعالى « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء » ، او خبرا كقول الشاعر :

لأجهدنَّ فإمّا درء واقعة
تُخشى وإما بلوغ السؤل والأمل

د ـ المصدر الواقع فعله خبرا عن اسم عين لا اسم معنى (٦٤) بشرط ان يكون مكررا او محصورا مثل « زيد سيرا سيرا » و « ما زيد الا سيرا » او مستفهما عنه مثل « أأنت سيرا » او معطوفا عليه مثل : « انت نهبا ورشدا » . فان لم يكرر المصدر ولم يحصر جاز ذكر عامله وجاز حذفه مثل : انت سيرا .

هـ ـ ١ ـ المصدر المؤكد لنفسه ، اي مؤكد للجملة التي قبله مثل « له علي الف عرفا » اي اعترافا .

٢ ـ والمصدر المؤكد لغيره ، وهو الواقع بعد جملة تحتمله وتحتمل غيره . مثل : انت ابني حقا . يحتمل ان يكون ذلك حقيقة او مجازا .

و ـ المصدر الواقع بعد جملة مشتملة على فاعل المصدر ، وعلى معناه ، وفيها ما يصلح للعمل في المصدر ، بشرط ان يكون

(٦٤) ان وقع خبرا لاسم معنى فعليك بالرفع . مثل « امرك عجب عجيب » .

المصدر مشعرا بالحدوث ومرادا به التشبيه مثل : « لي سعي سعي الشاكرين » . فاذا لم يستوف الشروط فالرفع على البداية مثل : « له ذكاء ذكاء الحكماء » . هذا كله يعرب مفعولا مطلقا . لانه يصح أن يكون ما فعله الفاعل حقيقة او حكما غير مقيد بشيء . وكل ما وقع تحت يدك ويصح ان تطلق عليه ما فعله الفاعل من قيد فأدرجه في المفعول المطلق ولا تتردد . وبهذا التوحيد نكون قد خلّصنا هذا الباب من كثرة المصطلحات ، ورددنا فروع المفعول المطلق الى اصل واحد . ونكون قد مهدنا طريق هذا الباب ، بحيث يصير النظر فيه نظرا قاصدا لا مشقة فيه ولا ارهاق او هذا هو الظن .

عامل المفعول المطلق : عامل المفعول المطلق اما أن يكون مصدرا او فعلا او وصفا مثل « فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا » و «كلّم الله موسى تكليما » و « والصافات صفا » (٦٥) .

تثنية المصدر وجمعه :

المصدر نوعان : مبهم وهو المؤكد للفعل ، ومختص او مؤقت ويراد به الدال على النوع او العدد . فاما الاول فلم يجيزوا تثنيته أو جمعه باتفاق لانه بمنزلة تكرير الفعل ، والفعل لا يثنى ولا يجمع . ثم انه اسم جنس محتمل القليل والكثير . اما المصدر المختص العددي فيجمع ويثنى باتفاق لانه ينزل منزلة تمرة ، وشجرة ، ونمرة . واما المصدر النوعي فاختلف في تثنيته وجمعه والمشهور جواز تثنيته وجمعه . وظاهر قول سيبويه

(٦٥) اوضح المسالك ٢/٣٢ ، ومعجم النحو (٣٦١) .

المنع ، واختاره الشلوبين (٦٦) واحتج المجيزون بقوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا » غير ان الظنون في الاية قد تحمل على الظنون التي هي جمع اسم لا على الظن الذي هو مصدر ، لذلك قال في بدائع الفوائد « والمصدر الفعل او ما فائدته كفائدة الفعل من المصادر فلا يجمع ولا يثنى ، واما انما جمعت الحلوم والاشغال لاختلاف الانواع . بل يقال لهم : وهل اختلفت الانواع الا من حيث كانت بمثابة الاسماء المنقولة (٦٧) لا وهو راي وجيه .

واما المصادر المثناة مثل : حنانيك ، ولبيك ، وسعديك . . . التي فهي مصادر وردت بلفظ التثنية ويراد بها التكثير ، وليس الاثنين فقط (٦٨) .

بين الحال والمفعول المطلق

من مقاصد هذا البحث التيسير ، والتخفف مما لا فائدة منه من امر خروج عن طرائق النحاة ، ومناهجهم في النظر . فمن هذا الذي لا فائدة منه ادخالهم بعض المسائل في غير باب من ابواب النحو . . . ومن ذلك قولهم ان « ركضا » و « سعيا » و « بغتة » و « صبرا » و « مشيا » في « جاء زيد ركضا » و « جاء زيد سعيا » و « طلع بغتة » و « قتله صبرا » و « مشى زيد مشيا » احوال على التأويل بالوصف اي « راكضا » و « ساعيا » و « مباغتا » و « مصبورا » و « ماشيا » . وهي مفاعيل مطلقة ايضا . قال ابن القيم « اما الحال فنحو : جاء زيد مشيا وسعيا . تريد ماشيا وساعيا . وفيه قولان : احدهما هذا ، والثاني : ان الحال محذوف ومشيا معمولها ، اي يمشي مشيا (٦٦) .

---

(٦٦) انظر تسهيل الفوائد (٨٧) ، و وضح المسالك ٣٥/٢ ، وشرح ابن عقيل ٥٦٣/١ ، والتصريح على التوضيح (٣٢٦) ، وشرح الاشموني ١١١/١ .

(٦٧) بدائع الفوائد ٨٤/٢ ، وانظر ٦٨/٢ .

(٦٨) شرح المفصل ١١٨/١ .

(٦٩) بدائع الفوائد : ٧٨/٢ .

وقال ابن هشام في باب المنصوبات المتشابهة « ما يحتمل المصدرية والحالية : « جاء زيد ركضا » اي يركض ركضا ، او عامله علـى حد « قعدت جلوسا » ، او التقدير « جاء راكضا » (٧٠) . والذي عليه سيبويه : ان هذه المصادر تقع احوالا على التاويل بالوصف ، ولا يقاس عليها (٧١) . وهو رأي الجمهور (٧٢) . ورأى سيبويه — كما ترى — في اجازته وقوع هذه المصادر احوالا علـى التاويل بالوصف ، وان قيد ذلـك بالسماع — مخالف للاصل في الحال . فالحال هو الوصف الفضلة الدال على هيئة . والذي عليه المبرد والاخفش ان هذه المصادر منصوبة علـى المصدرية والحال عندهما في « طلع بغتة » هو العامـل المحذوف لا بغتة لان التقدير طلع يبغت بغتة (٧٣) .

وقول المبرد والاخفش يجري على الاصل في الحال وهو الوصف . وقولهم بان الحال في « طلع زيد بغتة » هو يبغت لا بغتة يجري على ما يجري عليه الحال . فالحال يكون مفردا وشبه جملة ، وجملة . وهو هنـا جملـة .

وذهب السيرافي « الى جواز ان يكون قولك اتانا زيد مشيا » مصدرا مؤكدا والعامل فيه اتانا ، لان المشي نوع من الاتيان » (٧٤) .

ومذهب السيرافي يشبه مذهب المبرد ، فالمصدر منصوب على انـه مفعول مطلق ؛ ولكن العامل فيه ليس من جنسه ، وانما هو العامل المذكور .

---

(٧٠) مغني اللبيب (٥٦١) .
(٧١) انظر الكتاب ٢١٨/١ ، وشرح المفصل ٥٩/٢ .
(٧٢) اوضح المسالك ٨٢/٢ .
(٧٣) المقتضب ٢٣٤/٣ ، ٣١٢/٤ وشرح المفصل ٥٩/٢ وشرح ابن عقيل ٦٣٢/٢ .
(٧٤) شرح المفصل ٦٠/٢ .

وهذا الاختلاف بين المذهبين لا يخرج « ركضا » في « جاء زيد ركضا » من المفعول المطلق . واما ابن مالك فقد ذهب مذهب سيبويه في ان هذه المصادر احوال،وقال بالقياس عليها في ثلاثة مواضع :

الاول : ان يقع المصدر بعد اما .

الثاني : ان يقع بعد اسم قرن بأل الدالة على الكمال .

الثالث : ان يقع بعد خبر شبه به مبتدؤه .

قال ابن مالك « اذا وقع مصدر موقع الحال فهو حال ، لا معمول حال محذوف ، خلافا للمبرد والاخفش ؛ ولا يطرد فيما هو نوع للعامل ، نحو : اتيته سرعة خلافا للمبرد ، بل يقتصر فيه وفي غيره على السماع ، الا في نحو : انت الرجل علما ، وهو زهير شعرا ، واما علما فعالم (٧٥) ومقتضى ما ذهب اليه سيبويه ، وابن مالك ، والجمهور ، حصول اللبس ، وتداخل بعض المسائل النحوية في غير باب من ابواب النحو ، فضلا عن جريان هذه الاحوال على خلاف الأصل في الحال . والأولى عندي هو مذهب ابي العباس المبرد والاخفش ؛ لانه يجري على الأصل في الحال من جهة كونه وصفا ، ويجري على ما يجري عليه الحال في مجيئه جملة ، فان صادفك مصادر سيقت على النحو الذي بيناه لك فاعربها مفعولا مطلقا ولا تتردد ، لان المفعول المطلق — كما بينا — هو ما يعمل فيه الفعل ويكون مصدرا وغير مصدر . فان قيل لك : ان هذه المصادر احوال فقل ان الجملة هي الواقعة موقع الحال . والحال لا يكون مصدرا ، والمفعول المطلق لا يكون جملة (٧٦) . وأما قول ابن الحاجب من ان الجملة المحكية بالقول مفعول مطلق فقد رده ابن هشام في المغني فقال « باب المحكية بالقول

(٧٥) تسهيل الفوائد ١٠٩ ، وانظر أوضح المسالك ٢/٨٢ ، وهمع الهوامع ١/٢٤٦ .

(٧٦) انظر حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٢/٨٤ .

او مرادفه . فالاول نحو « قال اني عبد الله » وهل هي مفعول بـــه او مفعول مطلق نوعي كالقرفصاء في قعد القرفصاء » : اذ هي دالة على نوع خاص من القول ، ففيـــه مذهبان ، ثانيهما اختيار ابن الحاجب قال : والذي غر الاكثرين انهم ظنوا ان تعلق الجملة بالقول كتعلقها بعلم فـــي « علمت ازيد منطلق » وليس كذلك ، لان الجملة نفس القول ، والعلم غير المعلوم . فافترقا . والصواب قول الجمهور ، اذ يصح ان يخبر عن الجملة بأنها مقولة ، كما يخبر عن زيد مـــن « ضربت زيدا » بأنه مضروب ، بخلاف القرفصاء في المثال فلا يصح ان يخبر عنها بأنه مقعودة لانها نفس القعود . واما تسمية النحويين الكلام قولا فكتسميتهم اياه لفظا ، وانما الحقيقة انه مقـــول وملفوظ » (٧٧) .

وقال ابن هشام في موضع آخر« وزعم ابن الحاجب في شرح المفصل وغيره ان المفعول المطلق يكون جملة ؛ وجعل من ذلـــك نحو « قال زيد عمرو منطلق » فقد مضى رده . وزعم ايضا في « انبأت زيدا عمرا فاضلا » ان الأول مفعول به . والثاني والثالث مفعول مطلق ، لانهما نفس النبأ . قال بخلاف الثاني والثالث في « اعلمت زيدا عمرا فاضلا » فانهما متعلقا العلم لا نفسه . وهذا خطأ ، بل هما أيضا منبأ بهما ، لا نفس النبأ . وهذا الذي قاله لم يقله احد ، ولا يقتضيه النظر الصحيح (٧٨) .

واما القول بمجيء الحال مصدرا معرفا كالعراك في بيت لبيد :

فارسلها العراك ولم يذدها   ولم يشفق على نغص الدخال

فهو اضعف من القول بمجيء الحال مصدرا نكرة ، لانه يخالف الاصل في الحال من جهتيـــن : من جهة ان الحال وقع مصدرا ، والاصل فيه ان يكون وصفا . ومن جهـــة انه معرف ،والاصل في الحال ان يكون نكرة .

---

(٧٧) مغني اللبيب (٤١٢) .

(٧٨) مغني اللبيب (٦٦١) .

والنحاة انفسهم حملوا هذا ومثله علـى الشذوذ . قال ابن يعيش « فنصب العراك على الحال ، وهو مصدر عارك يعارك معاركة وعراكا ، وجعل العراك في موضع الحال ، وهو معرفة اذ كان في تأويل معتركة ، وذلك شاذ لا يقاس عليه (٧٩) .

بين الحال والمفعول المطلق والمفعول له

وهذا لون اخر من المسائل المتداخلة في غير باب من ابواب النحو ، ومقتضاها الدخول في باب واحد ، حصرا للتشعب ، وتلافيا للاضطراب . من ذلك ما قالـه ابن هشام في المغني . قال : « ما يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لاجله . من ذلك (يريكم البرق خوفا وطمعا) أي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا ، وابن مالك يمنع حذف عامل المصدر المؤكد الا فيما استثنى ، او خائفين وطامعين ، او لأجل الخوف والطمع (٨٠) » فالقول بأن « خوفا وطمعا » واقعان موقع الحال على التأويل بالوصف ، مردود لما بيّنّاه من ان الاصل في الحال الوصف ، ولا مانع هنا ان يكون الحال هو موضع الجهلة .

واما القول بأن هذين المصدرين مفعولان له ، فمردود ايضا لان المفعول له هو المصدر القلبي ، وهو علة الاقدام على الفعل ، ويشترط في هذا المصدر ان يكون مقارنا للفعل في الوجود والفاعل فان انخرم شرط من هذه الشروط خرج عن حد المفعول له وجر بحرف جر . كقوله تعالى « ولا تقتلوا أولادكم من املاق » أو قوله : « والارض وضعها للانام » . والآية التي ساقها ابن هشام لا يصح ان يحمل « خوفا » و « طمعا » . فلم يبق عندنا غير المفعول المطلق . ولا يقال : ان يريكم بمعنى يجعلكم

---

(٧٩) شرح المفصل ٢/٦٢ .

(٨٠) مغنى اللبيب (٥٦٢) .

ترون ، والتعليل باعتبار الرؤية لا الاراءة ، او الاصل اخافة واطماعا » (٨١) . لا يقال ذلك : لان هـــذا التأويل لا تقتضيه الضرورة ، وفيه بعد وتعسف . فيريكم غير ترون ؛ والاخافة غـــير الخوف . نقـــول : خاف خوفا ومخافة وخيفة . ونقول : طمع طمعا وطماعا وطماعية . واخـــاف : اخافة ، واخافـــــا (٨٦) .

فاذا وقفت على شيء مما توهمه النحاة محمولا على غـــير باب من ابواب النحو من مثل ما اوردنا ؛ فاعلم ان ذلك اخراج لابواب النحو عن مقاصدها ؛ وهو امر غـــير جائز ، كأن النحو ميدان لاظهار المهارة العقلية وليس علما يتماســم لضبط اللسان العربي . ولنعمل علـــى رد هذه الاشياء المتوهمة الى اقرب الابواب اليها كما رددنا « ركضا » في « جاء زيد ركضا » الى المفعول المطلق ، لان المفعول المطلق هـــو المصدر وغـــيره ، والحال هو الوصف الدال على هيئة ، واذا كان لا بـــد من اعتبار الحال ، فليكن موضع الجملة هـــو الحال . وكما فعلنا في « خوفا وطمعا » وهما مصدران محمولان على المفعول المطلق لا علـــى المفعول لاجله لانخرام شرط مـــن الشروط الواجـــب توافرها في المصدر حتى يصـــير مفعولا لاجله ، فضلا عن عدم قبول هذيـــن المصدرين لتسليط اللام عليهما ؛ اذ الاصل فـــي المفعول لاجله ان يقبل تسليط اللام عليـــه لان ذلك هو اصله • قال ابن يعيش « واصله ـــ اي المفعول له ـــ ان يكون بالـــلام (٨٣) . فان قيل وماذا تقول في « جـــاء زيد رغبة » ، اي يرغب رغبـــة ، او مجيء رغبة ، او راغبا (٨٤) ؟ قلت : ان المثال غير محدد معنـــاه تحديدا قاطعا ، فهو يصلح ان يكون معناه جاء زيد لرغبة او جاء زيد يرغب رغبة،فان كان الاول فهو

---

(٨١) مغني اللبيب (٥٦٢) . وانظر حاشية على شرح الفاكهي ٢/٦٠ .

(٨٢) انظر المعجم الوسيط خوف ، طمع .

(٨٣) شرح المفصل ٢/٥٢ .

(٨٤) مغني اللبيب (٥٦٢) .

مفعول لأجله . وان كان الثاني فهو مفعول مطلق ، والمبالغة في حال نصبه حال . والحال لا يكون مصدرا لما قدمنا . والاولى في هــذا الضرب من الامثلة ان يحمــل على المفعول له لا علــى المفعول المطلق لان الشروط اللازمة للنصب على المفعول لــه قد توافرت في المصدر، لان الشروط جميعا قد توافرت في المصدر من جهــة انه مصدر قلبــي متحد مع فعله في الزمان والفاعل . وهو علّة الاقدام علـــى الفعل . فضلا عن قبوله تسليط اللام عليه ؛ خلافـــا للمفعول المطلق الذي لا يقبـــل تسليط اللام عليـــه . الا ترى أن اللام لا تسلط على الضرب في قولنا : « ضرب زيد ضربا » ولا في « ضربته سوطا » ولا في « ضربته ضربتين » ولا في « ظننت ذلك الظن » ؟



ما سلف بيانه هـــو ما توصلنا اليه ؛ وعسى ان يكون فيـــه خير ؛ وعسى أن يقع على وجه من وجوه الصواب ؛ والا فحسبي النية الصادقة ؛ ولكـــل امرىء ما نوى . والحمد للـــه اولا وآخرا . والصلاة والســـلام على رسول اللـــه .

د . محمد حسن عواد

مرد المصادر والمراجع

١ ـ اسرار البلاغـــة :

تاليف عبد القاهر الجرجاني . تحقيق ريتر . استنبول . مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤ .

٢ ـ الاصول في النحو :

تاليف ابي بكر بن السراج . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي . مطبعة النعمان بالنجف الأشرف ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م .

٣ ـ اوضح المسالك الى الفية ابن مالك :

تاليف ابن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الخامسة . دار احياء التراث العربي . ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م بيروت ـ لبنان .

٤ ـ بدائــع الفوائــد :

لابي عبد الله محمد بن ابي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية. عني بتصحيحه والتعليق عليــه ادارة الطباعة المنيرية .

٥ ـ البيان في غريب اعراب القرآن :

تاليف ابي البركات بن الانباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه مراجعة الاستاذ مصطفى السقا . دار الكاتب العربي للطباعـــة والنشر / القاهرة . ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م .

٦ ـ التعريفـــات :

تاليف السيد الشريف الجرجاني . دار الكاتــب العلمية . طهران . الطبعــة الأولــى ١٣٠٦ هـ .

٧ ـــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :

تأليف جمال الدين محمد بن مالك . تحقيق الأستاذ محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . ١٢٨٧ هـ ، ١٦٦٧ م .

٨ ـــ حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى :

تأليف ياسين بن زين الدين الحمصي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ م .

٩ ـــ شرح الأشموني على ألفية مالك :

تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي . الطبعة الاولى . ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م . بيروت ـــ لبنان .

١٠ـــ شرح التصريح على التوضيح :

تأليف خالد بن عبد الله الأزهري ، مطبعة عيسى البابي الحلبي . دون تاريـــخ .

١١ـــ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب :

تأليف ابن هشام . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى . الطبعة العاشرة . ١٦٨٥ هـ ، ١٦٦٥ م .

١٢ـــ شرح ابن عقيل :

تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . دون تاريخ .

١٣ـــ شرح المفصل :

تأليف ابن يعيش . المطبعة المنيرية . دون تاريخ .

١٤ــ قطر الندى وبل الصدى :

تأليف ابن هشام . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الحادية عشرة . ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م . المكتبة التجارية الكبــــرى .

١٥ــ الكافيـــــة :

لابن الحاجب (شرح الرضي الاستراباذي) . دار الكتب العلمية . بـــيروت ـــ لبنـــان .

١٦ــ الكتـــــاب :

تأليف سيبويه . منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات . الطبعة الثانية . ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧ م . بيروت ـــ لبنان .

١٧ــ كشاف اصطلاحات الفنون :

تأليف التهانوي . تحقيق الدكتور لطفى عبـــد البديع ، وزارة الثقافة والارشاد / القاهـــرة .

١٨ــ المرتجـــــل :

تأليف ابي محمد عبد الله بن احمد المعروف بابـــن خشاب . تحقيق الاستاذ علي حيدر . دمشق . ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .

١٩ــ معجم النحو :

تأليف الاستاذ عبد الغني الدقر . ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م . مطبعة محمد هاشـــم الكتبي .

٢٠ــ **مغني اللبيب عن كتب الاعاريب :**

تأليف ابن هشام الانصاري . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة محمد علي صبيح . دون تاريخ .

٢١ــ **المقتضــب :**

تأليف ابي العباس محمد بن يزيد المبرد . المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة . تحقيق الاستاذ عبد الخالق عضيمة .

٢٢ــ **النحــو الوافي :**

تأليف الاستاذ عباس حسن . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية . ١٩٦٣ م .

٢٣ــ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع :**

تأليف جلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية . الكويت . ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م .

تعليقات ومناقشات

مع تحقيق كتب التراث

للدكتور أحمد سعيدان
(عضو المجمع)

تحت عنوان « مع تحقيق كتب التراث » ، كتب الدكتور ابراهيم السامرائي ، في العدد المزدوج ١١ ، ١٢ ، من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، بحثا أشار فيه الى بعض أسس التحقيق . فذكرني ذلك بأمور كادت تنسينيها الأيام ؛ ذلك أن مشروع منهاج لتحقيق كتب التراث قد وضع ، في ندوة عقدت في بغداد ، من ٢٠ الى ١٩٨٠/٥/٢٩ ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية) بالتعاون مع وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية . وقد شهد الندوة نفرا ممن تمرسوا بتحقيق كتب اللغة والدين والتاريخ والعلوم ، كل في ميدان تخصصه . وكنت فيهم الممثل الوحيد لمحققي كتب العلوم ، ولكن كان الى جانبي بحث قيّم بعثه للندوة الدكتور سلمان قطاية ، استاذ الطب في جامعة حلب .

كان بين ايدينا ستة بحوث حول تحقيق التراث، أعدت للندوة بتكليف من معهد المخطوطات العربية ، هي :

١ — التراث العربي ومناهج تحقيقه — بقلم الدكتور أحمد سليم سعيدان .

٢ — ضبط النص والتعليق عليه — بقلم الدكتور بشار عواد .

٣ — التخريج في التحقيق ، مع ملحق بعنوان : التعريف بنص منشور في التحقيق النسخ — بقلم الدكتور حسين علي محفوظ .

٤ — علم تحقيق الوثائق — بقلم الاستاذ سالم عبود الالوسي .

٥ — حول تحقيق المخطوطات الطبية ونشرها — بقلم الدكتور سلمـــان قطايـــــه .

٦ — التراث العربي — خطـــة ومنهـــج — بقلم الدكتور شكري فيصل .

★ ★ ★

انسجاما مع هذه البحوث الستة راينا ان نمضي في رسم مشروع المنهج مـــن منطلقات اربعة هـــي :

١ — منطلق التقدير للفكر العربي الاسلامي ، والابداع الذي حققه ، في مختلف مجالات المعرفة ، من لغـــة وادب وعلوم وفن وفلسفة . فان يكن العالم - لاسباب لا تخفى ، لا يولـــي هذا الفكر التقدير الذي يستحقه ، فان واجبنا نحن ، العرب والمسلمين ، الاضطلاع بنشر الفكـــر العربي الاسلامي على العالـــم وتبيان دوره في بناء صرح الحضارة الانسانية ، احقاقا للحـــق ، واظهارا للحقيقة .

٢ — منطلق الايمان بقدرة الامة العربية والامم الاسلامية على بناء مستقبل امثل ، يمكنها من استئناف مسيرتها الحضارية كيما تعود ، كما كانت في عصورها الزاهرة ، قادرة مبدعة .

٣ — منطلق الثقة بأن التراث العربي الاسلامي هـــو قوة دافعة تبعث فينا قدراتنا الكامنة المبدعة وتستجيش قوانا لمواكبة الحضـــارة المعاصرة ، والمساهمة في رفـــد تيار الفكر العالمي ، بروافد خصبة معطـــاءة .

٤ — منطلق اليقين بأن اهتمامنا بتراثنا الفكري انما هو نظرة من يتعرف موطىء قدمه في سبيل احكام خطاه الى الامام . ان المستقبل لا يمكن ان ينفصل عـــن الماضي ، والتجربة الحضارية التي مرت بها الامة

العربية طوال عصورها تجربة غنيـــة بالدروس والعبر تزودنا بحوافز تسند تطلعاتنا للحاضر والمستقبل . وان معرفتنا التراث قمينة بأن تبين مواطن القوة والضعف في بنيتنا الذهنية ، وهذا ما لا مناص من معرفته كي نحكم رسم خطتنا لبناء المستقبل الذي ننشده . وهذا يقتضي ان يكون تقييم التراث موضوعيا ، مجردا من التباهي الاجوف والتضليل . بذا نضمن ان يكون تحقيق التراث مكمّلا للمعاصرة والابداع الذاتي ، شأنه في ذلك شأن التزود بالعلم المعاصر والتكنولوجيـــة الحديثـــة .

ثم استعرضنا الجهود التي بذلت وتبذل ، لتحقيق التراث ، في الوطن العربي وخارجه ، فلاحظنا اننا رغـــم تقديرنا لهذه الجهود ، ومدى مـــا قدّمت في تمهيد السبيل لدراسات أوفى واشمل واعمق ، نراها **أولا** ما تزال بطيئة محدودة ، بالقياس الى تراثنا الضخم ، **وثانيا** بحاجة الى تنسيق ومنهجية واضحة تجعلهـــا تمضي متكاملة ، موحدة ، بعيدة عن التشتت وتباين المواقف ، وحسب خطة مرسومة تأخذ الاولويات بعين الاعتبار . كما لاحظنا ايضـا أن معظم هـــذه الجهود تنصبّ على التراث الادبي ، وقليل منها مـــا يتناول المخطوطات العلمية .

لهذا رأينا أن تحقيق التراث ينبغي أن تشرف عليه هيئات أمينة ، وان يتناوله القادرون عليـــه ، ولا يتطاول اليـــه من لم تكتمل أداته اللغوية والعلمية والفنية . لذلك تقدمنا بالتوصيتين التاليتين :

١ — أن تُدرَّس مادة تحقيق المخطوطات في جامعاتنا ، ولطلاب الدراسات العليا بخاصة ، في الكليات الادبية والعلمية ، بغية تخريج متخصصين في التحقيق ، مؤهليـــن له .

٢ ـــ ان تنشأ في الجامعات والمجامع العربية فروع لمعهد المخطوطات العربية تودع فيها نسخ من الافلام المصورة المحفوظة في مقــر المعهد ؛ على ان تُطوَّر هــذه الفروع حتى تغدو مراكــز للبحث والتحقيق والنشر ، في مجالات متخصصة ، ان امكــن ، مع بذل المكافآت التشجيعية السخيــة للباحثين والمحققين ؛ على ان تخضع اعمال الباحثين بالتحقيق الى رقابة المسؤولين في هــذه المراكز .

وبهذا الصدد اطلعنا ، بتقدير واعجاب ، علــى موقف القطر العراقي الشقيق - من تشجيع التحقيق؛ اذ جعل التراث العربي اساسا لبناء الانسان العربي المعاصر - واقامة حياة فكرية اصيلة ، تمضي بخطى حثيثة في سبيل الابداع الذاتي . كما تشهد بذلــك منشورات الجامعات العراقية،والمجمع العلمي العراقي ، ووزارة الثقافة والاعلام . ولا عجب ، فمن العراق بدأت انطلاقة الفكــر العربي الاولى ، من ايام الخليفــة المنصور ؛ وفي البصرة والكوفة وُضعت اسس الدراسات اللغوية العربية . وها هو العراق اليوم يستأنف مسيرة الخير ؛ سدَّد اللــه خطاه ، وحيّاه .

بعد هــذا - انتقلنا الى وضع مشروع المنهاج الذي اجتمعنا من اجله ؛ ولكي يكون المشروع كاملا متكاملا ، قسمنا البحث الى مراحل هــي :

١ ـــ اختيار المخطوط للتحقيق .

٢ ـــ جمع النسخ الباقيــة منه .

٣ ـــ دراسة النسخ وتعــرُّف مراتبها من الصحة .

٤ ـــ ضبــط النص .

٥ ـــ التعليق علــى النص .

٦ ـــ مقدمــة المحقــق .

٧ ـــ الفهــــارس .

٨ — الطباعـــة والنشـــر .

١ — اختيار المخطوط

لاحظنا ان تحقيق التراث في جملته لم يخضع سابقا لمنهج مرسوم للاختيار ، وانمـــا هو يتم صدفة ، أو حسب الظروف ؛ فكان ان نُشر ما كان حقه التأخير ، وأُخِّر ما كان حقه التقديم ؛ ولاحظنا ان مخطوطات حُققت ونُشرت أكثر مـــن مرة ، من غير مسوّغ لذلك ؛ هـــذا بالاضافة الى تحقيقات أساءت للمخطوطات ، جهلا بأصول التحقيق ، او تهاونا بالامانة العلمية واحترام النص . ولهذا كلّه أُقرّت التوصيات التالية بصدد اختيار المخطـــوط للتحقيـــق :

١ — تقديم الأهم على المهم ، والأصول على الفروع والمختصرات ، وتقديم ما لم يُنشر على اعادة ما نشر ؛ الا اذا لم يراعَ في تحقيق ما نشر قواعد التحقيق والنشر ، أو كُشف النقاب عـــن نسخ جديدة لما نُشر تقتضي تصحيحا فـــي النص .

٢ — يناط بمعهد المخطوطات العربية اختيار مجموعات من المخطوطات الأصول التي يرى المختصون ضرورة تحقيقها ونشرها ؛ فيصوّر نسخها ويوزّعها على مراكز التحقيق المعنية ، تيسيرا للباحثين .

٣ — يولى التراث العلمي عناية خاصة ؛ ونحبّذ ان ينشأ له مركز في بلد عربي ، له فروع في الاقطار الاخرى التي يتوافر فيهـــا محققون علميون ، وان يتفرغ للتحقيق علماء قادرون عليه ؛ علـــى ان تهيأ لهم اسباب التفرغ ، مادة ومعنى .

٢ — معرفة نسخ المخطوط وجمعها :

كثيرا ما يتعذر على الباحث والمحقق الحصول على صور من النسخ الموجودة للمخطوط الذي يتم اختياره للتحقيق ، لذا رأينا أن على معهد المخطوطات أن ينهض بالامور الآتية :

أ — أن يتعرف مظانّ المخطوطات القيمة في البلاد التي لم يصل بها أسبابه بعد ، وأن يتخذ الوسائل التي تضمن الحصول على نسخ من هذه المخطوطات .

ب — أن يضع فهارس تفصيلية تعرّف بالمخطوطات التي يظفر بها ؛ وينشر هذه الفهارس على مراكز التحقيق المعنية .

ج — أن يضع فهرسا موحدا ، شاملا لما دُوّن في فهارس المكتبات العامة والخاصة ، بدءا بالموضوعات العلمية ؛ ثم يليها ما هو الزم من الموضوعات الاخرى ؛ على أن يعهد بوضع هذا الفهرس الى لجان متخصصة ، متفرغة .

فالى أن يتم هذا في معهد المخطوطات ، لا مندوحة للباحث من الرجوع الى مؤلفات سزكين او بروكلمان للتعرف على النسخ المتوافرة من المخطوط ، ثم يحاول الحصول عليها - عن طريق معهد المخطوطات ان أمكن .

٣ — دراسة النسخ وتعرّف مراتبها من الصحة :

بعد الحصول على نسخ المخطوط ، تأتي المرحلة الاولى من التحقيق ، وهي دراسة النسخ ، لتحديد النسخة « الأم » أو ما هي في منزلتها ، لاعتمادها اصلا في التحقيق ؛ ثم تعرف النسخ الاخرى وتصنيفها ، وتحديد مراتبها من الصحة والتوثيق . وذلك وفق القواعد الاتية :

١ — الاصل ان تكون النسخة الأم هي النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه ، ان وُجِدت ، او املاها . ولكن المؤلف كثيرا ما يعاود كتابة النص ، فيغيّر فيه ؛ فيتعين على المحقق ان يتبين ذلك . فان لم يحصل الا نسخة كتبها المؤلف . فالأمّ نسخةٌ عليها خطه ، والاّ فنسخة كُتِبت عن نسخة المؤلف وعورضت بها ، والاّ فنسخة كُتِبت من نسخة وثّقها المؤلف .

٢ — ان لم يعثر المحقق على نسخة مما سبق ، فأفضل النسخ الباقية نسخة كتبها عالم متقن ضابط . فان لم تتوفر ، فعلى المحقق ان يستفيد مما تجمع لديه من النسخ ، وكثيرا ما يكون احدها اقربها من نص المؤلف ، واقلها سهوا او اخطاء . ولكن الاكثر كثيرا ما نجده قد تعرّض للتلف . ولأن اول مهام المحقق تقديم النص الذي كتبه المؤلف او املاه ، فعليه ان يحصل على ما يرجح انه هو النص بمقارنة هذه النسخ ، وسدّ ما في النسخة المعتمدة من نقص ، بما في سواها . ودراسة النسخ تهدف الى امرين : اولهما تحقيق نسبة النص الى صاحبه ، والثاني تحقيق ان النص الذي بين يدي المحقق هو نص المؤلف .

ويتحقق ذلك من درس النسخ ونصوصها ، ومن الكتب التي نقلت عن النص ، ان وجدت ، ومما قاله عنه من ترجموا للمؤلف او كتبوا عنه .

٤ — ضبط النص

بعد الحصول على ما يراه المحقق اقرب لان يكون نص المؤلف ، وتوثيقه ، بمقارنته بما نُقِل عنه او قيل فيه ، يأتي دور ضبط النص . ويجري ذلك حسب الخطوات التالية :

- يبدأ التحقيق بنسخ المخطوط . وينصح المحقق بأن يتولى النسخ بنفسه . لأنه يتيح له ذلك التودي الى مشكلات النص وحلولها .

وعلى المحقق ان يلتزم قواعد الكتابة المتفق عليها قديما ، الا في اشياء درج عليهـا المعاصرون ، مثل كتابة « مئة » و « الحارث » و « اسحاق » ، ونقط الياء المتطرفة ، للتفريق بينها وبين الألف المقصورة ،

وعليه ان يدوّن في المقدمة ما درج عليه كاتب النسخة من رسم في الكتابة مميـز ، مع ذكر امثلـة ، ولا سيما مما غاير فيه الناسخ .

- ويوصى المحقق بما يأتـي :

١ ــ كتابة النص بحسب معانيه ، فتقف الكتابة عند انتهاء المعنى ، ويبدأ سطـر جديد .

٢ ــ استعمال النقط والفواصل والخطوط وعلامات التنصيص والتعجب والاستفهام والأقواس ، وغير ذلك مما يساعد القارىء على القراءة بتفهم .

٣ ــ شكل الكلمات التي قـد تلتبس علـى القارىء .

٤ ــ كتابة ارقام صفحات النسخـة المعتمدة في صلب النص ، بين حاصرتين أو قوسين ، مشيرا للمقابلة .

٥ ــ ترقيم الاسطر ترقيما خماسيا تسهيلا المراجعة .

٦ ــ استعمال الاقواس المزهرة لآيات القرآن الكريم ، وقويسات الأحاديث النبوية والنقول واسماء الكتب ، وما شابهها .

٧ ـــ وضع ما يستدركه المحقق على النص بين حواصر مميزة او معكوفــــات .

جـ ـــ الضبـــــط

يتعين على المحقق ان يشكل من الالفاظ ما اشكل ؛ هـذا بالاضافة الى الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، والامثال والشواهد والمشتبه من الاعلام ، والغريب من الالفاظ ، وما قد ينبهم او يلتبس من المصطلحات ؛ مستعينا بالمراجع المتخصصة ، والمصادر الموثـــوق بها .

ه ـــ التعليـــق علـــى النص

على المحقق اتباع ما يأتـــي :

أ ـــ اثبات فروق النسخ ، مع ترجيح ما يراه الأصح ، وتعليل ترجيحه . ولكن يراعى تجنب الاغراق في ذكر ما لا يفيد ذكره من الفروق . ويراعى ايضا التنبيه على ما يُحتمَل من النصوص قراءتين او اكثر ، مع التعليل عند الترجيح ، موثّقا بالدليل .

ب ـــ التعريفات : يُعرِّف المحقق ، من الاعلام والمواضع وما في حكمها ، ما يحتاج الى تعريف ، من غير استقصاء ولا اغراق ؛ فلا يُعرِّف ما هو معروف لدى اكثر المتخصصين .

ويُسْتَحْسَن احيانا تزويد المقدمة بخارطة تبين مواقع المواضع التي تـــرد في النص .

ويُدَوَّن في الحاشية اسم الكتـــاب موجزا ، مع ذكر الجزء والصفحة . ويحال ما يتعلق بالمعاجم المرتبة على الحروف ، على

المادة ، لا على الأجزاء والصفحات ، ما عـــدا معاجم المعاني ، ومـــا شابههـــا .

جـ ــ التخريـــــج :

الهدف من التخريـــج التوثيق والتصحيح . ولذا يُقتَصر في التخريج على ما يحقق هذين الهدفين .

ميدان التخريج في الآيات والاحاديث والشعر ، والنقـــول بكافـــــة .

ويوصي المحقق بتوثيق مواطن النقول في النص ، ضبطا أو تكملة ، وانباتا للخلاف في الرواية ، حيث يكون ذلك مفيدا .

أما في الآيات الكريمة فيُذكر اسم السورة ورقم الآية . وفي الاحاديث النبوية الشريفة يكتفى بالتعليـــق عليها بما يفيد اظهار درجة الحديث وتحديد مرتبته ، استنادا الى المصادر الموثوق بها .

وأما الشعر فيرد الى موضعه من الديوان ، ان كان مطبوعا ، والا تعيّن ذكر المصادر المعروفة التي أوردته ، وذلك حين يكون هذا الشعر يحتج به في متن اللغة ، أو يستشهد به في علوم العربية وأما النقول فيشار الى مواضعها ما أمكن .

وأما الافكار العلمية فيشار الى موضعها في السلّـــم الحضارية ومدى تأثرها بما سبق، وتأثيرها فيما لحق .

د ـ التنبيه على الأوهام

كثيرا ما يخالط عمل اي مؤلف بعض الاوهام . فاذا وقع المحقق على وهم من هذه الاوهام ، وجب التنبيه عليه ، مع التروّي . والتزام جانب الحذر والتحقق ، فمثلا يُتَخَيَّل في امور لها ما يجوّزها ، او حالات لها ما يبررها ، او شاعر نظمه على سبيل الهـزل لا الجـد .

ويكون موضع التنبيه في الحاشية ؛ ويثبت المحقق في المتن الوجه الصحيح الـذي اطمأن اليـه ، الا ان يخالطه شيء من التردد ، او يغلبـه جلال مكانة المؤلف عنده ؛ فحينئذاك يترك المتن كما اورده الناسخ ، ويقترح التنبيه في الحاشية .

٦ ـ مقدمة المحقق

يضع المحقق مقدمة للكتاب يراعي فيها ما يأتي :

١ ـ تعريف المؤلف المشهور تعريفا موجزا ؛ على ان نذكر لمن يريد التفصيل اهم المصادر التي تترجم لـه . اما من لم تكن له الدراسات التفصيلية عنه ، فيأتي المحقق بترجمة تفصيلية له .

٢ ـ وصف موضوع الكتاب ، وما كتب في فنه ، ومكانته بين هذه الكتب .

والكتب العلمية يصعب على غير المختص فهم نصوصها ، لذا فعلى محقق الكتاب العلمي واجب تلخيص مـادة النص في المقدمة ؛ بلغـة العصر ، حتى يعرف محتوى الكتاب المحقق من لم يهيا لدراسـة النص مباشرة .

٣ ـ شرح منهج الكتاب ؛ فصوله وابوابه ومحتوياتها .

٤ — وصف نسخ الكتاب ، والنسخة المعتمدة ، وبيان مواضعها في المكتبات ، وما دُوِّن عليها من وقفيات وتملكات وسماعات ، ونحو ذلك .

٥ — اية امور اخرى يرى المحقق اضافتها حول اسلوب المؤلف،ودقّة الناسخ،ووضوح الخط،وما شاكلها .

٧ — **الفهارس**

ينبغي فهرسة كل ما يمكن ان يفهرس في الكتاب المحقق : الآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة ، والامثال ، والاعلام ، والكتب التي ذكرها المؤلف او اخذ عنها ، والكتب التي رجع اليها المحقق في التحقيق ؛ مع ثبت بالمصطلحات العلمية والفنية الواردة في النص ، وتعريفها .

ويراعى في فهارس الاعلام ما يأتي :

يبدأ فهرس الاعلام بالاسماء المبدوءة بألفاظ ابن ، ثم ابنة ، ثم ابو ، ثم أم ، ثم بنت . ولا تذكر هنا الصفحات ، اذا كانت الاسماء معروفة ، وانما يحال على الاسم في موضعه من تتالي الحروف الهجائية . فالعَلَم « ابو اليمن الكندي » يذكر في « ابو اليمن » ويذكر اسمه الى جانبه : « زيد بن الحسن » ، ويحال عليه . اما ارقام الصفحات فتذكر في حرف الزاي ، مقابل « زيد بن الحسن » .

ثم نبدأ فهرسة الاسماء حسب ترتيب حروف الهجاء ، بدءا بالهمزة الممدودة ، مثل آدم ، ثم ما يكون بعد ذلك،والالفاظ التي تداخلها الهمزة يراعى في موضعها الحرف الذي توضع عليه الهمزة .

وفي فهارس المصادر يُذْكَر اسم الكتاب كاملاً ، واسم مؤلفه ومحققه او مترجمه ، ثم مكان الطبع وتاريخه ، الهجري او الميلادي ، بحسب ما دُوِّن على الكتاب . اما المصادر الاجنبية فيجري تدوينها على النظام الاجنبـــــي .

ولا مكان في الفهارس لالقاب التكريم والالقاب العلمية .

٨ ــ الطباعــة والنشر

ينبغي الانتفاع بأساليب الطباعة الحديثة شرط ملاءمتها للحرف العربي بما يضمن المحافظة على اصالته وجماله ، وبما يحقق انضباط الشكل في موضعه المناسب من الحروف ، دون ابهام او ايهام .



هذه خلاصة المشروع كما اتفقنا عليه ، وان في البحوث الستة التي قُدِّمت للندوة لأفكارا قيمة لـــم يتناولها المشروع، فعسى ان يقوم اصحابها بنشر بحوثهم كـــي يطلع عليها من يعنيهم الامر .

احمد سليم سعيدان

الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى

اصلها وتاريخها واغتصاب اسرائيل لها

THE ISLAMIC PIOUS FOUNDATIONS IN JERUSALEM ORIGINS, HISTORY AND USURPATION BY ISRAEL.

للدكتور عبد اللطيف الطيباوي

يعود الفضل في ترجمة رسالتي هذه من الانكليزية الى العربية الى معالي السيد كامل الشريف ، وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بالمملكة الاردنية الهاشمية ؛ فقد بحثنا الموضوع عند اجتماعنا في لندن في اثناء المؤتمر الذي عقده المجلس الاسلامي الاوروبي لبحث قضية القدس.

وكان الاتفاق ان تتولى الوزارة ترجمة الرسالة دون الرجوع الى المؤلف . ولكني طلبت ان ارى ترجمة ما كتب تحت الصور وعلى الخرائط وفي هوامش الصفحات من المراجع باللغة العربية وبلغات اجنبية . لكن بعد مدة وصل الي كتاب من الدكتور عزت جرادات بأن الوزير وكل اليه ترجمة الرسالة ، وان المترجم راى ان يرسل الي نسخة من الترجمة لابداء الرأي فيها .

نظرت اولا في الصور والخرائط والهوامش فوجدت فيها اغلاطا كثيرة ؛ فدفعني ذلك لمراجعة الفصل الاول من الترجمة ، فوجدت فيه اغلاطا خطيرة اقلقني وجودها جدا . فمنها ما وقع في اسم الملك الافضل بن صلاح الدين ، فهذا اصبح « الملك الفاضل » ، ومنها حذف نصف اسم عمر المصمودي المجرد الذي اوقف زاوية في حي المغاربة ، ومنها حذف « الثالث من ربيع الاول » من تاريخ وقفية سنة ٧٠٣ للهجرة، ومنها حذف جملة

كاملة من نص وقفية أخرى . فرأيت أن الامر يحتاج الى عناية تزيد كثيرا عما توقعه المترجم . ووضحت ذلك بمذكرة مؤرخة في ٢١/٥/١٩٨٠ في ثلاث صفحات كبيرة . وفي هذه المذكرة اكثر من خمسين تصحيحا وملاحظة ، خاصة بالفصل الاول والصور والخرائط والهوامش فقط .

لقد بيّنت في هذه المذكرة ان الترجمة لا تصلح للنشر ، فلغتها العربية معقدة ، وتحتاج الى تسهيل ، بل تعريب ، ويشوبها كثير من الاغلاط العلمية والحذف والتشويه ، وسوء فهم الأصل ، وقلة الدقة في نقل نصوص الوقفيات عن أصل مطبوع باللغة العربية . واقترحت وجوب مراجعة الترجمة مع اختصاصي بالتاريخ الاسلامي ، ومع اختصاصي باللغة الانكليزية جملة جملة وسطرا سطرا ، ثم عرْضها على من له معرفة بمدينة القدس ، والحرم الشريف وما يجاوره من الأمكنة التاريخية المذكورة في الرسالة . ونبّهت الى وجوب العناية بالخرائط واصلاح ما فيها من اغلاط : فلا يجوز أن نقول (باب يافـا) بدلا من (باب الخليل) ، او ان نكتب (باب هيتا) بدلا من (باب حُطّه) ، او ان نتجاهل (حارة النصارى) فنجعلها (حارات النصارى) كما نبّهت الى غير ذلك .

ثم وصل الي كتاب من السيد الوزير في ١٩٨١/٦/٦ ومعه نسخة مطبوعة من الرسالة . فلم يبق أمامي الا مراجعتها بكل عناية ودقة . وفيما يلي ملاحظاتي تفصيلا لكل فصل من الفصول الستة . وقبل ذلك لا بد من ملاحظتين : تختص الاولى بأرقام الصفحات في قائمة المحتويات فهذه تخالف ما في الرسالة ؛ فمثلا يبدأ الفصل الثاني فعلا على صفحة ١٨ لا على صفحة ١٧ كما في المحتويات ، والوثائق تقع فعلا على الصفحات ١٠٤ ـــ ١١٧ ، لا على ١٠٣ ـــ ١١٣ . والملاحظة الثانية تختص بما كتب تحت الصورة الثالثة (ص ١٢٢) فالمحكمة الشرعية القديمة

(اي المدرسة التنكزية) لا تقع على الزاوية اليمنى بل **اليسرى في الصورة** .

هذا وفي الرسالة كثير من الاغلاط المطبعية التي كان بالامكان تجنبها : اولها على الصفحة الاولى وآخرها على الصفحة الاخيرة ، وقد نبهت اليها سابقا . لكن الذي اصاب الهوامش من الحـــذف والتشويه يصعـــب تفسيره : فهذه الهوامش تبين مصادر الرسالة باللغة العربية وبلغـــات اجنبية في اسفل كل صفحة ، ولها ارقام متسلسلة من الواحد الى التاسع والستين . وقد آلمني جدا ان المترجم حذف منها ٣٨ هامشا واثبت ٣١ منها . ومن المحذوف وثائق تفصل حقوق المسلمين في حائط البراق ؛ من اهمها تقرير لجنة شو (سنة ١٩٢٩) وتقرير لجنـــة البراق الدولية ، مع سجل الشهادات (سنة ١٩٣٠) ، ومصادر بريطانية رسمية كلهـــا تثبت الحق الاسلامي وتنقض ادعاء اليهود . هذا وكنـــت رجوت المترجم في ملاحظاتي الخطية ان يبقي المصادر الاجنبية بلغتها الاصليـــة وأن لا يترجمها ، فقام بنقل التصحيحة فترجم عنوان كتاب لقنصل بريطانيا بقولـــه « اوقات مضطربة » ولـــم يقل ان الكتاب في جزاين ، ولم يشر الى ارقام الصفحات عنـــد الاشارة اليه . ومثل ذلك ترجمـــة « سجلات الجلســة الثانية عشرة « كذا » للجمعية العمومية للامم المتحدة سنة ١٩٤٩ » ، فهذا لا فائدة منه بعد ان حذف المترجم منه رقم المجلد والصفحة . ويلاحظ فيما يلي ان الاغلاط قليلة نسبيا في الفصل الاول ، لان المترجم اصلح معظمها (لا كلها) بناء على ملاحظات المؤلف .

الفصل الأول

صفحة ١

حذف المترجم سنة وفاة ابن مسعود من الأصل الانكليزي (٣٣

للهجـــــرة) .

ص ١٢

١ ـــ سقطت كلمة « باب » قبل « كلمة المغاربة » من العبارة « بين باب السلسلة وباب المغاربة » فاختلّ المعنى .

٢ ـــ لم يضع المترجم الهامش الخاص بوقفية أبي مدين في آخر هامش [illegible] هذه الصفحة ، بل وضعه على الصفحة التالية [illegible] بمصنف ملك المغرب .

ص ١٧

١ ـــ « ممر مرتفع » ترجمة لا تفي بالمقصود من كلمة "[illegible]" أي **الطريق** المرتفع الذي كان فوق قنطرة [illegible] السلسلة [illegible] كتبت الوقفية .

٢ ـــ أضاف المترجم من عنده قوله « كما يؤكد [illegible] العائلات الثلاث المعروفة » . ولم يذكر أسماء هذه العائلات [illegible] كيفية سماع التأكيد من أفرادها بعد مضي قرون ! [illegible] في الأصل يتعلق بسكان حارة الشرف في سنة ٦٦٦ أو سنة ١٠٠٤ للهجرة) .

الفصل الثاني

ص ١٨

١ — اضاف المترجم من عنده كلمة « المعراج » التي لا وجود لها بالاصل .

٢ — جعل المترجم « حائط البراق » ملاصقا للحائط الغربـــي للحرم الشريف ؟ مع ان الاول هو جزء صغير من الثاني .

٣ — قول المترجم « سميت الصخرة التي اعتلى منها البراق قبة الصخرة »، سوء فهم للأصل وخطأ تاريخي ؛ فقبـــة الصخرة لم يكن لها وجود قبل عهد عبد الملك بـــن مروان .

ص ٢١

١ — أعطيت المترجم مع ملاحظاتي نَصَّ العهد العمري ، أي كتاب عمر بن الخطاب الى نصارى القدس عند تسليمها له . واعطيته مصدر النص، وهو تاريخ الطبري (طبعة المستشرق دي غويه التي يعتمدها علماء التاريخ في الشرق والغرب) مع ذكر رقم المجلـــد والصفحة . فاهمل المترجم ذلك واخذ نصا من طبعة جديدة ظهرت في بيروت سنة ١٩٧٦ . واغرب من ذلك انه وضع في آخر الهامش كلمـــة (المترجم) هكذا بين قوسين، كأنه هو الذي وجد النصّ واضافه ، وكأن هذا النص غير موجود في الرسالة، وكأن مؤلفها لم يعطه المترجـــــم !

٢ — يقول العرب « هرقل » ؛ واستعمال المترجم « هراكليوس » مشوّش للقارىء العربـــي .

٣ — تاريخ تسليم القدس مذكور بالرسالة بالهجري والميلادي هكذا : « سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م » فجعل المترجم السنة الميلادية ٦٧٨ .

ص ٢٥

١ — قول المترجم « بدون طلب من اليهود انفسهم » [illegible] للأصل "Without question" فهذا معناه ان المسلمين سمحوا لليهود الصلاة عند حائط البراق « بلا معارضة » .

٢ — لا يفهم القارىء العربي قول المترجم « سليمان العظيم » [illegible] يقولون « سليمان القانوني » ، وهو السلطان العثماني الذي أعاد بناء اسوار القدس ، ويلقبه الاوروبيون magnificent [illegible] الكلمة لا تترجم بكلمة كبير (أعيد هذا الخطأ على ص ٦٦) .

ص ٢٦

١ — حذف المترجم من النص مصدرا حسن معارضة اليهود [illegible] نفوسهم اعتمادا علـى التوراة .

٢ — وحذف ايضا كلمـة « زعيم » .

ص ٢٧

١ — اضاف المترجم من عنده قوله « بشدة » الى الاصل الذي [illegible] « أوصى برفضه » دون زيادة .

٢ — يسمي المترجم احمد آغا الدزدار « حاكم القدس » خلافا [illegible] للاصل ؛ وبعد سطرين يسميه « متسلم القدس » صوابا .

ص ٢٩

١ — اساء المترجم فهم معنى (not unlike = like) فقال « على خلاف ذلك » والصواب أن يقول « على شاكلته » .

٢ — حذف المترجم وصف لباس المصلين اليهود (الشال وقبعة الفرو) ، فاضعف الحجة التي تقول ان المسلمين [illegible] هؤلاء .

ص ٣٠

١ — قول المترجم « افساد الطقوس الدينية » بعد قيام الصهيونية،مخالف الأصل الذي معناه ان الصهيونية استغلّت امرا دينيا (بشأن حائط البراق) لأغراض سياسية .

٢ — جعل المترجم عدد مهاجري اليهود بعد سنة ١٨٨٠ « ضئيلا »،وهو عكس الأصل الذي يقول « عظيما » .

ص ٣١

١ — سوء فهم للأصل وترجمة ركيكة ؛ فالمقصود ان اليهود ازعجوا المغاربة القيمين في بيوت على ارض وقف ابي مدين،امام حائط البراق،برفع الاصوات،واحضار الكراسي،وعرقلة الطريــق الى تلــك البيــوت .

٢ — قول المترجم « اساسا لادعاء اليهود اقامة الصلاة هناك »،مخالف للأصل الذي معناه ان المغاربة ومتولي الوقف خافوا ان يكون ما ذكر اساسا لادعاء اليهود ملكية المكان .

الفصل الثالث

ص ٣٦

اساء المترجم فهــم كتاب وايزمن الى بلفور ؛ فهــو"جريء" وليس « شديدا » ؛ فقد طالب تسليم حائط البراق الى اليهود . والذي قيل عن الحائط مشوّه في الترجمة،وصحيحه هو « اقدس مكان عندنا في مدينتنا المقدســـــة » .

ص ٣٧

١ — في الأصل « زعماء مسلمي القدس »،فجعل المترجم ذلك « قادة مسلمــي المنطقــة » .

٢ — في الأصل « منع المظاهرات » فجعله المترجم « منع مظاهرتين » فقـــــط ! .

٣ — واساء فهم الأصل : فالاستفزاز صار عنده تحريضا !

٤ — وقول المترجم « بدا بذلك عداء العرب للصهيونية منذ تلك اللحظة التي اتخذت الصهيونية فيها مظهرا دينيا » مخالف للأصل الذي يبيّن أن عداء العرب للصهيونية كان حتى تلك اللحظة سياسيا محضا ، فاتخذ بسبب مطامعها في حائط البراق مظهرا دينيا بالاضافة الى السياســـــي .

ص ٣٨

١ — اخطــأ المترجم بقولــه « اضطرابات مشؤومــة » ترجمة Disquieting Portents ومعناها « دلالات مقلقة » للمستقبل .

٢ — واساء فهم الاصطلاح "Out of Bounds" الذي يعني منع الجنود من دخول مكان ما ؛ فقد صدر في سنة ١٦١٨ امر لهذا للجنود اليهود في الجيش البريطاني يمنعهم من دخول المدينة القديمة بسبب سوء سلوكهم امام حائط البراق (مبكى اليهود) . فجاءت الترجمة مخالفة لكل ذلك هكذا « كان سلوك الجنود اليهود يوحي بأن المدينة بكاملها تحت تصرفهم » .

٣ — في الترجمة : « كان الانتداب متناغما متناسبا لترسيخ وعد بلفور » . وهذا كلام غريب في اللغة العربية لا يؤدي معنى الأصل الذي هو : « اشتمل صك الانتداب على نص وعد بلفور » .

ص ٣٩

في الترجمة : « لم تكن جميع الاماكن المقدسة تحت رعاية الحاكم المحلية »، وهذا مخالف للاصل الذي يقول « لم تكن شؤون الاماكن المقدسة من صلاحية الحاكم المحلية » .

ص ٤٠

كلمتا « شاشة مصغرة » في الترجمة لا تؤدي المعنى للقارىء العربي، ولا يصح أن تكون ترجمة لكلمة (Screen) ، فهذه معناها « ستار »، والفقرة الواردة فيها تلك العبارة ترجمة غير صحيحة للاصل ؛ فالذي حوّل قضية حائط البراق من مسالة دينية الى قضية سياسية هو الراي العام اليهودي ، لا أمر من الحكومة في فلسطين او في لندن، كما توهم المترجم .

ص ٤١

« المؤتمر اليهودي » في الترجمة خطـأ ، والصحيح هو « المجلس الملّي اليهودي » .

ص ٤٢

١ ـــ قول المترجم « حاخام يهودي » غريب ؛ فالحاخام لا يكون الا يهوديا. (اعيد هذا الخطأ على ص ٩٠) . والكلمتان ترجمة غير صحيحة الاصل وهو Chief Rabbinate ومعناه « رئاسة الحاخامين » .

٢ ـــ جمل المترجم « المصحف اليهودية »، في الاصل، تصبح بمعجزة منه « الوكالة اليهودية » !

٣ ـــ وكذلك صار « المؤتمر الصهيوني » في زوريخ سنة ١٩٢٩ على يد المترجم « المؤتمر اليهودي » !

ص ٤٢

١ ـــ ومن معجزات المترجم ان « خطابا سياسيا واحدا » اسبوع تقدم « خطبا سياسية متعددة » !

٢ ـــ ولا يفهم القارىء العربي معنى قول المترجم « لا يسمح بالنفخ المزمار » . فالاصل يذكر ما يسميه اليهود « شوفار » وهو بوق يصنع من قرن الكبش ويستعمل عند الصلاة في اعيادهم الكبيرة . واللجنة الدولية اوصت بمنع استعماله عند حائط البراق .

ص ٤٥

١ ـــ كلمة « استخدام » لا يصح ان تكون ترجمة للمعنى "to be regarded" فمعناهما في المتن « اعتبار » .

٢ ـــ حذف المترجم من الاصل كلمة « الدينية » صفة للشعائر التي سمح لليهود باحضارها في خزانة الى الحائط ، فانتفى المعنى .

ص ٤٦

الترجمة على هذه الصفحة مشوشة وفيها عدد من الاغلاط ، من أغربها قول المترجم « المستشار اليهودي » بدلا من « محامي اليهود » امام اللجنة الدولية للتحقيق في قضية البراق (أعاد المترجم الخطأ نفسه على الصفحة التالية) وذلك سوء فهم لكلمة (Counsel)

ص ٤٧

١ ـــ قول المترجم « المؤسسات الوقفية » خطأ وصوابه « وثائق الوقف »

٢ ـــ وقوله « هكذا خاب الطلب اليهودي » مخالف للاصل الذي يقول « خطورة الطلـــب اليهودي » .

ص ٤٨

الترجمة على هذه الصفحة كثيرة الاغـلاط لان المترجم اساء فهم الأصل . وكان الواجب ان يقول « صدر امر من مجلس الملك الخاص في مقر يتفهوام يتعلق بفلسطين والحائط الغربي او حائط المبكى » ، وهذا الامر خوَّل المندوب السامي في القدس تنفيذ قرارات اللجنـة الدولية . فجعل المترجم اسم العلم اسما للوظيفة ؛ فالاعلان الـذي صدر في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية كان بامضاء « سير جون روبرت تشانسلور » وهو اسم المندوب السامي كاملا ، فترجمة المترجم هكذا « اصدر المستشار سير جون روبرت » اعلانا ! وكلمة مستشار على كل حال ترجمة خاطئة للكلمـة Chancellor عندما لا تكون اسم علم .

الفصل الرابع

ص ٥١

اساء المترجم فهم الأصل فكتب « احتل اليهود قرية القسطل التي شطرت (كـذا) غربي القدس عن المدينة » ومعنى هـذا ان احتلال القسطل قطع الصلة بين القدس القديمة والجديدة . وهو كلام لا معنى له . فالقسطل على الطريق من القدس الى الرملة فيافا،سَبَّبَ احتلالها قطع الصلة بين القدس وما هو الى غربها مـن البلاد .

ص ٥٢

وهنا ايضا اساء المترجم فهم الاصل واضاف اليه ما افسد معناه ؛ فالأصل يقول ان قرار الأمم المتحدة هـو السند القانوني الوحيد لوجود اسرائيل ، رغما عن ان العرب احتجوا عليـه .

ص ٥٣

١ — قول المترجم ان « جميع » سكان الحي اليهودي خرجوا منه قبل ايار ١٩٤٨، مخالف للأصل الذي يقول « معظم » اليهود خرجوا . وهذا واضح فيما يلي من البحث عندما اخذ العرب اسرى من اليهود المدنيين والعسكريين عند سقوط الحي .

٢ — حذف المترجم جملة مهمة، وهي ان اليهود حاربوا الجيش الاردني في الحي اليهودي الى ان التجأوا الى الكنيس الكبير فهاجموه فنسفاه وكان هذا من اسباب ما اصابه من الخراب .

ص ٥٤

١ — قول المترجم « أرض قتال » يخالف الاصطلاح العربي في ترجمته للكلمة الانكليزية Battle field ، والمألوف هو « ساحة قتال » .

٢ — وقد اساء المترجم الى العرب بقوله الذي لا وجود له في الاصل « تدمير الحي اليهودي » ؛ فالحي لم يُدمَّر، بل الكنيس الكبير للسبب المذكور في اعلاه .

٣ — واساء أيضا الى اللاجئين العرب بقوله ان قرار الامم المتحدة في كانون الأول ١٩٤٨ كان « لتعويضهم » . فهذا القرار كما هو واضح في الاصل الانكليزي كان لارجاع اللاجئين الى موطنهم ، أما التعويض فكان لهؤلاء الذين لم يريدوا الرجوع .

ص ٥٥

١ — حذف المترجم من الاصل وصف وظيفة لجنة التوفيق التي عينتها الامم المتحدة، وهو « اكمال عمل الوسيط » الذي اغتاله اليهود في القدس .

٢ ـــ اضاف المترجم من عنده كلمة « الثار » التي لا وجود لها بالاصل .

ص ٥٦

١ ـــ لم يفهم المترجم معنى "Ministers of Religion" فترجمها « وزراء الاديان » ، مع ان معناها هو « رجال الدين » من الحاخامين والقسس ، الذين تعهدت الاردن للجنة التوفيق بتسهيل وصولهم الى القدس وحائط المبكى .

٢ ـــ تاريخ وثيقة الأمم المتحدة كما ذكره المترجم غلط ، والواجب ان يكون ١٩٤٩/٦/٢١ .

ص ٥٧

١ ـــ قول المترجم ان رفض اسرائيل لقرارات الجمعية العمومية ومجلس الأمن « كان مزعجا للأمم المتحدة » ، سوء فهم للاصل الذي يصف الرفض بانـــه « محزن » اجمالا ، لان السند القانوني الوحيد لوجود اسرائيل هو قـــرار من الامم المتحدة .

٢ ـــ قول المترجم « آنذاك » خطأ وصوابه « بعدئذ » .

٣ ـــ اضاف المترجم من عنده كلمة « العظمى » دون سبب . في سنة ١٩٤٨ كان سكان فلسطين : ثلثين من العرب وثلثا من اليهود .

ص ٥٨

١ ـــ الفقرة الأولى ترجمة مختصرة لا تمثل الاصل .

٢ ـــ اضاف المترجم من عنده كلمة « خلاف » وهي ليست بالأصل .

٣ ـــ حذف المترجم كلمة « الاسرائيلية » بالنسبة الى سجلات حرب سنة ١٩٦٧ ، فاخل بذلـــك المعنى .

ص ٦٠

١ — قــول المترجم « الاعراف الدوليــة » ترجمة غريبة ومخالفة للاصــــل Rules of International Law ومعناه « قواعد القانــون الدولــي » .

٢ — قول المترجم ان حي المغاربة « مجاور للجانب الغربي من المسجد الأقصى » يخالف الاصل ، فالحي مجاور للحائط الغربي للحرم الشريـــف .

ص ٦١

١ — قول المترجم « كان ابو مدين يتوقع مثل هذا » خاطئة ، فالأصل والقرينة يستدعيان أن يقول « وكان ابا مدين كان يتوقع . . . » .

٢ — اخطأ المترجم معنى كلمة Calamity فهو « الكارثة » وليس « السلـــوك » !

ص ٦٢

١ — من اغرب الاغلاط على هذه الصفحة وعلى صفحات اخرى استعمال كلمة « الممارسات » بدلا من الاغتصاب (Usurpation) أو بدلا من الاستملاك (Expropriation)

٢ — ولا يوجد حي للسريان في القدس كما زعم المترجم ، بل ان يبين النص الانكليزي،« ديسر » فيها .

٣ — قول المترجم « مبدأ عدم اقـرار الاستيلاء على المناطق بالحرب » يشوّه معنى قرار الامم المتحدة الذي حرم الاستيلاء على الارض بالقوة العسكرية . وترجمة كلمــة Territory بكلمة « بمناطق » غير واف وغامض .

ص ٦٦

الترجمة على هذه الصفحة غير دقيقة وبعض عباراتها غريبة .

وكلمة « العالم » ترجمة لكلمة (Status) خطأ ، وصوابه الوضع القانوني

ص ٦٨

١ ـــ اضاف المترجم من عنده كلمة « عنيفة » وهي ليست بالأصل .

٢ ـــ ترجمة "Publicutipities" بكلمة « التسهيلات » خطأ،فهذه معناها الخدمات (البلدية) من توريد الماء والكهرباء وغير ذلك .

ص ٦٩

الترجمة خطأ ولا توضح ما حدث لمساكن ابي السعود والزاوية الفخرية .

ص ٧١

١ ـــ فقرة كاملة محذوفة او ممسوخة وجملة مضافة ليست بالاصل .

٢ ـــ ترجمة كلمة "Tunnel" بكلمة « ممر » خطأ،وصوابها نفق او قبو .

ص ٧٢

١ ـــ من اين جاء المترجم بقوله « القبور الاسلامية » ؟ فلا وجود لها بالاصل .

٢ ـــ قوله « قرارات الاستيلاء » خطأ والواجب ان يقول « النهب » = Loot

٣ ـــ حوّل المترجم المؤنث الى مذكر ! وذلك عند الاشارة الى عالمة الآثار البريطانية (كاثلين كنيون) التي يعرفها اهل القدس . وحذف ما قيل عن معارضتها لقضية العرب ضد الحفريات الاسرائيلية .

ص ٧٣

١ ـــ حَوَّلَ المترجم « بلدية القدس الاسرائيلية » في الاصل الى « البلدية الاسرائيليـــــة » !

٢ ـــ لا يفهم القارىء قول المترجم « الكتاب المذكور » فقد حذف المترجم ذكر ذلك الكتاب مـــن الاصل .

٣ ـــ حَوَّل المترجم مساحات الأحياء من الفدان الى الدنم فوقع في الخطأ ؛ فمساحة الحي الارمني ٢٦ فدانا وهذا يعادل ١٠٤ دنمات فجعلها المترجـــم ٩٢ .

ص ٧٤

قول المترجم « وهذا يعني ان الحي اليهودي يشمل الحائط الغربي »، يخالف الاصل الذي يبين ان ما اغتصبته اسرائيل جعل الحي اليهودي يمتد شرقا **حتــى** الحائط الغربي للحرم الشريف .

ص ٧٥

١ ـــ اساء المترجم فهم السؤال وهو: « ايجوز لاهل دين تغيير اسم مكان مقدس عند اهل دين آخر؟ » (وهذا بالاشارة الى تسمية الحرم الشريف بجبل الهيكل (Temple Mount) عند الاسرائيليين) .

٢ ـــ لهذا فقول المترجم « جبل المعبد » خطأ ؛ والواجب ان يكون « جبــــل الهيكـــل » .

الفصل الخامس

ص ٧٧

عندما احتل الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩ م وضعوا اليهود في كنيسهم واحرقوه عليهم . وفي الترجمة « قضوا نهائيا وبالتصفية الجسدية على الطائفة اليهودية » . وهذا تعبير غريب فضلا عن غموضه .

ص ٧٨

وهنا غلط تاريخي شنيع ! يقول المترجم ان المسلمين سمحوا لليهود « التعبد في الهيكل » ، هذا الذي دمره الرومان قبل الفتح الاسلامي بخمسة قرون، والذي سُمح به هو الصلاة عند حائط يعتبره اليهود بقية (Relic) مـن الهيكـل .

ص ٨٠ — ٨١

خلط المترجم في المتن وفي الهوامش بين المرحوم عارف العارف والسيد روحي الخطيب ، فجعل الثاني لا الاول مؤلف تاريخ القدس .

ص ٨١ — ٨٢

رجوت المترجم ان يأخذ كلام الدكتور اسحٰق موسى الحسيني من كتابه « عروبة بيت المقدس » وان لا يترجم ترجمتي . فلـم يقبل الاقتراح، وترجم الترجمة، ووضعها بعد علامة اقتباس كأنها الأصل !

ص ٨٢

١ ـ الكتب الجغرافية المذكورة تتعلق بالقدس لا « بالمنطقة » كما يقول المترجـــم .

٢ ـ حذف المترجم من الاصل هذه الجملة « الى الجنوب، من طريق ممتد من الغرب الـــى الشرق » (اي من باب الخليل الى باب السلسلة) فسبب ذلك غموضا في مواقع الاحياء من حي الارمن الى حي المغاربة

٣ — اخطأ المترجم ترجمة كلمة "Buildings" ضمناها « مباني » وبعدو « مرافـــق » كما يقول .

٤ — وأخطأ أيضا ترجمة كلمة Compound ، ضمناها « حظيرة » وليس « حـــي » كما يقول .

٥ — واشنع اغلاط الترجمة هي جعـــل مدرسة دينية (Seminary) مقبرة ! وهو ظن من المترجم انها Cemetery

ص ٨٥

اضاف المترجم جملة عن المعراج قتلت المعنى ، فتصرح بمعنى الاية ان رسول الله عرج الى السماء من موقع « حوش البراق »مسع ان العروج كان من فوق الصخرة المشرفة،كما هو واضح في الاصل .

ص ٨٦

١ — حذف المترجم من الاصل هذه العبارة المهمة : « دون وثائق رسمية تثبـــت الملكيـــة » .

٢ — واخطأ بقوله ان السفير البريطاني حضر في سنة ١٨٥٥ تدشين الكنيس ؛ فالذي حضر هو القنصل في القدس (والسفير كان في استانبـــــول) .

ص ٨٨

١ — حذف المترجم وصف أزقة الحي اليهودي،وانها لم تكن كشوارع المدينة مرصوفـــة بالحجارة .

٢ — وحذف كلمة « حـــي » قبل « باب الواد » فاختل المعنى .

ص ٨٩

١ — اضاف المترجم من عنده ان الماشي في حي اليهود كان « يجازف بالسير بين بيـوت هاوية » .

٢ — واخطأ فهم معنى "Relieved" الذي يجب ان يكون في الجملة هكذا : خفف مظهر الكنيسين بقبتيهما اثر مـا حولهما من الفقر والقذارة . فالفقر والقذارة لا يتعلقان بالكنيسين كما توهم المترجم .

٣ — وقوله عن الكنيسين « لـم تكن لهما اهمية تذكر » لا وجـود لها فـي الاصـل .

ص ٩٠

قول المترجم ان القاضي « ابـرز » وثيقة مخالفة للأصل ، فالوثيقة في سجل المحكمة الشرعية الذي يبين ان مقبرة اليهود على سفح جبل الزيتون وقف اسلامي ولـم يبرز القاضي ذلك .

ص ٩١ — ٩٢

على هاتين الصفحتين غلطـان شنيعان مُضِرّان باسم العـرب بشأن حرب ١٩٤٨ :

١ — حتى الاسرائيليون لم يتهموا العرب انهم اتخذوا الكنيس الكبير في حي اليهود حصنا ، فاليهود هم الذين فعلوا ذلك (ذكر هذا تحت ص ٥٣ اعـلاه) .

٢ — لم يصل الجيش الاسرائيلي الى « جسر » على طريق القدس — اريحا . بل كانت مدافعه تقصف الطريق من مرتفعات (تل بيوت)

فتقع بعض القنابل على المقبرة اليهودية على منحدر جبل الزيتون وتتلف بعض القبور .

ص ٩٣

يقول المترجم عن المصمودي إنه « مؤسس أحد أمكنة الوقف الاسلامي » والواجب أن يقول بحسب نص الاصل إن المصمودي هو « مؤسس احد الاوقاف المغتصبة في حي المغاربة » .

الفصل السادس

ص ٩٤ — ٩٥

لغة الترجمة مضطربة وفيها اضافة ليست موجودة بالاصل كقوله « لانه مرفوض اساسا » ، وحذفت كلمة « الرسمية » فاختل المعنى .

ص ٩٦

حذف المترجم من الاصل « الاعتقاد بصدق النبوءة » كعامل بعودة اليهود الى فلسطين ، واحد الاسباب للمبالغة في عددهم في [illegible] .

ص ٩٧

١ — كلمة Disabilities لا تترجم بكلمة « اضطهادات » ومعناها الدقيق « التضييق القانوني » .

٢ — حذف المترجم من الاصل كلمة « المهاجرين » وصفا لليهود الذين أقاموا بضواحي القدس ، فاختل المعنى وضعفت الصيغة .

٣ — قوله « يتمتعون بخدمات بلدية » خطأ وصوابه « بحقوق بلدية » .

٤ — اخطأ المترجم في التمييز بين هجرة اليهود من فلسطين الى خارجها (Emigration) وهجرتهم من الخارج اليها (Immigration) وهذا الخطأ اضاع المعنى وافسد الحجة .

ص ٩٨

١ — اخطأ المترجم فهم كلمة Contemporaneous بقوله « متأثرة »، فمعناها معاصرة او واقعة في وقت واحد .

٢ — حذف المترجم « شهر نوفمبر » من التاريخ (سنة ١٩١٨) .

٣ — وقوله « واردة » خطأ،والواجب أن تكون « ممكنة » .

٤ — قول المترجم ان السكان صُنِّفوا « بحسب العنصر والدين » خطأ ، فالعنصر والدين شيئان مختلفان . والتصنيف كان فعلا بحسب الدين فقط،كما هو واضح للمدقق في الاصل .

ص ٩٩

حذف المترجم من الاصل « سكان مدينة القدس القديمة من اليهود »، عند ذكر احصاء سنة ١٩٣١ ، فأضاع بذلك المعنى،وافسد البرهان على انهم لم يكونوا الكثرية فيها حينئذ .

ص ١٠١

١ — قول المترجم « المرارة المتحجّرة التي تتميز بها اسرائيل » كلام غريب المعنى،ولا ينطبق على الاصل الذي معناه : « ان قسوة اسرائيل المعروفة . . . » .

٢ ــ حذف المترجم كلمة التعصب (Fanaticism) التي وصفنا [illegible] سلوك اسرائيل في النص الانكليزي .

٣ ــ وحذف ايضا من النص الانكليزي قولها « أم سعد القدس [illegible] مفتوحة بأماكنها المقدسة . . . » .

ص ١٠٢

١ ــ لـم يلتزم المترجم الاصـــل الذي ينذر بتعريض المسجد الاقصى وكنيسـة القيامة للخطر في حالة حرب .

٢ ــ حذف المترجم من الاصل « الأرض المقدسة بجوار المسجد الأقصى » ، وتفضيل كل شبر فيها على كل رمال صحراء سيناء .

الخلاصـــة

بعد اكمال مقابلة الترجمة مع الاصل الانكليزي ، وكتابة اكثر الاخطاء والنقائص افسادا للمعنى وضررا بالمصلحة ، تذكرت قـول المترجم انه عرض الترجمة على وكيل الوزارة،وراجعها مع مختص باللغة الانكليزية وانه سيراجعها مع مختص بالتاريخ ؛ فسألت نفسي:اين اثر ذلك؟او كيف جازت هذه الاخطاء الكثيرة على هؤلاء كما جازت على المترجم ؟ والنتيجة التي انتهيت اليها أن الترجمة لا تصلح للتداول،ورأيي سحب جميع النسخ التي طبعت،واصدار طبعة اخرى صحيحة اللغة والمعنى والمتن .

في أول رمضان ١٤٠١

د . عبد اللطيف الطيباوي

[يؤسف المجمع أن يعلن أن الدكتور عبد اللطيف الطيباوي قد انتقل الى رحمة الله بعد أن وافى المجمع بهذه التعليقات . رحمه الله رحمة واسعة]

المحرر

ومـــن الدكتور كامل العسلي

حول الموضوع عينه

ارجو ان يضاف ما يلي الى تعليق الدكتور عبد اللطيف الطيباوي ، حول ترجمة كتابه (الأوقاف الاسلامية بجوار المسجد الأقصى) من الانجليزية الى العربية . فلقــد وقعتُ في الترجمة على الاخطاء التاليــة ، التي لم ترد في التعليق ، وهــي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤	محيي الدين بن العربي	محيي الدين بن عربي
٥	الحي المغربي	حي المغاربة ، او حارة المغاربة
١٢	المارينى	المريني (نسبة الى بني مرين)
١٣	(الهامش) مجير الدين — قاضي القدس في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي	مجير الدين / قاضي القدس في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الملادي
٦٦	جدران الحرم الشريف (تكررت عدة مرات	ونحن نقول دائما (سور الحرم) وليس (جدران الحرم)

فاذا كانت المسألة تتعلق بالدقة العلمية ، وكذلك بالمصلحة الوطنية بمصلحة الوقف الاسلامي ، وتتعلق بحق كاتب اسيء اليه بأن ترجــم كتابه ترجمة مليئة بالأخطاء ، وما دامت التصويبات صحيحة ، فان من حق العالــم ان يُنبَّه الى ذلــك في مجلة علميـــة رصينة ، كمجلـــة مجمع اللغة العربية الاردنـــي الموقر .

الدكتور عامل العسلي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

اعـــــلان
من مجمع اللغة العربية في القاهرة
الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث
المراقبة العامة لاحياء التراث

جاءنا من مجمـــع القاهرة الشـقيــق ما يلـــــي :

مسابقة احيـــاء التراث

لعـــام ١٩٨١/٨٢

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزتين،قيمة الاولى [illegible] جنيه،والثانية ٤٠٠ جنيه،تمنحان لاجود ما يتقدم اليه من التراث العربي الذي ينشر لاول مرة،محققا تحقيقا منهجيا في اللغـــة العربية،بالشروط الآتيـــة :

١ ـــ ان يكون العمل المقدم في متن اللغة العربية ، أو في احد علومها ، أو في نص من نصوصها الادبية (شعرا او نثرا) .

٢ ـــ تعد النصوص من التراث العربي اذا كانت مؤلفة باللغـــة العربية قبل نهاية القرن الثاني عشر الهجري .

٣ ـــ ان يكون المقدم عملا كاملا (لا يقل عـــن عشرين ملزمة من ملازم الست عشـــرة صفحة) .

٤ ـــ ان يكون العمل المحقَّق مما لم يسبق نشره او تحقيقه .

٥ ـــ الا يكون من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

٦ ـــ الا يكون قد مضى على نشره اكثر من ثلاث سنوات ، والمعتبر في ذلك تاريخ آخر جزء (ان كان ذا اجزاء) .

٦ ــ الا يكون قد نال جائزة ما من المجمع أو من غيره مــن الجهات والهيئــات الاخــرى .

٨ ــ يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد او اكثر ، كما يجوز أن يشارك المحقق ــ او المحققين ــ مراجع أو اكثر ؛ وفي حالة تعدد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على الجميع بالتساوي

٩ ــ يستــوى في التقدم الى هــذه الجائزة المصريون وغيرهــم من المشتغلين بتحقيق التراث العربي في البلاد العربية والاسلامية ، وكذلك المستشرقون من غــير العرب والمسلمين .

١٠ ــ يقدم المتسابق خمس نسخ من العمل المحقق الــى المجمع باسم الاستاذ الدكتور الامين العام للمجمع وليس له الحق في استردادها .

١١ ــ آخر موعد التقدم الى الجائزة هو ١٩٨٢/٣/٣١ م .

المدير العام

للمعجمات وإحياء التراث

أخبار مجمعية

اعادة انتخاب اعضاء المكتب التنفيذي للمجمع

في الاجتماع الحادي والسبعين الذي عقده مجلس المجمع يوم الاحد ١٩٨١/٨/٩ م . تقرر بالاجماع اعادة انتخاب أعضاء المكتب التنفيذي للمجمع، برئيسه الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، واعضائه الاربعة وهـــــم :

الدكتور محمود السمره

والدكتور سعيد التل

والدكتور محمود ابرهيم

والأمين العام عيسى الناعوري

وعقد المكتب التنفيذي اجتماعا عاجلا ، استنادا الى المادة (١٢/١) من قانون المجمـــع رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ ، اعاد فيه انتخاب الدكتور محمود السمره نائبـــا للرئيس .

كما اعاد المكتب التنفيذي تعيين عيسى الناعوري امينا عاما للمجمع .

تعيين عضوين عاملين جديدين في المجمع

اقـــر مجلس المجمع في اجتماعـــه الحادي والسبعين بتاريخ ١٩٨١/٨/٩ ، وبالقرار رقـــم (٢٨١٠١٠) : تعيين عضوين عاملين جديدين فيه ، همــــــا :

الطبيب الدكتور قنديل شاكر

والدكتور عبد المجيد نصير

وقد صدرت الارادة الملكية السامية بتعيينهما .

وبذلك يصبح عدد أعضاء المجمع العاملين خمسة عشر عضوا .

تعيين عضـــو مؤازر

وافق وزير التربية والتعليم على تنسيب المكتب التنفيذي للمجمع تعيين الدكتور صفاء عبد العزيز خلوصي ، من العراق ، عضوا مؤازرا في المجمع ، استنادا الى المادة (٩/جـ) من قانون المجمع .

رئيس المجمع عضوا في اللجنة الاستشارية
المكتب الدائم لتنسيق التعريب

تلقى رئيس المجمع ، الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، كتابا من المدير العام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، باختياره عضوا في اللجنة الاستشارية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط .

وفي ما يلي قرار اعادة تشكيل اللجنـــة الاستشارية :

قرار رقم (ت / ١٥١) لسنة ١٩٨١

المدير العام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

بعد الاطلاع على دستور المنظمة ، وعلـــى المادة (٩) من النظام الداخلي لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي / الرباط ، وعلـــى ما عرضه السيـــد مدير مكتب تنسيق التعريب ، وعلـــى قرار المجـــلس التنفيذي رقم (م ت / د ٢٧ / ق ١١ ج) .

قـــــرر

مـــادة (١) يعاد تشكيل اللجنـــة الاستشارية لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي على النحو التالـــي :

١ ــ الاستاذ الدكتور ابر هيم مدكور ــ رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٢ ــ الاستاذ المهدي الدليرو ــ عضو المجلس التنفيذي عن المملكة المغربية (المكتبة الوطنية تطوان) .

٣ ــ الاستاذ الطاهر عبد الرحمن قيقة ــ المدير العام المساعد للثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٤ ــ الاستاذ الدكتور حسني سبح ــ رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .

٥ ــ الاستاذ الدكتور صالح أحمد العلي ــ رئيس المجمع العلمي العراقي

٦ ــ الاستاذ الدكتور شكري فيصل ــ المدير العام لمؤتمرات التعريب

٧ ــ الاستاذ الدكتور عبد الرحمن حاج صالح ــ مدير معهد اللسانيات بالجزائر

٨ ــ الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ــ مدير مكتب تنسيق التعريب / الرباط .

٩ ــ الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ــ رئيس مجمع اللغة العربية الأردني .

١٠ــ الاستاذ الدكتور عبد الله الطيب ــ استاذ زائر بكلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس / المغرب .

١١ــ الاستاذ عبــد الله كنون . ــ رابطة علماء المغرب / طنجة .

١٢ــ الاستاذ الدكتور عثمان الهذيلي ــ رئيس قسم اللغة الانجليزية
بكلية التربية بالجامعة الليبية
/ طرابــلس .

مــادة (٢) يتولى الاستاذ عبد العزيــز بنعبد الله مدير مكتــب تنسيق التعريب امانة اللجنة الاستشارية .

مــادة (٣) على جميع الجهات المعنية تنفيذ هذا القرار كل فيما يخصــه .

الدكتور محي الدين صابر
المدير العام

مؤتمرات علميـــة عربية

شـارك المجمع في المؤتمرات التاليـــة :

١ ـــ الاجتماع التأسيسي لتخطيط التعاون الدولي لتنميـــة الثقافة العربية الاسلامية ، في تونس ، من ١٠ الى ١٢ تشرين الثاني ١٩٨١ ، وقد مثـــل المجمع فيه رئيســـه الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٢ ـــ ندوة "التعريب ودوره في دعم الوجود العربي والوحدة العربية" ، في تونس ، من ٢٣ الى ١٩٨١/١١/٢٦ ، وقد مثل المجمع فيه رئيســه الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفه ، بدعوة من مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت .

٣ ـــ وكذلك اشتـــرك المجمع في معرض الكتب العلمية المنشورة والمترجمة . الذي اقامته في الكويت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، من ٤ الـــى ١٣ تشرين الثاني ١٩٨١ .

* * * * *

وفي ما يلي التقرير والتوصيات التي صدرت عن الاجتماع التأسيسي لتخطيط التعاون الدولـــي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية :

ــ التقريــر والتوصيــات ــ

بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، عقد في تونس الاجتماع التأسيسي لتخطيط التعـاون الدولي لتنمية الثقافـة العربية الاسلامية ، بتاريخ ١٣ ــ ١٥ / محرم ١٤٠٢ هـ . الموافق لـ ١٠ ــ ١٢ نوفمبر / تشرين ثان ١٩٨١ .

وقد حضر الاجتماع عدد كبـير من رجال الفكر والثقافة والمسؤولية ، وتداولوا البحث في جلسات عامة ولجان عمل متخصصة حـول :

ــ الاهداف والمجالات والسبل التي تعين علـى تنمية الثقافة العربية الاسلامية في الخـارج ، وما يتصل بالموضوع من تأمين التمويل واقامة المؤسسـة القـادرة على اداء هذه المهمة القومية التاريخية ، وانتهوا الى اصدار البيـان والتوصيات التاليـة :

في شأن الاطار الفكـري :

ان التخطيط لنشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية ، يأتي بعد انتظار طويل لما لهـذا الموضوع من اهمية بالغة ــ ذلك ان اللغة العربية ، لغة عقيدة ولغة حضارة ولغـة رسالة حية خالدة ، نزل بها القرآن الكريم ــ ثم هي اداة الفكر العلمـي في ازهى عصور النهضـة البشرية ، ولغة الثقافة الخصبة المتنوعة . والفن الانساني المبدع ، القادرة علـى استيعاب المنجزات الحضارية والاستجابـة للحاجات الاجتماعية المتنوعة في هذا العصر ــ عصر النهضة العلمية التقنية .

ان اللغة العربية هي لغة العالم الاسلامي كله ، يتعبد بها المسلمون حيث كانوا علـى اختلاف اوطانهم واجناسهم .

ان اللغة العربية قد تفاعلت في حركة اخذ وعطاء ، اتسمت بمرونة كبيرة مع لغات الشعوب الاسلامية وغيرها من الامم،التي كان لها معها لقاء ثقافي تاريخي أثرى من وراثه الفكر البشري كله .

ان على اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية التزاما بالاسهام الفاعل في الحضـــارة المعاصرة .

ان نشر اللغة العربية وثقافتها يعتبر امتدادا لعطائها الثقافي،وعملا على تنميـــة الثقافة ومدها بأسباب الحيـــاة المتجددة،التي تمكّنها من الاستجابة لدواعـــي الحياة المعاصرة في قـــدرة وايجابية .

ان نشر اللغة والثقافة اصبح ميدان سباق بين الدول الكبرى ، لما له من دور فعـــال في تحقيق مقاصدها السياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية والاجتماعية،حتى غدا ذلك جزءا عضويا في استراتيجياتها العامة قوميـــا وعالميـــا .

ان اللغة العربية خلقت لتكون لغة عالمية مذ خرجت للناس في صورتها الحضارية حاملـــة حجة انتشارها ووثيقة بقائها متمثلـــة في القـــرآن الكريـــم .

ان اللغة العربية اليوم لغـــة عالمية معتمدة في المحافل الدولية ، وهي مطالبة بتعظيـــم دورها الحضاري المتميز في تفاعل وحوار متكافئ مع اللغات والثقافات الحيـــة في عالمنا المعاصر .

ان الوطن العربي،بامتداده ومـــا يزخر به مـــن قوى بشرية وموارد طبيعية ومصادر اقتصادية وماليـــة ، تحفّه المخاطر وتحوطه المطامع والتحديات الساعية الى استلاب ذاتيته من خلال الغزو الثقافي الصهيوني

والاستعماري ، الذي هـو في حقيقته تَحَـدٍّ حضاري ؛ مما يستوجـب الاهتمام البالغ بالامن الثقافي تحصينـا لهذه الذاتية الحضارية،وحماية لها بتنمية الثقافة العربية الاسلامية،والتعاون على نشرهـا دوليا .

أن الامة العربية اليـوم ، بما حباها الله من وعي،وتفتُّح فكري وطموح وارادة التقدم ونُمْنعه ، وادراك لطبيعـة معركة وجودها اليوم ، وبما تَيَسَّر لها مـن اسباب القدرة الاقتصادية،مؤهلـة اليوم اكثر من اي عهد مضى للاضطلاع برسالة نشر لغتها وتنمية ثقافتها عالميا .

ان نشر اللغة العربية والثقافة العربية عمل حضاري،لا نريد له احلال ثقافة مكان ثقافة،ولا لغـة مكان لغة،وانما نمارس حقـا مشروعا في حضور لغتنا وثقافتنا الاسلامية،وبسط قيمها ميسورة للناس،في مشاركة وحوار مع ثقافات الآخرين وحضارتهم،والعالم اكثر مـا يكون اليوم حاجة الى معرفة القيم الانسانية السامية التي جاء بها الاسلام .

الاهـــداف :

ان الاجتماع ليعتبر الاهداف الواردة في الوثيقة المقدمة من قبل المنظمة اهدافا شاملة ووافية ، هادية لعمـل حضاري ناجح ، لاستراتيجية نشر اللغة العربية والثقافة العربيـة الاسلامية في الخارج،وتأكيد عالميتها وعلميتها ومكانتها،وبسط الثقافـة العربية الاسلامية وسيلـة قادرة على تمهيد السبيل الميسر الوفاء بالتزاماتنا الروحية والقومية والحضارية ، مواصلةً الدور التاريخي المجيـد للامة العربية في بناء الحضارة،وتاكيدا لمطالبها الخلاق في مسيرة الانسانية.وتتفرع من هـذا الهدف الاستراتيجي اهداف اساسيـة ثلاثة :

أ ــ هــدف روحــي :

وهو هدف واجب الاداء على العرب المسلمين حيال اخوانهم المسلمين غير العرب، ان ينشروا اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية بينهم، لوصلهم بالمصادر الاصلية والاساسية للاسلام .

ب ــ هــدف قومــي :

وهو هدف يؤديه بمطالبة الدول العربية، الافريقية التي حددت هويتها الحضارية بانضمامها الى جامعة الدول العربية والمؤتمر الاسلامي، تعريبا للمدرسة والمجتمع، وبمطالبة المواطنين العرب في مهاجرهم لوصلهم بمنابع ثقافتهم وحضارتهم، وعونهم على حفظ الناشئة من أجيالهم على هويتهم الحضارية، وتوثيق علاقات العرب بالمجتمعات والجماعات المسلمة ، والتواصل مع العالم الفسيح من حولنا بلغتنا وثقافتنا وحضارتنا الاسلامية .

ج ــ هــدف حضــاري :

ويتجه هذا الهدف الى التبليغ المبين لثروة وقدرات امتنا وثقافتنا وحضارتنا، وعناصر قوتها، وايجابياتها، كما يتجه الى المشاركة القادرة والتفاعل النافع، واجراء حوار موصول ومثمر مع ثقافات وحضارات الآخرين. كما يتجه الى تأكيد عالمية اللغة العربية وتبوئها مكانتها في المحافل الدولية ، وتأكيد علميتها، بالاهتمام بها وبتأهيلها لغة قادرة على استيعاب المعارف العصرية والتعبير عنها .

المجــالات :

يرى المجتمعون أن المجالات التي تشمل المسؤولية التربوية عن الثقافة العربية الاسلامية، قد حددت في ضوء اعتبارات موضوعية هي :

أ ـ دعم جهود الدول العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة لاستكمال سيادة اللغة العربية في جميع مراحل التعليم والادارة والحياة العامة.

ب ـ تعليم ابناء الجاليات العربية في الخارج، وبخاصة في اوروبا الغربية والامريكيتيـــن .

ج ـ نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في الدول ذات الكثافة السكانية الاسلامية العالية، وبخاصة دول الحزام المحيط بالدول العربية فـي افريقيا واسيا .

د ـ نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية في المناطق الاخرى مـن العالـم .

الوسائـــل :

يدعو الاجتماع الى تخير الوسائل والاساليب القادرة على النهوض بمهمات هـذه الرسالة، وهي تشمل المؤسسات والاجهزة دعما او انشاء ، والتعاون مع الهيئات والمنظمات والدول ـ وبرامج تأليف الكتب والمعاجم ، والترجمة من العربية واليها ، وعقد المؤتمرات واللقاءات العلمية والفكرية والثقافية والحلقات الدراسية ، تنظيما ومشاركة فيمـا ينظمه الآخرون ، مع الحرص على تدريب الأطر القادرة فكريـا ومهنيا، وتهيئـة الظروف المناسبة لتمكينهم من التفرغ الكامـل للعمل والمثابرة عليه .

ويرتكز هذا العمل علـى :

١ ـ انشاء المدارس والمعاهد العربية العالمية .

٢ ـ انشاء المراكـز الثقافية .

٣ ــ انشاء ودعم أقسام ومراكز الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات العليا في مختلف الاقطار بما يضمن خدمتها للاهداف التي تسعى لتحقيقها .

٤ ــ انشاء شبكة من الاتحادات القطرية والاقليمية والدولية والمؤسسات العاملة في مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية .

٥ ــ الافادة من جهود الجاليات العربية والمنظمات الطلابية العربية في الخـــــارج .

٦ ــ توكيد الحرص على اعادة الكتابة بالحرف العربـــي في الأقطار العربية التي تكتب بالحروف اللاتينية .

ان جهد المنظمة العربية للتربية والثقافـــة والعلوم، وهو جهد قومي، يأتي منسّقا لجهود الـــدول العربية، ومكملا لها في تعاون ناجح مع كل الجهود المخلصـــة، جماعية وفردية، لبلوغ المقاصد المنشودة، وخاصة مع منظمة المؤتمر الاسلامي، وسائر المنظمات العربية والاسلامية المعنية بهذا الأمر .

في شأن التمويـــل :

١ ــ ضرورة اعتماد صندوق تنمية الثقافة العربية الاسلامية على اسهام الدول العربية الاعضاء، اسهاما سنويا منتظما، يكـــون بنسبة اسهام كل دولة في موازنة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

٢ ــ ضرورة استمــرار المنظمة العربيـــة للتربية والثقافـــة والعلوم في اسهامها السنوي فـــي الصندوق .

٣ ـ السعي للحصول من الصناديق والمصارف العربية والاسلامية على اسهام مباشر ومستمر في الصندوق باعتبار ان هذه المشروعات الثقافية تعد مهمة في المشروعات الاقتصادية والاجتماعية التي تمولها.

٤ ـ العمل على الحصول على تبرعات الافراد والمؤسسات الخاصة في الوطن العربي والمهاجر، والسعي لدى الشركات والمؤسسات العاملة في الوطن العربي كي تسهم طواعية في تمويل الصندوق اسهاما يتفق واهدافه .

٥ ـ العمل على توفير المساعدات العينية،بما فيها الخدمات الفنية، التي يرجى ان تقدمها حكومات الدول العربية ومؤسساتها والشركات والافراد .

٦ ـ استثمار جانب من موارد الصندوق والقروض الحسنة المقدمة من المؤسسات الرسمية المالية العربية والاسلامية .

٧ ـ استخدام الطرائق والوسائل المناسبة التي تمكن الصندوق من تنمية موارده،عن طريق النشاطات الاجتماعية والثقافية،كاقامة المعارض والمباريات الرياضية،وتنظيم اسابيع ثقافية واعلامية خاصة،الى غير ذلك .

في شأن المؤسسات :

١ ـ قيام مؤسسة باسم مؤسسة التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الاسلامية،غايتها نشر الثقافة العربية الاسلامية في خارج الوطن العربي ، لغة وحضارة وقيما روحية واسهاما في الحضارة الانسانية المعاصرة .

٢ ـــ تعتبر المؤسسات جهازا من اجهزة المنظمة ذا شخصية ادارية ومالية في اطـار تحقيق اغراضها .

٣ ـــ يكون لهذه المؤسسة مجلس امناء، لا يقل عدد اعضائه عن الثلاثين من قادة الفكر والراي والمسؤولية في الوطن العربي والمهاجر، من بينهم المدير العـام للمنظمة رئيسا لمجلس الامناء، على ان يضم نفرا من الشخصيات العربية ذات الخبرة والتجارب الواسعة في تخطيط السياسة الثقافية والقدرة علـى دعمها .

٤ ـــ يتولى صندوق تنمية الثقافة العربية في الخارج تمويل نشاط المؤسسة، ويوصي بان يكون اعضاء مجلس ادارة الصندوق من بين اعضاء مجلس الامنـاء .

٥ ـــ يكون للمؤسسة امانة تنفيذية تتولـى الامانة الفنية والادارية التي تتطلبها المؤسسة، ويكون لهـذه الامانة مدير وموظفون يعينهم المديـر العـام .

٦ ـــ تضع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مشروع نظام اساسي شامل، يحدد تكوين وسلطات مجلس الامناء والصندوق والامانـة التنفيذية، على ان يعـرض مشروع هـذا النظام علـى المؤتمر العام في دورتـه القادمة .

يتوجه المجتمعون بخالص الشكر الى تونس الشقيقة رئيسا ومجاهدا كبيرا ، وشعبا واعيـا ، وحكومة رشيدة .

ويعربون عن بالـغ تقديرهم لمعالي الوزير الاول الاستاذ محمد مزالي، الذي تفضل بافتتاح الاجتماع ، وقبل رئاسته .

وينوهون بالجهد الكبير الذي بذلته المنظمـــة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومديرها العـــام الدكتور /محيي الدين صابر ومعاونوه في اعداد هذا الاجتمـــاع وتنظيمه، وتمكينه من اداء مهمته القومية التاريخية علـــى خـــير الوجـــوه .

.....

الدكتور عبـــد الهادي التازي

استقبل رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة في مكتبه ، صباح يوم الثلاثاء ١٩٨١/٩/٢٢ م . الزميل الدكتور عبد الهادي التازي ، العضو الزائر في المجمع من المغرب الشقيق . وقام الضيف الكريم بصحبة رئيس المجمع بجولة في مختلف اقسام مبنى المجمع ، كما اطلع على نشاطات المجمع في مختلـــف المجالات .

وتفضل الدكتور التازي بحمل نسخة من كتاب « مخطوطات فضائل بيت المقدس » ، تأليف الدكتور كامل العسلي ، هدية من المجمع الى جلالة الملك الحسن الثاني ، ملـــك المغرب .



واستقبل رئيس المجمع والامين العام كذلك الزميل الاستاذ أكرم زعيتر ، عضو الشرف في المجمـــع المقيم في بيروت ، وذلك صبـــاح يوم ١٩٨١/٦/١٠ ؛ وهذه اول زيارة يقوم بها الاستاذ زعيتر للمجمـــع منذ انتخابه عضـــو شرف فيه . وقد اطلعـــه الرئيس علـــى اعمال المجمع ومشاريعه ، وعلى الكتـــب التي ترجمت ضمن حملة تعريب التعليم العلمي الجامعي . فأعجب الاستاذ زعيتر بنشاط المجمع ، واكبر جهوده المباركة .

من منشورات مجمع اللغة العربية الاردني

صدر في منشورات مجمع اللغة العربية الاردني ما يلي :

١ ــ كتاب (مخطوطات فضائل بيت المقدس) دراسة وبيان تراثي ، للدكتور كامل العسلي ، مدير مكتبة الجامعة الاردنية .

٢ ــ كتاب (محاضرات الندوة الاعلامية) : بالاشتراك بين مجمع اللغة العربية الاردني ووزارة الاعلام . شارك في المحاضرات كل من : (رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة ، والدكتور محمود ابرهيم ، والامين العام عيسى الناعوري ، والدكتور محمود حسني محمود ، والسيد ابرهيم السمان ، والسيد وليد دميس كريشان) .

٣ ــ كتاب (الكيمياء) للسنة الاولى الجامعية ، تأليف فريدريك لونجو ، وترجمة عدد من اساتذة الجامعة الاردنية ، وجامعة اليرموك ، واشراف الدكتور اسحق الفرحان .

٤ ــ كتاب (الفيزياء) ــ القسم الاول ــ السنة الاولى الجامعية ، تأليف كينيث فورد ، وترجمة الدكتور هشام غصيب والدكتور عيسى شاهين، واشراف الدكتور هشام غصيب .

٥ ــ الطبعة الثانية من الجزء الاول من كتاب (حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية) للسنة الاولى الجامعية ، تأليف سووكوفسكي ، وترجمة عدد من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ، واشراف الدكتور احمد سعيدان .

٦ ــ الطبعة الثانية من كتاب « تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها » ؛ من اعداد مجمع اللغة العربية الاردني ، بمشاركة دائرة المواصفات والمقاييس في وزارة التجارة والصناعة الاردنية .

رسالة من الدكتور عبد السلام المجالي
رئيس الجامعـــة الاردنية

تلقى مجمع اللغة العربية الاردني رسالة من الدكتور عبد السلام المجالي ، رئيس الجامعة الاردنية ، يعرب فيهـــا عن شكره وتقديره لما يقوم بـــه المجمع من جهود كبيرة للنهوض باللغـــة العربية ، لجعلها لغـــة علم وحضارة ، ولاجل تعريب التعليم الجامعي . ويؤكد الدكتور المجالي حرصه على تقديم كل عون للمجمع ورسالته السامية .

مؤتمر التعريـــب الخامس

كان مؤتمر التعريب الرابــع ، الذي عقد في طنجة ، في المغرب ، ما بين ٢٠ ـــ ٢٦ نيسان الماضي ، قـــد أوصى بأن يعقد المؤتمر الخـــامس عام ١٩٨٤ في الاردن . وقد كتب مجمع اللغة العربية الاردني بذلـــك الى دولة رئيس الوزراء، وتلقى مـــن دولته الموافقة على استضافـــة المؤتمر الخامس في مقـــر المجمع .

وبهذه المناسبة تلقى المجمع رسالة الشكر التالية من الزميل الدكتور محيي الدين صابر ، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

سعادة الاخ الكريم الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس مجمـــع اللغة العربية الاردني / عمـــان

احييكم فأُحسِنُ تحيتكم ، وابدا بالسلام تحية الاسلام . وبعـــد ،

فقد تلقيت بكـــل المودة كتابكم الكريم ذا الرقم (٦/١/٤٤٦) والتاريخ ١٩٨١/٦/٣،وبه ذلك النبأ الذي سرني . وهو موافقة دولة رئيس وزراء المملكة الاردنية الهاشمية الافخم على عقد مؤتمر التعريب الخامس في الاردن عـــام ١٩٨٤ بمقر مجمع اللغة العربية الاردني،وهو شرف لي ولكل المجمعيين في عالمنا العربي . أن يكون لمجمعكم ذلك النشـــاط يضيفه الى جهدكم الموصول ، في قضايـــا لغتنا الباقيـــة . وفاء لها واعتناء بها ، ولتكون المملكة الاردنية الهاشمية،بجذورها الممتدة الى المنبـــع الصافي الذي اثرى وأغنى ، هـــي هذه المملكة التي تحافظ على هذا التراث الشـــامخ . . . أصالة منها ، وحفظا لهـــذا الذكر الذي نزله اللـــه على نبيه الكريم،فكان للغة حافظا ولدرعها واقيا . .

أسـأل اللـــه أن يعز هذه اللغة بين من يعتزون بها ويعملون على احيائها لتكون دائما،وكما هي أبدا،لغة الحضارة والمحبة والسلام . .

ولسـعادة الاخ الاكرم كل التهنئات وكـــل التقدير .

د. محيي الدين صابر

— وزار المجمع صباح يوم الاثنين ١٩٨١/١٢/٧ م.وفد يمثل لجنة معجم المصطلحات الهندسية ، مؤلف من الامين العام لاتحاد المهندسين العرب المهندس السيد طالب حميد الطالب ، من العراق ، والمهندس السيد وجيه السمان ، من مجمع اللغة العربية في دمشق ، والدكتور احمد العريان ، المشرف على مشروعات اتحاد المهندسين العرب والاستاذ بكلية الهندسة في جامعة القاهرة ، من مصر ، والدكتور التهامي الراجي الهاشمي ، رئيس شعبة المعاجم بمعهد الدراسات والابحاث للتعريب ، في الرباط . والمهندس السيد نور الدين بن خلوب ، عضو المكتب الوطني للمهندسين المغاربة ، في الرباط .

واستقبلهم رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة ، ونائب الرئيس الدكتور محمود السمره ، والعضو الدكتور محمود ابرهيم ، والامين العام عيسى الناعوري .

ورحب الرئيس بالوفد الضيف ، كما رحب بمهمة الوفد في صنع معجم المصطلحات الهندسية . وقدم الرئيس للوفد شرحا عن المجمع منذ تأسيسه الى اليوم ، وعن اعماله ومشاريعه . واطلع الوفد على ما ترجمه المجمع ونشره من كتب العلوم للسنة الاولى الجامعية ، وقدم مجموعة منها الى الامانة العامة لاتحاد المهندسين العرب في العراق ، كما قدم مجموعة من منشورات المجمع الاخرى الى كل عضو من أعضاء الوفد .

وشرح الوفد لمستقبليه من أعضاء المجمع المهمة التي يقوم بها في جمع مصطلحات الهندسة ، وقال ان لدى لجنة المعجم الآن ثلاثة آلاف مصطلح هندسي بالعربية والانكليزية والفرنسية ، وقد فرغ حتى الآن من المسودة الاولى ، وسيفرغ من المسودة الثانية قبل شهر حزيران من العام القادم ١٩٨٢ .

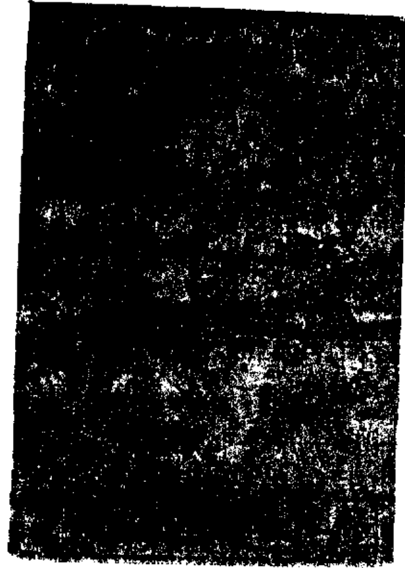
واعرب الرئيس عن تقديره لعمل اتحاد المهندسين العرب ، واعرب عن استعداد المجمع لتقديم كل عون ممكن له .

— ويوم الاثنين ٢٨/١٢/١٩٨١ م زار المجمع الدكتور صبحي القاضي ، رئيس قسم الدراسات العربية والاسلامية في جامعة البترول والمعادن في الظهران / المملكة العربية السعودية ، ممثلا الجامعة ، للاطلاع على أعمال المجمع ، واجراء تعاون علمي بينه وبين الجامعة المذكورة . وقد استقبله رئيس المجمع الدكتور عبد الكريم خليفة ، وتحدث اليه عن المجمع واعماله ومشاريعه ، وطاف معه في أرجاء المجمع ، واهدى اليه مجموعة من منشورات المجمع .

وظهر يوم الخميس ١٢/١١/١٩٨٩ ، زار المجمع المستر سلم نلسون ، رئيس مركز الدراسات العليا (IFIAS) في السويد . واستقبله عضو المجمع الدكتور محمود ابراهيم ، والامين العام عيسى الناعوري . وتحدث اليه الدكتور محمود ابراهيم حول أعمال المجمع ومشروعاتـــــه .

الزميل الاستاذ محمد العدناني

في ذمـــة الله



انتقل الـى رحمة الله في بـيروت يوم الاربعـــاء ١٩٨١/٨/٥ م ٥/١٠/١٤٠١ هـ . الزميل المرحوم الاستاذ محمد خورشيد العدناني ، الاديب والشاعر ، وصاحب المؤلفات والبحوث اللغوية العديدة ؛ وشيعت جنازتـــه يوم الجمعة ١٩٨١/٨/٧ م ١٤٠١/١٠/٧ هـ .

ان مجمع اللغة العربية الاردني،اذ ينعى الفقيد العزيز الى المجامع الشقيقة ، والى سائر المحافل الادبية واللغوية،ليعبر عن الألم الشديد لخسارة زميل بارز الاثر في ميادين الادب والعلوم اللغوية .

ولد المرحوم محمد خورشيد العدناني في مدينة جنين ، فلسطين ، في ٢٦ آذار ١٩٠٣ م ، وانهى الدراسة الثانوية في جنين وغزة وطولكرم . ثم انتقل الى كليـــة الاداب والعلوم في جامعة بيروت الاميركية ، وفـــاز منها بشهادة (ب. ع.) عام ١٩٢٧ . ثم علـــم في دار المعلمين العليـــا في بغـــداد ، فكلية النجـــاح في نابلس ، فالكلية الرشيدية في القـــدس ،

فالعامرية في يافـــا . ثم رأس القسم العربـــي للامتحانات الجامعية في ادارة المعارف الفلسطينيـــة في القدس . ثم انتقل الى ســوريـــا ، فعمل مدرسا في دار المعلمات في حلب ، فالجامعة الســورية (جامعة دمشق اليوم) ، فجامعة حلب . ثم تــرك التدريس وعمل مديرا اداريا لشركة الثلاث في المدينة المنورة حتى عام ١٩٦٦ . وبعد ذلك عاد الى لبنان ، وانصرف الى الانتاج الادبـــي واللغوي .

اما مؤلفاته فهي كما يلـــــي :

١ ـــ خمسة دواوين شعرية هـــي ، اللهيب ، وفجر العروبة ، والوثوب ، والروض ، وملحمـــة الامومة .

٢ ـــ أمير الشعراء شوقي (دراسة) .

٣ ـــ في السرير (قصـــة) .

٤ ـــ ابو بكر (للاطفـــال) .

٥ ـــ النحـــو البسيـــط .

٦ ـــ الاعـــراب (خمسة اجزاء) .

٧ ـــ الروضة (للمحفوظات ـــ خمسة أجزاء بالاشتراك مع آخرين) .

٨ ـــ عمر بـــن الخطاب .

٩ ـــ ثلاثة كتـــب للأطفال .

١٠ ـــ عشرون اقصوصة مترجمة للاطفال .

١١ ـــ معجم الاخطاء الشائعة .

واما مؤلفاته التي لا تـــزال مخطوطة فتزيد علـــى خمسة وثلاثين مخطوطـــاً .

لقد كان المرحوم العدناني اديبا وشاعرا ولغويـــا غزير الانتاج ، جم النشاط ، وقـــد ظل على نشاطه الـــى آخر ايامه ، حين اضطر الى دخول المستشفى ، حيـــث قضى نحبه مأسوفـــا على علمه وفضلـــه واخلاقـــه الرفيعـــة .

رحمه الله رحمـــة واسعة ، وانا لله وانا اليـــه راجعون .

تأبين المرحـــوم العدناني

اقامت رابطة الكتاب الاردنيين في الساعة السادسة مـــن مساء يوم الاربعاء ١٩٨١/٦/١٦ م . حفلة تأبيـــن للاديب المرحوم محمد العدناني . وتكلم في الحفلة الدكتور محمود ابرهيم ، والسيد جميل بركات ، وعريف الحفلة السيد عصام حماد . وحضرهـــا عدد كبير مـــن قادري فضل المرحـــوم العدنانـــي .